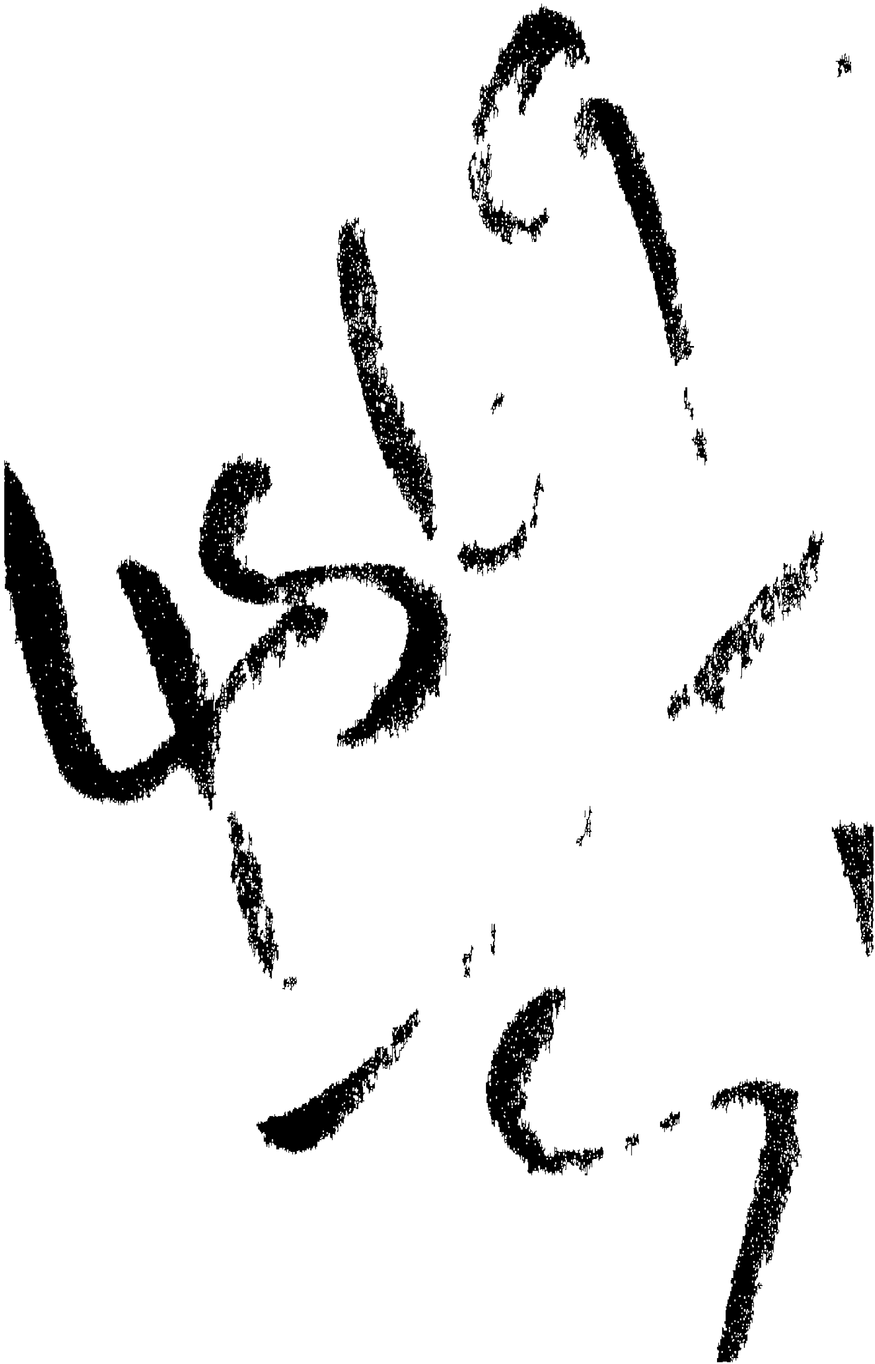


الجزء الأول

من كتاب العلوم الفاخره فى النظر فى أمور الآخره من
تأليف العلامة النحرير والولى الصالح الشهير
سيدى عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف
الثعالبى الجعفرى دفين مدينة
الجزائر رحمه الله ورضى
عنه ونفع بعلومه
آمين
م

(بالمطبعة الحميد
سنة ١٣١٧ هجريه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالبقاء * الدائم الذي حكم على خلقه بالموت والفناء * ثم بالبعث الى دار الجزاء * والفصل والقضاء ليجزي قوما بما كانوا يكسبون * قسمهم قسمين * وجعلهم فريقين * هؤلاء منعمون وهؤلاء معذبون فضلا منه وعدلا لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون * فسبحان من جعل الموت راحة لاوليائه الاتقياء * ومبلغهم الى النعيم في دار البقاء * وجعل القبر سجنا للاشقياء * وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضاء * وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين * وامام المرسلين * وقائد الغر المحجلين * صلاة تدخر أنوارها ليوم الدين *

﴿وبعد﴾ فيقول العبد الذليل الحقير * المعترف بالعجز والتقصير * عبد الرحمن بن محمد الثعالبي لطف الله به اللطف الجميل * وخار له في المقام والرحيل * لما وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا وبلغت من السنين نحوا من ثلاث وستين * وعلمت ان النفس قد قرب الحمام منها علم اليقين * وأيقنت انها راحلة في عسكر الراحلين شرعت في جمع كتاب أجعله تذكرة لنفسي * وأعد أنواره لظلم رمسي * في ذكر الموت وما بعده من أمر الآخرة وقد ألف العلماء في هذا المعنى تصانيف جليلة كأبي حامد الغزالي وأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي وأبي محمد عبد الحق الاشبيلي والمحاسبي وغيرهم وسأذكر ان شاء الله تعالى في كتابي هذا من كلامهم وكلام غيرهم من الائمة * وثقات أعلام هذه الامة * ما تنشرح له الصدور * ويستولي عليها الضياء والنور * وابتدأت جمعه وتأليفه في أوائل ذي القعدة من سنة تسع وأربعين وثمانمائة جعله الله عملا خالصا لوجهه ومبلغا الى مرضاته اللهم انفعني به في الدارين وانفع به من نظره أو سمعه أو سعى في تحصيله آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين

﴿وسميته بالعلوم الفاخره في النظر في أمور الآخره﴾

﴿باب ماجاء فى فضل ذكر الموت وحسن الاستعداد له وفى ذكر قصر الامل﴾

قال أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي فى تذكرته وأبو محمد عبد الحق الاشبيلى فى عاقبته روى النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر هاذم اللذات يعنى الموت ورواه الترمذى وابن ماجه أيضا ورواه أبو نعيم الحافظ باسناده من حديث مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر هاذم اللذات قلنا يارسول الله وما هاذم اللذات قال الموت وروى ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنت جالسا مع النبى صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من الانصار فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أى المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال فأى المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا أولئك الاكياس وخرجه مالك وابن اسحاق فى سيرته أيضا وروى الترمذى عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وروى عن أنس رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال كفى بالموت واعظا وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة قال الغزالى رحمه الله تعالى والسبب فى هذه الفضيلة ان ذكر الموت يوجب التجافى عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن ذكر الموت تدعو الى الانهماك فى شهوات الدنيا انتهى كلام الغزالى قال القرطبي وقال السدى فى قوله تعالى الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا أى أكثركم للموت ذكرا وله أحسن استعدادا ومنه أشد خوفا وحذرا قال علماؤنا رحمهم الله قوله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وأبلغ فى الموعظة فان من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه لذته الحاضرة ومنعه من تمنيها فى المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل ولكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة تحتاج الى تطويل المواعظ وتزويق الالفاظ والا فى قوله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر هاذم اللذات مع قوله سبحانه كل نفس ذائقة الموت ما يكفى السامع له ويشغل الناظر فيه قال الغزالى فى الاحياء وعلى كل حال ففى ذكر الموت ثواب وفضل حتى ان المنهمك فى الدنيا يستفيد بذكر الموت التجافى عن الدنيا اذ يتنغص عليه نعيمه ويتكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة ✿ واعلم أنه ما من ميت يموت الاندم فقد روى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد يموت الاندم قيل وما ندامته يارسول الله قال ان كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم ان لا يكون نزع قلت ولله در القائل

وفى ذكر هول الموت والقبر والبلى ✿ عن الشغل باللذات للمرء زاجر
أبعد اقتراب الاربعين تربص ✿ وشيب فذاك منذر لك ذاعر
فكم فى بطون الارض بعد ظهورها ✿ محاسنهم فيها بوال دواثر
وانت على الدنيا مكب منافس ✿ لخطابها فيها حريص مكاثر
على خطر تمسى وتصبح لاهيا ✿ أتدرى بماذا لو عقلت تخاطر
وان امرأ يسعى لدنياه جاهدا ✿ ويذهل عن أخراه لاشك خاسر
كأنك مغتر بما أنت صائر ✿ لنفسك عمدا أو عن الرشد حائر
فجد ولا تغفل فعيشك زائل ✿ وأنت الى دار المنية صائر
ولا تطلب الدنيا فان طلابها ✿ وان نلت منها ثروة لك ضائر

وكيف يلذ العيش من هو موقن * بموقف عدل حين تبلى السرائر
لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت * لعزة ذي العرش الملوك الجبابر

﴿فصـــل﴾ قال القرطبي اعلم ان ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية والتوجه فى كل لحظة الى الدار الباقيــة ثم من فوائد ذكره ان الانسان لا ينفك عن حالتى ضــيق وسعة ونعمة ومحنة فان كان فى حال ضيق ومحنة فذكر الموت يهون عليه بعض ماهو فيه لانه لا يدوم والموت أشد منه وان كان فى حال نعمة وسعة فذكر الموت يمنعه من الاغترار بذلك ولقد أحسن من قال

اذكر الموت هاذم اللذات * وتجهز لمصرع سوف يأتى

﴿وقال آخر﴾

اذكر الموت تجد راحة * فى ادكار الموت تقصير الامل

قال الغزالى رحمه الله تعالى فى الاحياء وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فيستعد للموت الذى يرد عليــه فى الوقت فان عاش يومه الى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظا وادخره لنفسه ثم يستأنف مثــله الى الصباح وهكذا اذا أصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ القلب من الغد وما يكون فيه بقصر أمله فمثل هذا اذا مات سعد وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد خير فليكن الموت على بالك يا مسكين فان الســير حاث بك وانت غافل عن نفســك ولعلك قد قربت المنزل وقطعت المسافة فلا يكون اهتمامك الا بمبادرة العمل قبل انقضاء الاجل اغتنام الكل نفس أمهلت فيه قال القرطبى واعــلم ان الموت ليس له زمان معــلوم ولا مرض معلوم فالواجب التأهب له قبل هجومه وذلك بحسن الاستعداد بأخذ الزاد * كان بعض الصالحين ينادى بالليل على سور المدينة الرحيل الرحيل فلما توفى رحمه الله تعالى فقد أمير تلك البلدة صوته فسأل عنه فقيل له قد مات فأنشأ يقول

مازال يلهج بالرحيل وذكره * حتى أناخ ببابه الجمال
فأصابه متيقظا متشمــرا * ذا أهبة لم تلهه الآمال

وقال الدقاق من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل فى العبادة ومما أنشده صاحب عنوان الدراية لشيخه أبى العباس بن الغماز قال

هو الموت فاحذر ان يجيئك بغتة * وانت على سوء من الفعل عاكف
واياك ان تمضى من الدهر ساعة * ولا لحظــة الا وقلبــك واجف
وبادر بأعمال يسرك ان ترى * اذا نشرت يوم الحساب الصحائف

﴿فصـــل﴾ قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه أى حاسبها وقال أبو عبيد دان نفســه أى أذلها واستعبدها واعلم ان فى ذكر الموت راحة للمقبل على آخرته ولقد أحسن القائل

واذكر الموت تجد له راحة * فى ادكار الموت تقصير الامل

قال ابن الفاكهانى رحمه الله تعالى قال بعض العلماء الذى ينبغى لكل عاقل فى طول حياته ان يكون شديد الخوف من عقاب ربه سبحانه معتبرا لذكر الموت فى جميــع أحواله وان يكون أجله بين عينيــه فيقصر أمله ويبادر الى التوبة ويتحلل من مظالم العباد خوفا من فجأة الموت قال ورويناه فى سنن ابن ماجه باسناد حسن ان النبى صلى الله عليه وسلم أبصر جماعة يحفرون قبرا فبكى حتى بل الثرى بدموعــه وقال اخوانى لمثــل هذا فاعدوا وقال ويتأكد استحباب ذكر الموت حالة المرض لانه اذا ذكر الموت رق قلبه وخاف ورجع من المظالم والمعاصى وأقبل على الطاعة وسارع الى الخيرات قال العلماء ويستحب الاكثار من حديث استحيوا من الله وهو ما رواه الترمذى عن عبد الله بن مسعود

رضى

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قال قلنا يا رسول الله انا نستحيي والحمد لله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البطن وما حوى ولتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء قال الغزالي رحمه الله تعالى وجدير لمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود أنيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الارض مستقره والقيامة موعده والجنة والنار مورده بان لا يكون له فكر الا في الموت ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لاجله وحقيق بان يعد نفسه من الموتى ويراها في أصحاب القبور فان كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت ولن يتيسر الاستعداد للشئ الا عند تجدد ذكره على القلب ونحن نذكر ان شاء الله تعالى من أمر الموت ومقدماته ولواحقه وأحوال الآخرة والبرزخ والقيامة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار ليكون ذلك مع توفيق الله سبحانه محثا على الاستعداد والتأهب للرحيل بأخذ الزاد واعلم رحمك الله ان المنهمك في لذاته المثابر على شهواته يغفل قلبه عن ذكر الموت لا محالة فلا يذكره واذا ذكر به كرهه ونفر عنه وهذا واشباهه من الذين قال مولانا سبحانه فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون واعلم رحمك الله ان الموت خطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه أعظم ثم من يذكره منهم ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بوساوس الدنيا فلا يؤثر ذكر الموت في قلبه وانما الطريق النافع فيه ان يفرغ العبد قلبه من كل شئ الا من ذكر الموت الذي هو بين يديه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فحينئذ يرجى له ان يؤثر فيه وأنفع طريق يوافيه ان يذكر الانسان أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصرعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ويتأمل كيف محى التراب الآن محاسنهم وكيف أرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم وقسمت أموالهم وعرضت عليهم أعمالهم وندموا على ما خلفوا ولم ينفعهم ندمهم وقرع سمعهم النداء اما بالجنة أو بالنار فعند ذلك ينظر الموفق نظر شفقة لنفسه ويعلم انه مثلهم وان غفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم قال أبو الدرداء رضي الله عنه اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم فلازمة هذه الافكار وأشباهها هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه حتى يصير نصب عينيه فعند ذلك يرجى ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور ومهما طاق قلبه بشئ من الدنيا ينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد من مفارقته ولله در القائل

وليس بعيدا ما يكون وان نأى * فكل بعيد لا محالة آت
سهام المنايا راشقات لمن ترى * تصيب الفتى في روحة وبيات

﴿ وأنشدوا ﴾

وما هي الا ليلة ثم يومها * ويوم الى يوم وشهر الى شهر
مطايا يقربن الجديد الى البلى * ويدنين أشلاء الصحيح الى القبر
ويتركن أزواج الغيور لغيره * ويقسمن ما يحوي الشحيح من الوفر

﴿ وأنشدوا ﴾

اما آن للنفس ان تخشعا * اما آن للقلب ان يقلعا
تقضى الزمان ولا مطمع * لما قد مضى منه ان يرجعا
تقضى الزمان فوا حسرتا * لما فات منه وما ضيعا
ويأو بلتاه لذي شيبة * يطيع هوى النفس لما دعا

قال أبو نعيم في الحلية وكتب زر بن حبيش الى عبد الملك بن مروان يعظه وكان في آخر الكتاب ولا يطمعك يا أمير المؤمنين في طول الحياة ما يظهر من صحتك وأنت أعلم بنفسك واذكر ما تكلم به الاولون

اذا الرجال ولدت أولادها * وبليت من كبر أجسادها
وجعلت أسقامها تعتادها * تلك زروع قد دنا حصادها

وروى أبو نعيم عن سفيان الثوري انه قال من بلغ سن النبي صلى الله عليه وسلم فليرتد لنفسه كفنا وأنشد صاحب عنوان الدراية لشيخه أبي عبد الله التميمي رحمه الله تعالى

الخبر أصدق في المرأى من الخبر * فهد العذر ليس العين كالاثر
واعمل لاخرى ولا تبخل بمكرمة * فكل شئ على حد الى قدر
وخل عن زمن تخشى عواقبه * ان الزمان اذا فكرت ذو غير
وكل حي وان طالت سلامته * يغتاله الموت بين الورد والصدر
هو الحمام فلا تبعد زيارته * ولا تقل ليتني منه على حذر
ياويح من غره دهر فسربه * لم يخلص الصفو الا شيب بالكدر
أنظر لمن باد تنظر آية عجبا * وعبرة لاولي الالباب والعبر
أين الالى جنبوا خيلا مسومة * وشيدوا ارماخوفا من الغدر
لم تغنهم خيلهم يوما وان كثرت * ولم تفد دارم للحادث النكر
بادوا فعادوا حديثا ان ذا عجب * ما أوضح الرشد لولا سيئ النظر
تنافس الناس في الدنيا وقد علموا * ان المقام بها كاللمح بالبصر

قال عبد الحق رحمه الله تعالى في العاقبة اعلموا رحمكم الله تعالى ان الناس في ذكر الموت على ضروب فنهم المنهمك في لذاته المضيع فيها ما لا يرجع اليه من أوقاته لا يخطر له الموت على بال ولا يحدث نفسه بزوال قد طرح أخراه واكب على دنياه واتخذ الهه هواه فاصمه ذلك وأعماه ان ذكر له الموت نفر عنه وشرد وان وعظ أنف وعند قد حاد عن سبيل نهجه ونكب عن طريق رشده مقبلا على بطنه وفرجه فتبت يداه وخسر مسعاه كانه لم يسمع قول الله عز وجل كل نفس ذائقة الموت وآخر قلبه معلق بالدنيا وهمه فيها ونظره مصروف اليها وهو مع ذلك من طلابها المحرومين وابنائها المكدودين لم ينل منها حظا ولا رقي منها مرقى ان ذكر له الموت تصامم عن ذكره ولم يمكنه من فكره رجاء ان يبلغ ما أمل أو يدرك بعض ما تخيل فعمره ينقص وحرصه يزيد وجسمه يخلق وأمله جديد وحتفه قريب ومطلبه بعيد فنعوذ بالله من الحرمان ومن شماتة العدو الشيطان فهذا والذي قبله ان لم تكن لهما عناية أزليه وسابقة أوليه فيسلك عليهما الايمان ويختم لهما بالاسلام والا فقد هلكا كل الهلاك فنعوذ بالله من سوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء فانظر رحمك الله كيف تقر عين عاقل في هذه الدار مع وجود هذه الاخطار ولله در القائل

وكيف تنام العين وهي قريرة * ولم تدر في أي المنازل تنزل

ورجل آخر وقليل ما هم عن أزيل عن عينه قذاها وأبصر نفسه وهواها وزجرها ونهاها فاتى المنادي وأجاب الداعي وشمر لتلافي ما فات ونظر فيما هو آت وتأهب لحلول الممات والانتقال الى محل الاموات ومع هذا فانه يكره الموت أن يشاهد وقائعه أو يرى طلائعه وليس يكره الموت لذاته ولا لانه هادم لذاته لكنه يخاف ان يقطعه عن الاستعداد ليوم المعاد والاكتساب ليوم الحساب ويكره ان تطوى صحيفة عمله قبل بلوغ أمله وان يبادر باجله قبل اصلاح خلله وتدارك زلله فهو يريد البقاء في هذه الدار لقضاء هذه الاوطار فهذا ان مات يا لله دره من ميت ما أفضل حياته وأطيب مماته وأعظم سعادته وأكرم وفادته وأتم سروره وأكمل حبوره واعلم ان هذا لا يدخل تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه كما قد وقع مفسرا في الحديث * ورجل آخر وهو من أقل القليل قد عرف الله تعالى باسمائه الحسنى وصفاته العليا

وشاهد ماشاهده من كمال الربوبية وجمال الحضرة الالهية فلا تت عينه وقلبه واطمأنت عقله وليته فهو يحن الى ذلك المشهد ويستعجل انجاز ذلك الموعد وقد علم ان الموت حجاب بينه وبين محبوبه وستر مسدول بينه وبين مطلوبه ومقدمات هذا وأمثاله تدل على ماوراءها من الوصال والاتصال والانس بذلك الجلال والجمال * ورجل آخر قد شاهد ماشاهد ذلك وربما زاد عليه لكنه فوض الامر الى خالقه وسلم الحكم لبارئه فلم يرض الاما رضى له ولم يرد الاما أريد به ومااختار الاما حكم فيه ان أبقاه في هذه الدار أبقاه وان أخذه أخذه قال أحمد بن أبي الحوارى قال أبو سليمان الدارانى الناس رجلان رجل أحب الله فأحب الموت شوقا الى لقاء الله ورجل أحب البقاء باقامة حق الله قال فوثب غلام لم يحتلم فقال ورجل ثالث فقال أبو سليمان ومن هو فقال من لم يختر لا هذا ولا هذا بل اختار مااختار الله عز وجل فقال أبو سليمان احتفظوا بالغلام فانه صديق فهذا وأشباهه اذا مات لا يسئل عن حاله ولا يقال ما فعل به

(فصل) قال الجوزى في الصفوة وعن أحمد بن عاصم قال قال هرم بن حيان لاويس القرنى أوصنى قال توسد الموت اذا نمت واجعله نصب عينيك اذا قمت وادع الله ان يصلح لك قلبك وأوصاه مرة فقال له عليك بذكر الموت فلا يفارقن قلبك مابقيت قال الحسن مارأيت عاقلا قط الا وجدته حذرا من الموت حزينا من أجله قال عبد الحق وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بذكر الموت وأعاد القول فيه تهويلا لامره وتعظيما لشأنه وكثرة ذكر الموت تردع عن المعاصى وتلين القلب القاسى * وعلى العبد بتقصير الامل فان من طال أمله ساء عمله ومن خاف الوعيد قرب عليه البعيد قال الغزالى فى المنهاج أما طول الامل فانه العائق عن كل خير والجالب لكل فتنة وهو يقسى القلب وينسى الآخرة واغا رقة القلب وصفوته بذكر الموت والقبر والعقاب والثواب وأحوال الآخرة واذا لم يكن شئ من ذلك فمن أين تكون لقلبك رقة وصفوة قال مولانا سبحانه فطال عليهم الامد فقست قلوبهم فاذن فانك اذا طولت أملك قلت طاعتك وكثرت معصيتك وتأخرت توبتك وأى حال أسوأ من هذه الحال وأى آفة أعظم من هذه وكل هذا بسبب طول الامل واما ان قصرت أملك وقربت من نفسك موتك وتذكرت حال أقرانك الذين غافصهم الموت فى وقت لم يحتسبوا وحذرت نفسك الغرور وأكثرت عليها من نحو هذه الاذكار وواظبت على ذلك بالاعادة والتكرار فانه يقصر أملك باذن الله وترى نفسك حينئذ تبادر الى الطاعات وتعجل توبتك فتسقط معصيتك وتزهد فى الدنيا وفى طلبها فيخف حسابك وتبعتك ويقع قلبك فى ذكر الآخرة وماهو الامن نفس الى نفس تصير اليها وتعاينها واعلم ان حصن قصر الامل ذكر الموت وحصن حصنه ذكر فجأته وأخذه على غرة فاحتفظ بهذه الجملة وحصلها فان الحاجة اليها ماسة ودع عنك تضييع الوقت فى القيل والقال وملاحات الرجال والله سبحانه الموفق بفضله وقال يحيى بن رزق رحمه الله تعالى فأهل الطاعات قدموا بين يدى الاعمال لطيفة معرفة الاسباب التى بها يستعينون صالح الاعمال ويسهل عليهم مأخذها توطينا منهم لانفسهم استصحاب يقينهم الى انقضاء آجالهم فصيروا أعمالهم فى الدنيا يوما واحدا وليلة واحدة كلما مضت ليلة استأنفوا الثانية وطلبوا من أنفسهم حسن الصحبة ليومهم وليلتهم وكلما مضى عنهم يوم بحسن الصحبة منهم أوليلة راقبوا أنفسهم فيها على جميع الطاعات وكان ذلك عندهم غنما وذكروا اليوم الماضى فسروا به فصيروا أنفسهم على اليوم المستقبل لانقضاء الاجل فيه أو فى ليلته وطرحوا شغل القلب بذكر غد فقصرت عندهم الآمال وقربت عندهم الآجال وتقربوا الى الله سبحانه بالاعمال الزاكية واستقام لهم السير وقرت بالخوف أعينهم وتلذذوا بمناجاة خالقهم فقلوبهم بملكوت السموات متعلقة وفكرهم باهوال القيامة مقبلة ومدبرة قال عبد الحق والناس فى طول الامل وقصره على أحوال مختلفة فمنهم من طول فى أمله فازداد فى كسله ودخل الوهن فى عمله وآخر قد قصر أمله وجعل التقوى بضاعته والعبادة صناعته ولم يتجاوز بأمله ساعته ومثل هذا قد رفع التوفيق عليه لواءه وألبسه رداءه وأعطاه جماله وبهاءه فانظر رحمك الله أى الرجلين

تريد أن تكون واى العملين تريدان تعمل و بأى الرداءين تريدان تشتمل فلست تلبس هنالك الا ما لبسته هنا ولا تحشر هنالك الا فيما كنت فيه هنا واعلم وتحقق ان طول الامل يكسل عن العمل وهذا أمر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج الى بيان ولا يطالب صاحبه ببرهان كما ان قصره يبعث على العمل و يحمل على المبادرة و يحث على المسابقة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد ذكره القاضي أبو الحسن ابن صخر في الفوائد واعلم ان الحكايات فى هذا الباب أكثر من ان تحصر وقد دونت فى الموت والاتعاظ به الاخبار وصنعت فيه الاشعار وضربت فيه الامثال وعملت بسبب الفكر فيه الاعمال وأى أعمال ومن مستحسن ما أنشد فيه قول القائل

ألا رب ذى أجل قد حضر * كثير التمنى قليل الحذر
يجرعه الجهل كاس المنا * و يحمله فوق ظهر الغرر
وينسى المنون وريب المنون * وينسى الخطوب وينسى القبر
وكم من ملوك عهدناهم * تفانوا ونحن معا بالاثر
أخى أضعت أمورا أراك * لنفسك فيها قليل النظر
تؤمل فى الارض طول الخلود * وعمرك يزداد فيها اقصر

قال ابن هشام فى السيرة المنون الموت وريب المنون ماير يب و يعرض منها قال أبو ذؤيب الهذلى

أمن المنون وريبه أتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع

﴿ وأنشدوا ﴾

يا من يؤمل لا تركن الى الامل * وبادر الخير واغنم فسحة الاجل
واذكر وقوفك يوم الحشر مكتئبا * مما تقدم من جرم ومن زلل
واحذر اذا وضع الميزان من عمل * يقضى عليك بانواع من الخلل
والنار لا تنس ما فيها لمن سلفت * منه المعاصى ولم يندم ولم يزل
شرابه من حل فيها ذا الصديد ومن * زقومها أكلهم يا قبح ذا الاكل
فاذرن من عذاب الله واكتسبن * أجرا ولا تكسلن عن صالح العمل

﴿ وأنشدوا ﴾

تولى العمر وانقرض الشباب * فما يرجى لغائبه اياب
فحتى متى التعلل بالامانى * وفيم الحرص ويحك والطلاب
أمنت حوادث الايام جهلا * وطابك الذى لا يستطاب
فانفقت الحياة على أمور * تمر بها كما مر السحاب

﴿ ولله در القائل ﴾

أرى المشيب فى العذار قد ألم * كان موتى عن قريب قد هجم
خط المشيب أسطرا فى هامتى * فراعنى ما خطه وما رقم
هل الفتى اذا انقضى شبابه * الا كزرع هاج سوف يحطم
شاب الفؤاد قبل شيب لمتى * وسامنى ضعف القوى مثل الصمم
و يحى من التوبيخ من ربى غدا * ويحى من السقم الشديد اذا صدم

﴿ وأنشدوا ﴾

حلول الشيب و يحكم نذير * يخبر انه قرب المسير
فلا تغرركم الدنيا بوعد * فان وعدها كذب وزور

ألم يك قد تملكها أناس * أليس بها فنى خلق كثير
علوا برهة فيها فأمسوا * وليس لهم من الدنيا مجير
أبادتهم وأفنتهم جميعا * فلا ملك يؤوب ولا وزير
تشتت شملهم بعد اجتماع * فلم يبق الجليل ولا الحقير
وزال نعيمهم عنها فأضحوا * رميما والقبور لهم قصور

﴿وأنشدوا﴾

ألا أيها المغرور مالك تلعب * تؤمل آمالا وموتك أقرب
وتعلم أن الحرص بحر مبعد * سفينته الدنيا فإياك تعطب
وتعلم أن الموت ينقض مسرعا * عليك يقينا طعمه ليس يعذب
كأنك توصي واليتامى تراهم * وأمهم الثكلى تنوح وتندب
وأقبل بالأكفان نحوك قاصد * وحث عليك الترب والعين تسكب

﴿وأنشدوا﴾

تزود من معاشك للمعاد * وقم لله واعمل خير زاد
ولا تجمع من الدنيا كثيرا * فإن المال يجمع للنفاد
أترضى أن تكون رفيق قوم * لهم زاد وأنت بغير زاد

﴿وقال آخر﴾

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله * وانك لم ترصد كما كان أرصدا

﴿وقال آخر﴾

الموت لابد آت فاستعد له * ان اللبيب بذكر الموت مشغول
وكيف يلهو بعيش أو يلذ به * من التراب على خديه مجعول

﴿وأنشدوا﴾

ولدتك اذ ولدتك أمك باكيا * والقوم حولك يضحكون سرورا
فاعمل ليوم أن تكون اذا بكوا * في يوم موتك ضاحكا مسرورا

﴿وروى﴾ عن الحسن انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أكلكم يحب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله فقال قصروا آمالكم وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء وقال أبو زكريا التيمي بينما هشام بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ أتى بحجر مكتوب باللسان العجمي فطلب من يقرؤه فأتي بوهب بن منبه رحمه الله تعالى فقرأه فاذا فيه يا ابن آدم انك لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك وقد زلت بك قدمك واسلمك أهلك وحشمك ففارقك الولد والقريب ورفضك الوالد والنسيب فلا أنت لدنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة ﴿وقد روى﴾ عن عمر مولى غفرة في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما ان الكنز كان لوحا من ذهب قد كتب فيه عجبا للموقن بالرزق كيف يتعب وعجبا للموقن بالحساب كيف يغفل وعجبا للموقن بالموت كيف يفرح ﴿وروى﴾ عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال ما من صباح ولا مساء الا ومناد ينادي أيها الناس الرحيل الرحيل وقال شعيم مولى ابن تميم جلست الى عامر بن عبد الله وهو يصلي فأوجز في صلاته ثم أقبل علي فقال أرحني من حاجتك فاني أبادر فقلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فقمت

عنه ومامثل المسوق الطويل الامل والموفق الذى استشعر قرب الاجل الا كملك كتب الى رجل من عبيده يقول له افعل كذا وكذا وأصلح كذا وكذا وانتظر رسولى فلانا فانى سأبعثه اليك ليأتينى بك واياك ثم اياك ٧ الا وقد فرغت من أشغالك وتخلصت من أعمالك وتطرت فى زادك وأخذت ماتحتاج اليه فى سفرك وان لم تفعل ماأمرتك أحللت بك عقابى وأحللت عليك سخطى وعذابى وأمرته أن يأتينى بك مغلولة يداك مقيدة رجلاك مشمتا بك أعداءك مسحوبا الى دار خزيى وهوانى وماأعددته لمن عصانى وان هو وجدك قد فرغت من أعمالك وقضيت جميع أشغالك أتى بك مكرما معززا فيها الى دار رضوانى وكرامتى وماأعددته من الكرامة لمن امتثل أمرى وعمل بطاعتى واحذر أن يخدعك فلان أو فلانة عن امتثال أمرى والاشتغال عن طاعتى وكتب الى رجل آخر بمثل ذلك فأما الرجل الاول فكان مخدوعا من قبل النفس والشيطان فقال هذا كتاب الملك يأمرنى فيه بكذا وكذا وذكر لى ان رسوله يأتينى ليحملنى اليه ولم يبين لى الوقت الذى يبعثه الىّ فيه ولعل رسوله لا يأتينى الا الى خمسين سنة أو أكثر فأنا على مهل وسأنظر فيما أمرنى ولم يقع كتاب الملك منه بذلك الموقع فاغتر فسوّف وقال والله لقد أتى كتابه الى خلق كثير بمثل ماأتانى ولم يأتهم رسوله الا بعد سنين كثيرة فأنا واحد منهم ولعل رسوله يتأخر عنى كما تأخر عنهم ثم أقبل على اشتغال نفسه بما لا يحتاج اليه وترك أوامر الملك وأعرض عنها وكلما دخلت سنة قال أنا مشغول فى هذه السنة وسأنظر فى السنة المقبلة والمسافة أمامى طويلة ثم جعل كلما دخلت سنة سوّف وقال سأنظر فبينما هو على ذلك من تسويفه واغتراره بطول أمله اذ فجأه رسول الملك فى صورة الغضب عليه فكسر بابه وهتك حجابه وحصل معه فى جوف بيته وقال له اجب الملك فقال الرجل والله لقد جاءنى كتاب الملك فسوّفت ولم أفعل ماأمرنى به فقال له الرسول ويلك وما الذى أبطأ بك عن امتثال ماأمرك به الملك قال لم أكن أظن انك تأتينى فى هذا الوقت فقال له ويلك ومن أين لك هذا الظن ومن أخبرك به ومن أعلمك بأنى لا آتيك الا فى الوقت الذى تظن قال ظننت ذلك ظنا وطمعت وسوّلت لى نفسى ومنتنى وخدعنى الشيطان والنفس فانخدعت فقال له ويلك ألم يحذرك الملك فى كتابه منهما وأمرك أن لا تسمع لهما قولا قال بلى والله لقد جاءنى هذا فى كتابه ولكنى خدعت وفتنت فافتتنت فقال له ويلك غرك الغرور وأجب الملك لا أم لك قد حل بك الهوان وأحاطت بك الزبانية والاعوان وسترى من العذاب ألوانا بعد ألوان بطاعتك للنفس والشيطان فقال له أنشدك بحق الملك الا ماتركتنى حتى أفعل ماأمرنى به الملك فقال هيهات ليس الى ذلك من سبيل ثم دفعه دفعة ألقاه على وجهه ثم جمع يديه مغلولتين الى عنقه وانطلق به يجره على وجهه وأحاطت به الزبانية من كل جهاته قد اشتد غضبهم لغضب الملك عليه فلا يمرون به على محفل الا وأخبروهم بعصيانه وموجبات هوانه فلا تسأل عن سوء حاله وشدة مايلقاه من انكاله ووبال سوء عصيانه يقصر اللسان عن وصف مايلقاه من العذاب بسبب المخالفة والعصيان وأما الآخر الموفق الذى كتب اليه الملك بمثل ما كتب به الى هذا البائس فانه لما جاءه كتاب الملك أخذه بكلتا يديه وقبله وفرح به وجعل يقرؤه ويتصفحه ويتدبره ويعظمه ويقول أرى الملك قد كتب الىّ ان أعمل له كذا وكذا ومن أين سبقت لى هذه السابقة عند الملك ومن الذى عنى بى عنده ومن الذى أنزلنى منه بهذه المنزلة حتى جعلنى من خدامه والقائمين بأمره والناظرين فى أعماله والله ان هذه لسعادة ونعمة لا أقدر على القيام بشكرها و والله ان هذه لعناية الحمد لله رب العالمين ثم نظر فى الكتاب فقال واسمع الملك يقول لى فى كتابه وانتظر رسولى فانى سأبعثه اليك ليأتينى بك وأراه لم يحد لى وقت اتيانه الىّ ولعلى لا أفرغ من قراءة كتابه الا ورسوله قد أتانى ونزل علىّ والله لا قدمت شغلا على شغل الملك ولا أنظر فى شئ الا بعد فراغى مما أمرنى به الملك وأعد زادا ومركوبا أركبه اذا جاءنى رسوله ليحملنى اليه ثم لما فرغ من قراءة الكتاب سارع الى شغل الملك وامتثل مافى كتابه بفرح وسرور واشتياق الى زيارة الملك اذا قدم عليه رسوله فلما أخذ فى اشغال الملك جاءه فلان أو فلانة وقال له هوّن عليك الامر ولم هذه المسارعة كلها وفيم هذه المبادرة فقال له ويلك اذهب عنى أما ترى

كتاب الملك عما جاءني فقال نعم رأيته ولكنه لم يعين لك وقت مجيء الرسول وقد جاء كتابه الى فلان بهذا الذي جاءك وقد بقي منتظرا لرسوله أكثر من سبعين سنة وفلان أتاه رسوله بعد ثمانين سنة وفلان وفلان وأنت واحد منهم فلم هذه العجلة فقال له ويلك أتدلني على الغرور وما ترى أنت فلانا قد جاءه كتاب الملك بهذا الذي جاءني وجاءه الرسول اثر مجيء الكتاب وفلان كذلك وفلان كذلك وفلان ممن لا يحصى كثرة فدعني من غرورك وشرك ثم أقبل على ما أمره به الملك وامتثل بقدر وسعه وطاقته وأعد ما ينبغي من الزاد لسفره وجعل ينتظر الرسول أن يأتيه ويفرح بالسفر الى حضرة الملك لما يأمله من فضل الملك واحسانه حسبما وعده به في كتابه فبينما هو كذلك مشغول بخدمة الملك واذا هو برسول الملك قد أتاه بخلع الملك وأنواع التحف والهدايا والبشرى برضا الملك عنه فسلم عليه وبشره باقبال الملك عليه وان له عنده المنزلة الرفيعة وانه محبوب عند أهل حضرته وانهم منتظرون لقدومه وقال له أجب على بركة الله الملك وارتحل اليه مكرما ومعظما قال نعم قال الساعة قال الساعة قال بسم الله فخلع عليه خلعة الاولياء وكساه كسوة الاصفياء وأعطاه مركوبا يليق به ويحمل لمثله وانطلق به في حبور وسرور الى حضرة الملك فهذا مثل حال الناس في الدنيا فهم بائس مفرط مغرور ومنهم مقبل على آخرته في حبور وسرور ومنتقل الى جنة مشتملة على ما لا تكيفه العقول من أنواع الخيرات والحور والقصور

﴿فصل﴾ وخطب بعض الخلفاء يوما فقال عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا واعلموا أن الدنيا ليست لكم بدار قرار واستعدوا للموت فقد أظلكم وترحلوا فقد جد بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لجدير بسرعة الاوبة وان قادما يقدم بالفوز أو بالشقوة لمستحق بأفضل العدة فاتقى عبد ربه ونصح نفسه وغلب شهوته وقدم توبته فان أجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها حتى تهجم عليه منيته أغفل ما يكون عنها وان ما بين أحدكم وبين الجنة والنار الا الموت أن ينزل به فيالها من حسرة على ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان تؤديه أيامه الى شقوة جعلنا الله واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن الطاعة معصية ولا تحل به بعد الموت حسرة انه سميع الدعاء فعال لما يشاء * وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه روضة المشتاق والطريق الى الملك الخلاق انه ما من يوم تطلع شمسه الا وملك ينادي يا أبناء الاربعين هذا وقت الزاد أذهانكم حاضرة وأعضاؤكم قوية شداد يا أبناء الخمسين قد دنا الاخذ والحصاد يا أبناء الستين نسيتم العقاب وغفلتم عن رد الجواب فما لكم من نصير أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعذر الله الى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة يقال أعذر في الامر أي بالغ فيه قال البخاري وجاءكم النذير يعني الشيب قلت هذا أحد الاقوال وقال الجمهور النذير الانبياء وسيأتي ان شاء الله تعالى لهذا مزيد بيان قال القرطبي وورد في الخبر أن بعض الانبياء صلوات الله على نبينا وعليه قال لملك الموت عليه السلام أما لك رسول يا ملك الموت تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر من مجيئك قال نعم لي والله رسل كثيرة من الاعلال والامراض والشيب والهرم وتغير السمع والبصر قال القرطبي وأكبر الاعذار بعثة الرسل ثم الشيب أو غيره كما تقدم وجعل الله سبحانه الستين غاية الاعذار لان الستين قريب من معترك المنايا وهو سن الانابة والخشوع والاستسلام لله سبحانه وترقب المنية ولقاء الله ففيه اعذار بعد اعذار وانذار بعد انذار الاول بالنبي صلى الله عليه وسلم والثاني بالشيب وذلك عند كمال الاربعين قال الله تعالى وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني ان أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي الآية فذكر سبحانه ان من بلغ الاربعين فقد آن له أن يعلم مقدار نعم الله عليه وعلى والديه ويشكرها قال مالك رحمه الله تعالى أدركت أهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا ويخالطون الناس حتى يأتي لاحدهم أربعون سنة فاذا أتت عليهم اعتزلوا الناس قلت ونحو هذا عن مالك في المدخل لابن الحاج ولفظه قال مالك أدركت الناس وهم يتعلمون

العلم الى ان يصل أحدهم الى الاربعين فينقطع للعبادة و يطوى فراشه وحدث أبو بكر بن الخطيب بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا بلغ العبد أربعين سنة امنه الله تعالى من البلايا الثلاث الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة خفف عنه الحساب فاذا بلغ ستين سنة رزقه الانابة اليه لما يحب فاذا بلغ سبعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع في أهل بيته وناداه منادٍ من السماء هذا أسير الله في أرضه وحدث بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله يستحى أن يعذب عبده وأمته اذا أسنا في الاسلام وقد أنشدوا

ان الملوك اذا شابت عبيدهم * فى رقهم اعتقوهم عتق ابرار

وأنت يا مالكى أولى بذا كرما * قد شبت فى الرق فاعتقنى من النار

وقد أكثر الناس من التحذير من طول الامل لان به يقع التسويف فى العمل فرحم الله عبدا اقصر من أمله قبل حلول أجله وأخذ من يومه وأمسه ما يستضىء به فى ظلم رمسه وقد روينا فى جامع الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله الجنة قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وعن أبى بن كعب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه الحديث رواه الترمذى

﴿باب فى ذكر الموت والوفاة ومصير الارواح بعد الممات وما يستحب من أحوال المحتضرين وفى حسن الظن بالله تعالى وتلقين الشهادة وتأنيس المحتضر باحاديث الرجاء ليحسن ظنه بربه سبحانه﴾

قال الحارث بن أسد المحاسبى رحمه الله تعالى فى كتاب التوهم افهم ما اصف لك وفرغ فيه للفكرة عقلك وأدم له فهمك واشتغل بذكره يقطع كل مذكور سواه ومتوهم غيره فالعجب منك كيف تقر عينك أو يزايل الوجد قلبك وقد عصيت ربك والموت لا محالة نازل بك بكربه وغصصه ونزعه وسكراته فكأنه قد نزل بك وشيكا فتوهم نفسك وقد صرعت للموت صرعة لا تقوم منها الا الى الحشر الى ربك فتوهم نفسك وقد بدا ألك الموت لجذب روحك من قدميك فوجدت ألم جذبه وقلبك وجل محزون منتظر للبشرى من ربك بالرضا أو بالسخط فبينما أنت فى كربك وغمومك وألم أوجاعك اذ نظرت الى صفحة وجه ملك الموت فى أحسن صورة أو أقبحها وقد تعلق قلبك بما يخبرك من البشرى اذ سمعت صوته أبشر يا ولى الله برضائه أو ابشر يا عدو الله بسخط الله وغضبه فتستيقن حينئذ بفوزك ونجاتك أو بعطبك وهلاك فتوهم حينئذ وقد استطار قلبك فرحا وسرورا أو ملئ غما وحزنا قال الغزلى وعبد الحق اعلم ان المستحب من حال المحتضر عند الموت ان يكون منه الهدو والسكون ومن لسانه النطق بالشهادتين ومن قلبه حسن الظن بالله تعالى واعلم ان المطيع لله سبحانه يرى ملك الموت فى أحسن صورة وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان ابراهيم عليه السلام قال للملك الموت هل تستطيع ان تريني الصورة التى تقبض بها روح المؤمن قال نعم فاصرف وجهك عنى فصرف وجهه ثم نظر اليه فاذا هو بشاب حسن الوجه حسن الثياب طيب الرائحة فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت من السرور شيأ الا وجهك لكفاه ثم قال له أرنى كيف تقبض روح الكافر فقال له لا تطيق ذلك قال بلى أرنى قال اصرف وجهك عنى فصرف وجهه عنه ثم نظر اليه فاذا صورة انسان اسود رجلاه فى الارض ورأسه فى السماء كأقبح ما أنت راء من الصور تحت كل شعرة من جسده لهيب نار فقال له والله لو لم يلق الكافر سوى نظره الى شخصك لكفاه فارغب رحمك الله الى مولاك ان يجعلك فى زمرة أوليائه واجتهد فى خدمته عساه أن يلحقك باصفيائه خرج البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله

تبارك وتعالى قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بشئ أحب الي مما افترضت عليه وما زال
عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي
يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شئ أنا فاعله
ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته فتأمل رحمك الله هذا الكلام العظيم من المولى الكريم
الكريم فسبحانه ما أرحمه بعباده فلو لم يكن الا هذا الحديث في باب الرجاء لكان كافيا نسأله جلت قدرته أن يجعلنا
من أوليائه الموفقين لخدمته الساعين في مرضاته قال الغزالي ومما يراه الميت عند شخوص بصره الملائكة الكرام
الحافظون قال وهب بن منبه بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له
جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا ورب عمل صالح أحضرتنا وان كان فاجرا قالا له لا جزاك الله عنا خيرا
فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح قد أحضرتنا وكلام قبيح قد أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك حين
شخوص الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا انتهى كلام الغزالي ومن كتاب روضة الحقائق المنسوب للفقيه أبي
عبد الله بن الخلال قال وروي انه اذا نزل الموت بالمؤمن ودعه ملكاه اللذان كانا يكتبان حسناته فيقولان جزاك
الله عنا خيرا فلقد كنت تملي علينا خيرا وستلقى خيرا وأما الكافر أو الفاجر فيقولان لا جزاك الله عنا خيرا فلقد
كنت تملي علينا شرا فستلقى شرا ويمثل له عمله يوم القيامة اسود قبيحا فيأخذ به كل وعر وظلمة فيقول له بئس
الصاحب أنت فيقول له أما تعرفني فيقول له ما أعرفك غير أني أراك صاحب سوء فيقول له أنا عملك كان قبيحا
في الدنيا اسود فلذلك تراني اسود قبيحا كنت أحملك في الدنيا فاحملني اليوم أنت فيركبه نهو قوله تعالى وليحملن
أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم الآية وتتلقاه عند خروج روحه ملائكة العذاب ويقولون لا مرحبا بهذه النفس
الخبيثة فتغلق دونه أبواب السماء ويقول الجبار سبحانه اذهبوا به الى أمه الهاوية وأروه مقعده من النار الحديث
وسيأتي لهذا مزيد بيان ان شاء الله تعالى وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال اذا فنيت أيام الدنيا عن هذا العبد المؤمن بعث الله الى نفسه من يتوفاها قال فقال صاحباه اللذان يحفظان
عمله ان هذا قد كان لنا أخا وصاحبا وقد حان اليوم منه فراق فأذنوا لنا أو قال دعونا نثني على أخينا فيقال أثنيا عليه
فيقولان جزاك الله خيرا ورضي عنك وغفر لك وأدخلك الجنة فنعم الاخ كنت والصاحب ما كان أيسر مؤنتك
وأحسن معونتك على نفسك ما كانت خطاياك تمنعنا أن نصعد الى ربنا فنسبح بحمده ونقدس له ونسجد له
ويقول الذي يتولى نفسه أخرجي أيتها الروح الطيبة الى خير يوم مر عليك فنعم ما قدمت لنفسك أخرجي
الى الروح والريحان وجنات النعيم ورب عليك غير غضبان واذا فنيت أيام الدنيا عن العبد الكافر بعث الله الى
نفسه من يتوفاها فيقول صاحباه اللذان كانا يحفظان عليه عمله ان هذا قد كان لنا صاحبا وقد حان منه فراق فأذنوا
لنا ودعونا نثن على صاحبنا فيقال أثنيا عليه فيقولان لعنة الله وغضبه عليه ولا غفر له وأدخله النار فبئس
الصاحب ما كان أشد مؤنته وما كان يعين على نفسه ان كانت خطاياه وذنوبه لتمنعنا ان نصعد الى ربنا فنسبح
له ونقدس له ونسجد له ويقول الذي يتوفى نفسه أخرجي أيتها الروح الخبيثة الى شر يوم مر عليك فبئس
ما قدمت لنفسك اخرجي الى الحميم وتصلية الجحيم ورب عليك غضبان قال عبد الحق اعلم ان الانسان لا يخرج
من الدنيا حتى يرى مكانه من احدى الدارين وما به من أحد الفريقين قال ويروى انه ما من ميت يموت الا
ويكلمه ملكاه اللذان يكتبان عمله في الدنيا فان كان مطيعا قالا له جزاك الله من صاحب خيرا فرب كلام حسن
قد أسمعتناه ورب مجلس خير قد أجلستناه ورب عمل صالح قد أحضرتناه فنحن لك اليوم على ما تحب وان كان فاجرا
قالا له جزاك الله من صاحب شرا فرب كلام قبيح قد أسمعتناه ورب مجلس سوء قد أجلستناه ورب عمل سوء قد
أحضرتناه فنحن لك على ما تكره قالت ورأيت في بعض كتب التذكير ما نصه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال اذا قبض الله سبحانه روح العبد المؤمن صعد ملكاه الى السماء فقالا ربنا وكلتنا بعبدك المؤمن نكتب

عمله وقد قبضت روحه الملك فأذن لنا ان نصعد الى السماء فيقول الله تبارك وتعالى سمائي مملوأة بملائكتي يسبحونني فيقولان ائذن لنا أن نسكن في الارض فيقول عز وجل أرضي مملوأة من خلقي فيقولان ربنا أين نكون فيقول عز وجل قوما على قبر عبدي فسبحاني واحمداني وهللاني وثواب ذلك للعبد الى يوم القيامة وهذا الحديث رواه أبو نعيم في الحلية بهذه الالفاظ وفيه ولكن قوما على قبر عبدي فسبحاني وهللاني وكبراني الى يوم القيامة واكتباه لعبدي رواه مسعر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الغزالي لن تخرج روح عبد حتى يسمع نغمة ملك الموت باحدى بشريين اما أبشر يا عدو الله بالنار واما أبشر يا ولي الله بالجنة وعن هذا كان خوف أرباب القلوب والالباب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار وقال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذلك كذلك ان المؤمن اذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه قلت هذا الحديث في الصحيح وفي البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة أو بعض أزواجه انا لنكره الموت فقال ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شئ أحب اليه مما امامه فاحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شئ أكره اليه مما امامه وكره لقاء الله فكره الله لقاءه وأخرجه أيضا مسلم وابن ماجه من حديث عائشة وابن المبارك من حديث أنس رضي الله عنهم قال الغزالي قال الحسن لا راحة للمؤمن الا في لقاء ربه عز وجل ومن كانت راحته في لقاء الله فيوم موته يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه قلت وهذا كلام حسن عليه نور قال وروى جعفر ابن محمد عن أبيه قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملك الموت عند رأس رجل من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارفق بصاحبي فانه مؤمن فقال ملك الموت عليه السلام يا محمد طب نفسا وقر عينا فاني بكل مؤمن رفيق واعلم أنه ما من أهل بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر الا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى لانا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم والله يا محمد لو اني أردت ان أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الآمر بقبضها قال جعفر بلغني أنه يتصفحهم عند مواقيت الصلاة ذكره الماوردي قال صاحب روضة الحقائق وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال والذي نفسي بيده لملك الموت أشد تلطفا بروح المؤمن وأكثر محافظة من الوالدة على ولدها حين ترضعه ثم ذكر انه عند خروج روحه يفوح عنه أطيب من ريح المسك وتتباشر به الملائكة ويقولون اللهم صل عليه من روح طيب وصل على جسد خرج منه ثم يدفعونه الى الملائكة فيصعدون به الى السماء ولله سبحانه خلق في الهواء لا يعلمهم الا خالقهم فيفوح لهم منه ريح أطيب من المسك فيصلون عليه ما بين الارض والسماء وتفتح له أبواب السماء ويصلي عليه ملائكة كل سماء حتى يوقف بين يدي الله سبحانه فيقول سبحانه مرحبا بالنفس الطيبة وبجسد خرجت منه واذا قال الجبار جل جلاله مرحبا بك رحب به كل شئ ويذهب عنه كل ضيق ويقول سبحانه اذهبوا بهذه الروح الطيبة فاروها مقعدها من الجنة وما أعددت لها من النعيم المقيم قال وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أراد الله سبحانه قبض روح وليه قال يا ملك الموت اذهب فائتني بروح عبدي حسبي من عمله فقد أعطيته فوجدته شاكرا وابتليته فوجدته صابرا حسبي من عمله اذهب أنت وأعوانك ستجده سامعا مطيعا اذا كرامه ستعدا فيأتيه ملك الموت وقد دخل التقى قلبه فيقول له ملك الموت يا ولي الله ارتحل من هموم الدنيا فانه لن يعتريك هم بعد هذا أبدا هذا آخر ما عليك ثم تحتوشه الملائكة بريحان الجنة يقولون أخرجي أيتها النفس المطمئنة الى روح وريحان ورب راض عنك غير غضبان اخرجي فنعم ما قدمت فتخرج باطيب رائحة مسك ما وجدها أحدكم قط وعلى أرجاء السماء ملائكة فيقولون سبحان الله جاء اليوم من الارض روح طيب ونسمة طيبة فلا يمر بباب الا فتح له ولا بملك الا وصلى عليه

وشفع له حتى يؤتى به الرحمن سبحانه فتسجد له الملائكة و يقولون يارب هذا عبدك فلان قد توفيناه وأنت أعلم فيقول مروه بالسجود فتسجد النسمة ثم يدعو ميكائيل فيقول له اذهب بهذه النسمة الحديث وسيأتى بعد هذا ان شاء الله تعالى وقال الغزالى فى الاحياء روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى اذا رضى عن عبده قال ياملك الموت اذهب الى فلان فائتنى بروحه لاريحه حسبى من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فاذا نظر اليهم ابليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال فيقول لجنوده مالك ياسيدنا فيقول أما ترون ما اعطى هذا العبد من الكرامة أين كنتم عنه فيقولون قد جهدنا به فكان معصوما قوله صلى الله عليه وسلم ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شئ أحب اليه مما امامه فاحب لقاء الله فاحب الله لقاءه الحديث قال الشيخ الولى ابن أبى جمرة رضى الله عنه فى هذا الحديث دليل على تهوين الموت على المؤمن يؤخذ ذلك من فرحه بما امامه مما يبشر به من رضا مولاه عنه واحسانه له فانه من فرح بشئ هان عليه ما يلقى عليه أودونه من الشدائد وهذا ندركه حسا فى أهل الدنيا فانهم ما حملوا فيها من المشاق والشدائد الالفرحهم بها وحبهم لها فكيف بذلك الفرح الذى ليس مثله فرح جعلنا الله من أهله بفضله آمين انتهى كلام ابن أبى جمرة رحمه الله تعالى وأعاد علينا من بركاته وبركات أمثاله فكلامه عليه نور رقلت وروى ابن المبارك فى رقائقه عن محمد بن كعب القرطى قال اذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك وقال القرطبى جاءه ملك الموت فقال السلام عليك ياولى الله الله يقرأ عليك السلام ثم نزع بهذه الآية الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم قال القرطبى فى تذكرته وقال ابن مسعود اذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وعن البراء بن عازب رضى الله عنه فى قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام قال يسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه لا يقبض روحه حتى يسلم عليه

﴿فصل﴾ فى حسن الظن بالله سبحانه وتلقين الميت قال عبد الحق أما حسن الظن بالله عز وجل فواجب وقد خرج مسلم والبخارى فى صحيحيهما عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بثلاثة أيام يقول لايموتن أحدكم الا وهو يحسن بالله الظن وفى رواية الا وهو حسن الظن بالله قال القرطبى وذكره ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله عز وجل وزاد فيه فان قوما أرداهم سوء ظنهم وقال لهم تبارك وتعالى وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وروى ابن ماجه عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال كيف تجدك فقال أرجو الله يارسول الله وأخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه الله مايرجوه وأمنه مما يخافه وذكره ابن أبى الدنيا أيضا وخرجه الترمذى وقال حديث غريب وذكر الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول بسنده عن الحسن انه قال بلغنى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال قال ربكم عز وجل لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين فمن خافنى فى الدنيا أمنته فى الآخرة ومن آمننى فى الدنيا أخفته فى الآخرة وخرجه البزار أيضا عن الحسن قال البزار وحدثنى محمد بن يحيى قال حدثنا عبد الوهاب حدثنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله وأسند الترمذى الحكيم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يذكر من مناجاة موسى عليه السلام أنه سبحانه قال ياموسى لن يلقانى عبد فى حاضر القيامة الافتشته عما فى يديه الا ما كان من الورعين فانى أستحييهم وأجلهم وأكرمهم فأدخلهم الجنة بغير حساب فمن استحيا من الله تعالى فى الدنيا مما صنع استحيا الله سبحانه من تفتيشه وسؤاله ولم يجمع عليه حياءين كما لا يجمع عليه خوفين انتهى قال القرطبى وحسن الظن بالله تعالى ينبغى أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه فى حال الصحة وهو ان الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له وينبغى

لجلسائه ان يذكروه بذلك وقد روى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تبارك وتعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه اذا ذكرني الحديث وجاء في حديث آخر أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء قال القرطبي وروى حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله فان حسن الظن بالله ثمن الجنة وروى عن عمر رضي الله عنه انه قال عمود الدين وغاية مجده وذروة سنامه حسن الظن بالله فمن مات منكم وهو يحسن الظن بالله دخل الجنة مدلا وقال ابن مسعود رضي الله عنه والله الذي لا اله غيره لا يحسن أحد الظن بالله الا أعطاه الله ظنه وذلك ان الخير بيده وقال ابن المبارك أخبرنا سفيان أن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن به واذا كان حيا فخوفوه وحدث ابن أبي الدنيا بسنده عن المعتمر بن سليمان قال قال لي أبي حين حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله وأنا حسن الظن به وحدث بسنده عن حصين بن ابراهيم قال كانوا يستحبون أن يلقن العبد محاسن عمله عند الموت حتى يحسن ظنه بربه عز وجل وكان يحيى بن زكريا اذا لقي عيسى بن مريم صلوات الله على نبينا وعليهما عبس واذا لقيه عيسى تبسم فقال له عيسى تلقاني عابسا كأنك يائس فقال له يحيى تلقاني ضاحكا كأنك آمن فأوحى الله تبارك وتعالى ان أحبكما الي أحسنكما ظنا بي ذكره الطبري وقال زيد بن أسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال انطلقوا به الى النار فيقول يارب أين صلاتي وصيامي فيقول الله تعالى اليوم أقنطك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي من رحمتي وفي القرآن ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وروى أبو بكر بن الخطيب بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أمة الا بعضها في الجنة وبعضها في النار الا أمتي فانها في الجنة وهذا حديث لم يذكر ابن الخطيب فيه مطعنا بوجه فهو ثابت وحدث ابن الخطيب بسنده عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصبح لا ينوي ظلم أحد أصبح وقد غفر الله له ما جنى وحدث ابن الخطيب بسنده عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن عبادة المرء حسن ظنه وحدث أبو بكر بسنده المتصل عن أبي بكر بن عمارة بن رويبة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان يلج أي لن يلج النار رجل صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فقال له رجل من أهل البصرة أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال عبد الحق ولولا حسن الظن بالله عز وجل لهلك الخلق ومرض اعرابي فقيل له انك تموت فقال فاذا مت فأين يذهب بي فقالوا الى الله سبحانه قال وما أكره أن يذهب بي الى من لا يرى خيرا الا من عنده وروى أبو نعيم في حليته عن سفيان الثوري انه قال أتيت أبا حبيب البدوي أسلم عليه ولم أكن رأيته فقال لي أنت سفيان الثوري الذي قال قال قلت نعم نسأل الله تعالى بركته ما بقال فقال لي يا سفيان ما رأينا خيرا قط الا من ربنا سبحانه قلت أجل قال فما لنا نكره لقاء من لم ير خير قط الا منه ثم قال يا سفيان منع الله عطاء وذلك انه لا يمنع من بخل ولا عدم وانما منعه نظرا واختيارا ثم قال يا سفيان ان فيك لأنسا ومعك شغلا ثم أقبل على شأنه وتركني وروى بعض أصحاب الحسن بن هانئ انه رآه بعد موته في النوم فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لي قلت عماذا قال بأربعة أبيات قلتها هي في طي الفراش فمشى الرجل الى دار الحسن فالتمسها في الفراش فوجدها وهي

يارب ان عظمت ذنوبي كثرة * فلقد علمت بأن عفوك أعظم

أدعوك رب كما أمرت تضرعا * فاذا رددت يدي فمن ذا يرحم

ان كان لا يرجوك الا محسن * فمن الذي يرجو المسيء المجرم

مالي اليك وسيلة الا الرجا * وجميل ظني ثم اني مسلم

وعن مالك بن دينار انه قال رأيت مسلم بن يسار في النوم بعد موته بسنة فسلمت عليه فلم يرد علي السلام فقلت له

لم لا ترد على السلام قال فكيف أرد السلام عليك وأنا ميت فقلت له وماذا لقيت بعد الموت قال ودمعت عينا مالك عند هذا القول فقال لقيت أهوالا وزلازل وعظائم وشدائد قال مالك فقلت له فما كان بعد ذلك قال وما تراه يكون من الكريم الا الكريم قبل منا الحسنات وغفر لنا السيآت وضمن عنا التباعات كما كان حسن الظن به قال ثم شهق مالك شهقة خر مغشيا عليه فلبث فى غشيته أياما مريضا ثم مات من مرضه ذلك وكان يقال ان قلبه انصدع وهكذا ذكر عبد الواحد بن زيد الحكاية وانه بحضرته وقع لمالك هذا وقال أبو عمر الضرير حدثنى سهل أخو حزم قال رأيت مالك بن دينار فى النوم بعد موته بسنة فقلت له أبا يحيى ماذا قدمت به على الله سبحانه قال قدمت عليه بذنوب كثيرة فمحاها حسن ظنى به سبحانه وقال عمار بن سيف رأيت الحسن بن صالح فى منامى بعد موته فقلت له لقد كنت متمنيا للقائك فماذا عندك أخبرنا بما عندك فقال لم أر شيأ مثل حسن الظن بالله سبحانه ودخل واثلة بن الاسقع رضى الله عنه على رجل فوجده فى الموت فقال له أخبرنى كيف ظنك بالله تعالى فقال الرجل أغرقتنى ذنوب لى وأشرفت على الهلكة ولكن أرجو رحمة الله تعالى فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره وقال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء قلت وحسن الظن بالمولى سبحانه هو رأس مال العبد ولما تكلم ابن أبى جمرة رضى الله عنه على الحذر من القنوط وان من وقعت به مصيبة وكثرت عليه فلا يقنط فيها ولا ييأس فيستحق العذاب لقوله صلى الله عليه وسلم اخبارا عن ربه عز وجل يقول لو كنت معجلا عقوبة لعجلتها على القانطين من رحمتى قلت وهذا فيه غاية الرجاء سبحان من لا نهاية لفضله جعلنا الله ممن منّ عليه بخيرى الدنيا والآخرة ويروى عن الحسن بن الليث قال رأيت محمد بن محمد الرازى فى المنام فقلت له يا أبا عبد الله مافعل الله بك قال غفر لى قلت بم قال برجائى له منذ ثمانين سنة

﴿فصــل﴾ وقد قدمنا أنه ينبغى لجلساء المريض أو المحتضر ان يحدثوه بأحاديث الرجاء ليموت وهو حسن الظن بالله سبحانه وأنا أذكر ان شاء الله تعالى من ذلك جملة صالحة يذكر منها ماتيسر عند المحتضر قال الغزالى رحمه الله تعالى فى كتاب الرجاء اعلم ان العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لان أقرب العباد الى الله سبحانه أحبهم له وليس وراء المحبة مقام والحب يغلب بالرجاء واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفا من عقابه والآخر رجاء لثوابه ولذلك ورد فى الرجاء وحسن الظن رغائب لا سيما عند الموت قال ابن عطاء الله فى لطائف المنن قال الشيخ أبو العباس المرسى رحمه الله طالعت مقام الرحمة فاذا على يقال لى والله ليكونن من رحمة الله غدا يوم القيامة ماينال منها ابن أبى الطواجن وكان ابن أبى الطواجن هذا قد قتل الشيخ القطب عبد السلام بن مشيش شيخ الشيخ أبى الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى قال أبو نعيم فى الحلية روى مسعر بن كدام عن عطية قال كنت مع ابن عمر رضى الله عنهما جالسا فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن لوددت انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن عمر فكنت تصنع ماذا فقال كنت والله أؤمن به وأقبل بين عينيه فقال له ابن عمر أفلا أبشرك قال بلى يا أبا عبد الرحمن قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما اختلط حب بقلب عبد فأحبنى الا حرم الله جسده على النار الحديث قال الغزالى وحال الرجاء يغلب بفنين * أحدهما الاعتبار والآخر استقراء الآيات والاخبار أما الاعتبار فهو ان يتأمل الانسان جميع ما أنعم الله به سبحانه على عباده من أنواع النعم ولطفه بعباده فى الدنيا وعجائب حكمته التى أبدعها فى خلقة الانسان حتى أعدله فى الدنيا كل ماهو ضرورى له فى دوام وجوده وماهو محتاج اليه وماهو زينة له كتقويس الحاجبين واختلاف أنواع العينين وحمرة الشفتين حتى لم يرض سبحانه أن تفوتهم الزوائد والمزايا فى الزينة والحاجة كيف يرضى سبحانه بسياقتهم الى الهلاك المؤبد واذا كان حال أكثر الخلق فى الدنيا الغالب عليهم السلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلا فالغالب أن أمور الآخرة هكذا تكون لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو سبحانه غفور رحيم لطيف

بعباده متعطف عليهم ومن الاعتبار أيضا النظر فى حكمة الشريعة وسنتها فى مصالح الدنيا ووجه الرحمة على العباد بها حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة فى البقرة من أقوى أسباب الرجاء فقيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا كلها قليل ورزق الانسان منها قليل والدين قليل من رزقه فانظر كيف أنزل الله فيه أطول آية ليهدى عبده الى طريق الاحتياط فى حفظ دنياه فكيف لا يحفظ عليه دينه الذى لا عوض له منه * الفن الثانى استقراء الآيات والاخبار فيما ورد فى الرجاء خارج عن الحصر أما الآيات فقد قال تعالى قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم و يستغفرون لمن فى الارض وأخبر تعالى ان النار أعدها لاعدائه الكافرين وانما خوف بها أولياءه فقال ذلك يخوف الله به عباده وقال فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وقال تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل فى أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفى تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد وأحد من أمته فى النار وأما الاخبار فقد روى أبو موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أمتى أمة مرحومة لا عذاب عليها فى الآخرة عجل عقابها فى الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من أمتى رجل من أهل الكتاب فقيل له هذا فداؤك من النار وفى لفظ آخر يأتى كل رجل من هذه الامة بيهودى أو نصرانى الى جهنم فيقول هذا فدائى من النار فيلقى فيها وقال صلى الله عليه وسلم مامن عبد مؤمن تخرج من عينيه دموع وان كانت مثل رأس الذباب من خشية الله عز وجل ثم تصيب شيأ من حر وجهه الا حرمه الله على النار وقال صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وهو حظ المؤمن من النار وروى فى تفسير قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه أن الله تعالى أوحى الى نبيه انى أجعل حساب أمتك اليك فقال لا يارب أنت خير لهم منى قال اذا لا أخزيك فيهم وروى عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم سأل ربه فى ذنوب أمته فقال يارب اجعل حسابهم الىّ لئلا يطلع على مساويهم غيرى فأوحى الله تعالى اليه هم أمتك وهم عبادى وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم الى غيرى كى لا ينظر الى مساويهم أنت ولا غيرك وقال صلى الله عليه وسلم حياتى خير لكم وموتى خير لكم أما حياتى فأسن لكم السنن وأشرع لكم الشرائع وأما موتى فان أعمالكم تعرض علىّ فما رأيت منها حسنا حمدت الله عليه وما رأيت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم وفى حديث أنس الطويل ان الاعرابى قال يارسول الله من يلى حساب الخلق فقال الله تبارك وتعالى فقال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابى فقال صلى الله عليه وسلم مما ضحكت يا اعرابى فقال ان الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال النبى صلى الله عليه وسلم صدق ألا ولا كريم أكرم من الله تعالى هو أكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابى وفى الخبر يقول الله عز وجل انما خلقت الخلق ليربحوا علىّ ولم أخلقهم لأربح عليهم وفى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ماخلق الله شيأ الا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه وفى الخبر المشهور ان الله سبحانه كتب على نفسه قبل أن يخلق الخلق ان رحمتى تغلب غضبى وعن معاذ بن جبل وأنس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقى الله لا يشرك به شيأ حرم الله عليه النار ولا يدخل النار من فى قلبه وزن ذرة من ايمان وفى خبر آخر لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد الحديث وفى الخبر لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وفى الخبر ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد حتى ان ابليس ليتطاول رجاء أن تصيبه وفى الخبر ان لله مائة رحمة الحديث قلت خرجه مسلم والبخارى ولفظ مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال جعل الله

الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل فى الارض جزأ واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه ولمسلم فى طريق آخر كل رحمة منها طباق ما بين السماء والارض فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة وفى بعض الروايات فاذا كان يوم القيامة جمعت الواحدة الى التسعة والتسعين فكملن مائة رحمة حتى ان ابليس ليتطاول اليها رجاء ان ينال منها شيأ قال القرطبي قال ابن مسعود رضى الله عنه لن تزال الرحمة بالناس حتى ان ابليس ليهتز صدره يوم القيامة مما يرى من رحمة الله تعالى وشفاعة الشافعين ونقل أبو نعيم فى حليته عن وهب بن منبه أنه قال فى الزبور يا داود هل تدرى من أسرع مرا على الصراط الذين يرضون بحكمى وألسنتهم رطبة من ذكرى هل تدرى يا داود أى المؤمنين أحب الى أن أطيل حياته الذى اذا قال لا اله الا الله اقشعر جلده فانى أكره لذلك المؤمن الموت كما يكره الوالد لولده ولابد منه انى أريد أن أسره فى دار سوى هذه الدار فان نعيمها فيها بلاء ورخاؤها فيها شدة فيها عدو لا يألوهم خبالا يجرى منهم مجرى الدم من أجل ذلك عجلت أوليائى الى الجنة لولا ذلك ما مات آدم ولا ولده المؤمنون حتى ينفخ فى الصور انى أدرى ما تقول فى نفسك يا داود تقول قطعت عنهم عبادتك أما تعلم يا داود انى أثيب المؤمن على عثرة يعثرها فكيف اذا ذاق الموت وهو من أعظم المصائب ويرى جسده الطيب بين أطباق الثرى انما أحبسه طول ما أنا أحبسه لأعظم له الاجر وأجرى عليه أحسن ما كان يعمله الى يوم القيامة قال داود ولك الحمد الهى من أجل ذلك سميت نفسك أرحم الراحمين ثم قال الهى فما جزاء من يبكى من خشيتك حتى تسيل دموعه على خديه قال جزاؤه أن أحرم وجهه على النار وروى أبو نعيم عن سعيد بن جبير قال قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام أيخلق ربك خلقا ثم يعذبه فأوحى الله اليه يا موسى ازرع قال زرعت قال أحصد قال قد حصدت قال ادرس قال قد درست قال ذره قال قد ذريته قال فما بقى منه قال ما لا خير فيه قال فكذلك لا أعذب الا من لا خير فيه وروى أبو نعيم بسنده عن يحيى بن سعيد القطان عن نوفل بن مسعود قال دخلنا على أنس بن مالك رضى الله عنه فقلنا حدثنا بما سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث من كن فيه حرم على النار وحرمت النار عليه ايمان بالله وحب لله وأن يلقى فى النار فيحترق أحب اليه من أن يرجع فى الكفر وفى البخارى قال ان الله تعالى مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة * ولنرجع الى نقل كلام الغزالى قال وقال صلى الله عليه وسلم انى اختبأت شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى أترونها للمطيعين المتقين بل للمخلطين المتلوثين وأما الآثار فقد قال على رضى الله عنه من أذنب ذنبا فستره الله عليه فى الدنيا فالله تعالى أكرم من أن يكشف ستره فى الآخرة ومن أذنب ذنبا فعوقب عليه فى الدنيا فالله تعالى أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده فى الآخرة وقال بعض السلف المؤمن اذا عصى الله تعالى ستره الله تعالى عن أبصار الملائكة كى لا تراه فتشهد عليه قلت ومن هذا المعنى ما حكاه ابن أبى جمرة رحمه الله تعالى قال وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله يا من أظهر الجميل وستر القبيح ان الله عز وجل خلق تحت العرش تماثيل على صفة كل شخص من بنى آدم فاذا تحرك الآدمى بأى نوع تحرك تحرك ذلك التمثال بمثل ما تحرك به الآدمى لكن بفضل الله ان كان تحرك الآدمى بطاعة تحرك ذلك التمثال بمثلها فأبصرته الملائكة فاستغفرت له ودعت له وان كان بمخالفة أو مكروه ستر الله عز وجل ذلك التمثال عن الملائكة فلا يرونه حين يتحرك بالمعصية فسبحان من هذا حلمه بعد علمه قال ابن أبى جمرة رحمه الله تعالى وقال عليه السلام من أصبح وأمسى لا ينوى ظلما لأحد غفر له ما جنى قال الغزالى ولقى مالك بن دينار أبانا فقال الى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا أبا يحيى انى لارجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كسائى هذا من الفرح وفى حديث ربعى بن حراش عن أخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات أخى سجى بثوبه وألقيناه على نعشه فكشف

الثوب عن وجهه واستوى قاعدا فقال انى لقيت ربى عز وجل فحيانى بروح وريحان وهو عنى غير غضبان وانى رأيت الامر أيسر مما تظنون فلا تغتروا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرنى وأصحابه حتى أرجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكأنها حصاة وقعت فى طست فحملناه ودفناه قلت وقد ذكرنا هذه الحكاية فى كتابنا الانوار فى معجزات النبى المختار صلى الله عليه وسلم عن ابن القطان والسهيلى وفيه قال ربعى مات أخى فسجيناه وجلسنا حوله فبينما نحن كذلك اذ كشف عن وجهه ثم قال السلام عليكم قلت سبحان الله أبعد الموت قال انى لقيت ربى فتلقانى بروح وريحان وهو عنى غير غضبان وكسانى ثيابا خضرا من سندس واستبرق أسرعوا بى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قد أقسم أن لا يبرح حتى أدركه وآتيه وان الامر أهون مما تذهبون اليه فلا تغتروا قال الغزالى وفى الاثر أن رجلين كانا من العابدين متساويين فى العبادة فاذا أدخلا الجنة رفع أحدهما فى الدرجات العلى على صاحبه فيقول يارب ما كان هذا فى الدنيا بأكثر منى عبادة فرفعته على فى عليين فيقول الله سبحانه انه كان يسألنى فى الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسألنى النجاة من النار وأعطيت كل عبد سؤله قال الغزالى وهذا يدل على أن العبادة على الرجاء أفضل كما قدمنا لأن المحبة أغلب على الراجى منها على الخائف فكم من فرق فى الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لانعامه واكرامه ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله الدرجات العلى فانما تسألون كريما وقال صلى الله عليه وسلم اذا سألتم الله سبحانه فاعظموا الرغبة وسلوا الله الفردوس الاعلى فان الله لا يتعاظمه شئ وقال بكر بن سليمان الصواف دخلنا على مالك بن أنس فى العشية التى قبض فيها فقلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك فقال لا أدرى ما أقول لكم الا انكم ستعاينون من عفو الله سبحانه مالم يكن لكم فى حساب ثم ما برحنا حتى أغمضناه رضى الله عنه وقد نقلها عبد الحق فى العاقبة ولفظه وقال مالك بن أنس لمن حضره وقد نزل به الموت ليعاين الناس غدا من عفو الله وسعة رحمته مالم يخطر على قلب بشر قال كشف له رضى الله عنه من سعة رحمة الله وكثرة عفوه وعظيم تجاوزه ما أوجب ان قال هذا قلت وقد روى أبو نعيم فى الحلية عن مسعر بن كدام عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله سبحانه بعثنى بالحق ليرين الناس يوم القيامة من رحمة الله سبحانه شيأ لم يخطر على قلب ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا عبد صالح قلت وهذا حديث عظيم وقد أثنى سفيان الثورى وسفيان بن عيينة وشعبة بن الحجاج وغيرهم على مسعر وتوفى مسعر فى حياة سفيان الثورى قال على بن المدينى قال يحيى بن سعيد القطان ما رأيت أثبت من مسعر وقال شعبة كنا نسمى مسعرا المصحف وقال سفيان الثورى كنا اذا اختلفنا فى شئ اتينا مسعرا فسألناه قال سفيان قيل للاعمش ان مسعرا يشك فى حديثه فقال شك مسعر كيقين غيره وقال أبو حاتم الرازى شك مسعر أحب الى من يقين غيره وقال ابن داود كل قد أوهم فى حديثه غير مسعر وقال ابن عيينة سمعت مسعرا يقول التدليس دناءة قال الغزالى ورأى الاستاذ أبو سهل الصعلوكى أبا سهل الزجاج فى المنام وكان يقول بوعيد الابد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الامر أسهل مما توهمنا ورأى بعضهم أبا سهل الصعلوكى فى المنام على هيئة حسنة فقال له يا أستاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظنى بربى وحكى ان أبا العباس بن سريج رأى فى مرض موته فى منامه كأن القيامة قد قامت فاذا الجبار سبحانه يقول أين العلماء فجاؤا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يارب قصرنا وأسأنا قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض الجواب وأراد جوابا آخر فقلت أما أنا فليس فى صحيفتى الشرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه قال فاذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال قلت وقد أطال الغزالى فى أسباب الرجاء وها أنا أستدرك ان شاء الله تعالى بعض أحاديث الرجاء المقوية لحسن الظن بالله سبحانه معزوة لمخرجيها لانى أميل الى العزو اذ به يثلج الصدر وبه تنشرح الصدور ويستولى عليها الضياء والنور وقد روى أبو نعيم فى الحلية عن يونس بن ميسرة قال دخلنا على يزيد بن الاسود عائدين ودخل واثلة بن الاسقع رضى الله عنه فلما نظر اليه يزيد مد يده فأخذ يده

فمسح بها وجهه وصدره لانه بايع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا يزيد كيف ظنك بربك فقال حسن قال ابشر فانى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى أنا عند ظن عبدى ان خيرا فخير وان شرا فشر وقد روى البخارى ومسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قدم سبى على النبى صلى الله عليه وسلم فاذا امرأة من السبى قد تحلب ثديها تسعى اذا وجدت صبيا فى السبى أخذته فألصقته ببطنها فأرضعته فقال لنا النبى صلى الله عليه وسلم أترون هذه طارحة ولدها فى النار قلنا لا وهى تقدر على أن لا تطرحه قال الله أرحم بعباده من هذه بولدها وروى أبو داود عن عامر الرامى رضى الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل رجل وعليه كساء وفى يده شئ قد التف عليه فقال يا رسول الله مررت بغيضة فسمعت فيها أصوات فراخ طير فأخذتهن فوضعتهن فى كسائى فجاءت أمهن فاستدارت على رأسى فكشفت لها عنهن فوقعت عليهن فلففتهن بكسائى فهى معى قال ضعهن فوضعتهن فأبت أمهن الا لزومهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعجبون لرحم أم الافراخ بفراخها والذى بعثنى بالحق لله أرحم بعباده من أم الافراخ بفراخها ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمهن معهن فرجع بهن وروى البخارى ومسلم واللفظ لمسلم عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل قال يا معاذ بن جبل قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال يا معاذ بن جبل قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال يا معاذ بن جبل قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال مامن عبد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله الا حرمه الله على النار قال يا رسول الله ألا أخبر به الناس فيستبشروا قال اذا يتكلوا فأخبر به معاذ عند موته تأثما أى تحرجا من الاثم وروى مسلم والبخارى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال كنت ردف النبى صلى الله عليه وسلم ليس بينى وبينه الا مؤخرة الرحل فقال يا معاذ بن جبل قلت لبيك رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبيك رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبيك رسول الله وسعديك قال هل تدرى ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله أعلم قال فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ ثم سار ساعة فقال يا معاذ بن جبل فقلت لبيك رسول الله وسعديك قال هل تدرى ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم قال أن لا يعذبهم وفى صحيح مسلم من رواية أبى هريرة رضى الله عنه قال أعطانى النبى صلى الله عليه وسلم نعليه قال اذهب بنعلى هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة الحديث قال صاحب التذكرة وروى أبو القاسم اسحق بن ابراهيم الختلى فى كتاب الديباج له عن ابن عباس وعلى بن حسين رضى الله عنهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أخبرنى جبريل عليه السلام أن لا اله الا الله أنس للمسلم عند موته وفى قبره وحين يخرج من قبره يا محمد لو تراهم حين يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن رؤسهم هذا يقول لا اله الا الله والحمد لله فيبيض وجهه وهذا ينادى يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله فيسود وجهه قال وحدثنى يحيى بن عبد الحميد بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة عند الموت ولا فى قبورهم ولا فى منشرهم كأنى بأهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم وهم يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وينبغى للعبد أن يعوّد نفسه البكاء على آخرته لعل الله سبحانه ينجيه من هول ما بعد الموت روى أبو نعيم فى الحلية عن ابى ريحانة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال حرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله وحرمت النار على عين دمعت من خشية الله وقال الثالثة فنسيتها قال أبو شريح بعد ذلك وحرمت النار على عين غضت عن محارم الله وروى أبو نعيم عن كعب الاحبار قال مامن رجل يبكى من خشية الله فتسيل دموعه على الارض فتقطر فتصيبه النار أبدا حتى يرجع قطر السماء اذا وقع على الارض الى السماء ولأن أبكى من خشية الله تعالى فتسيل دموعى على وجنتى أحب الىّ من أن أتصدق بوزنى ذهبا أو بجبل من ذهب

وروى أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال لااله الاالله دخل الجنة ولو قالها يوما من الدهر أصابه قبل ذلك ما أصابه وأسند عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من مات وهو يشهد أن لا اله الا الله أوقال لايشرك بالله شيأ دخل الجنة وخرج البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من خرج من عينيه مثل جناح ذباب دموعا من خشية الله لم يدخل النار حتى يعود اللبن فى ضرعه وروى أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كل عين باكية يوم القيامه الا عينا غضت عن محارم الله عز وجل وعينا سهرت فى سبيل الله وعينا خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله عز وجل وفى صحيح مسلم عن الصنابحى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال دخلت عليه وهو فى الموت فبكيت فقال لى مهلا لم تبكى والله لئن استشهدت لأشهدن لك ولئن شفعت لاشفعن لك ولئن استطعت لانفعنك ثم قال والله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وقد خرجه أيضا أبو عيسى الترمذى بهذا السياق وفيه وسأحدثكموه وفى صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه فى غزوة تبوك لما جمعوا مابقى من أزوادهم فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليها بالبركة ثم قال خذوا فى أوعيتكم قال فأخذوا فى أوعيتهم حتى ماتركوا فى العسكر وعاء الا ملؤه وأكلوا وشبعوا وفضلت فضلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله لايلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة وفى رواية له غير شاك فيهما الا دخل الجنة وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل فى ابراهيم رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم أمتى اللهم أمتى وبكى فقال الله عز وجل ياجبريل اذهب الى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله عز وجل ياجبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك فى أمتك ولانسوءك هذا لفظ مسلم ورواه أيضا النسائى وقال أبو الليث السمرقندى وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما اغرورقت عينا عبد من خشية الله تعالى الا حرم الله تعالى حدقتيه على النار وان سالت الدموع على خديه لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة ومامن شئ الا له ثواب ووزن الا الدمعة من خشية الله تعالى فانها تطفئ بحورا من نار جهنم ولو أن عبدا بكى من خشية الله تعالى فى أمة من الأمم أنجى الله تلك الامة ببكاء ذلك العبد وقد حكى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان قطرة من الدموع تطفئ سبعة أبحر من نار جهنم ثم قال قال الحسن البصرى حاكيا عن غيره والله مابكت العيون حتى بكت القلوب وقد نقل الجوزى عن أبي جعفر محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب رضي الله عنهم نحو ماتقدم ولفظه قال رحمه الله مااغرورقت عين بمائها الاحرم الله وجه صاحبها على النار فان سالت على الخدين لم يرهق وجهه قتر ولاذلة ومامن شئ الا له جزاء الا الدمعة فان الله يكفر بها بحور الخطايا ولو أن باكيا بكى فى أمة لحرم الله تلك الامة على النار وروى الترمذى والنسائى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود

اللبن

اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخر أبدا قال النسائي ويروى في جوف أبدا قال الترمذي وفي الباب عن أبي ريحانة وابن عباس قال وهذا حديث صحيح وروى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله وروى أبو بكر بن الخطيب بسنده عن أم كلثوم بنت العباس عن العباس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما تحات عن الشجرة اليابسة ورقها وحدث ابن الخطيب بسنده عن أنس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله طاست ما في صحيفته من السيآت حتى يعود الى مثلها وحدث بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم كأني أنظر اليهم اذا انفلقت الارض عنهم يقولون لا اله الا الله وحدث بسنده عن محمد الموصلي قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يارسول الله ان يحيى بن الحاني حدثنا عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما عنك صلى الله عليك انك قلت ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في منشرهم وكأني بأهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم و يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن فقال صدق ابن الحاني وقال القشيري في التحبير الله أرحم بعباده من كل أحد قال وفي بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بعض أسفاره فمر بامرأة تخبز ومعها صبي لها فقالت يارسول الله بلغني انك تقول ان الله سبحانه أرحم بعبده من الوالدة بولدها أفهو كما قيل لي فقال صلى الله عليه وسلم نعم فقالت فان الام لا تلقي ولدها في هذا التنور فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله تعالى لا يعذب الامن أبى أن يقول لا اله الا الله وروى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار على كل قريب هين سهل قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما اغرورقت عينا عبد من خشية الله تعالى فتمسه النار ذكره أبو منصور المهراني وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشهد أحد أن لا اله الا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه النار قال أنس بن مالك فأعجبني هذا الحديث فقلت لابني اكتبه فكتبه رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه سيخلص رجلا من أمتي على رؤس الخلائق يوم القيامة وينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وأنت لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات قال فانك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شئ رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وابن حبان في صحيحيهما وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وطاشت معناه خفت والسجل الصحيفة والبطاقة القطعة وروى أبو نعيم عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أباذر بشر الناس من قال لا اله الا الله دخل الجنة قلت وحدثنا الشيخ عبد الواحد الغرياني اجازة بسنده عن عبد الرزاق عن مالك عن الزهري عن سالم عن أبيه رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبلى الذنوب عن أمتي كما تبلى الابدان حتى يخرجون من قبورهم وما لأحدهم ذنب وبهذا السند عن عبد الرزاق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتي أمة مرحومة يدخلون القبور بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنب فقيل

عماذا يارسول فقال بطول البلى واستغفار الحى للميت قال القرطبي فى تذكرته وفى الخبر أنه اذا خفت حسنات المؤمن أخرج النبي صلى الله عليه وسلم بطاقة كالأنملة فيلقيها فى كفة الميزان اليمنى التى فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم بأبى أنت وأمى ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك فمن أنت فيقول أنا نبيك وهذه صلاتك التى كنت تصلى علىّ قد وفيتك اياها أحوج ما تكون اليها قال ذكره القشيرى فى تفسيره وروى أبو نعيم من حديث مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لأخيه حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت قال القرطبي قال الحسن يقول الله تعالى يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوى وادخلوا الجنة برحمتى واقتسموها بأعمالكم وقال صلى الله عليه وسلم ينادى مناد من تحت العرش ياأمة محمد أما ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التباعات تواهبوها فيما بينكم وادخلوا الجنة برحمتى قال الغزالى فى آخر كتاب الاحياء قال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما من زادت حسناته على سيآته يوم القيامة فذلك الذى يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيآته يوم القيامة فذلك الذى يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره وروى مسلم فى صحيحه عن أبى بردة أنه حدث عمر بن عبد العزيز عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يموت رجل مسلم الا أدخل الله مكانه النار يهوديا أو نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذى لا اله الا هو ثلاث مرات ان أباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فحلف له وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من لقى الله لا يشرك به شيأ دخل الجنة ومن لقيه يشرك به دخل النار وروى مسلم عن المعرور بن سويد قال سمعت أبا ذر رضى الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أتانى جبريل عليه السلام فبشرنى أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق وروى مسلم أيضا عن أبى الاسود الدؤلى ان أبا ذر رضى الله عنه حدثه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم عليه ثوب أبيض ثم أتيته فاذا هو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فجلست اليه فقال ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق ثلاثا ثم قال فى الرابعة على رغم أنف أبى ذر قال فخرج أبو ذر وهو يقول وان رغم أنف أبى ذر رواه أيضا البخارى ولفظه عن المعرور بن سويد عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى آت من ربى فاخبرنى أو قال بشرنى أنه من مات من أمتى لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق وروى أبو نعيم فى الحلية عن محمد بن واسع عن ابن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحرم النار على كل هين لين سهل قريب وروى أبو نعيم عن مالك بن دينار عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى جبريل عليه السلام عن الله عز وجل أنه يقول وعزتى وجلالى ووحدانيتى وفاقة خلقى الى واستوائى على عرشى وارتفاع مكانى انى لأستحيى من عبدى وأمتى يشيبان فى الاسلام أن أعذبهما ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى عند ذلك فقلت ما يبكيك يانبى الله فقال بكيت لمن يستحيى الله منه ولا يستحيى من الله عز وجل وروى أبو نعيم عن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى فى اليوم ثنتى عشرة ركعة حرم الله عز وجل لحمه على النار قال فما تركتها بعد وذكر أبو نعيم فى الحلية ان رجلا سأل وهب بن منبه فقال له حدثنى رحمك الله عن زبور داود قال نعم وجدت فى آخر ثلاثين سطرا يا داود اسمع منى والحق أقول من لقينى وهو يحبنى أدخلته الجنة

ياداود اسمع مني والحق أقول من لقيني وهو يخاف عـذابي لم أعذبه ياداود اسمع مني والحق أقول من لقيني وهو مستحي من معاصيه أنسيت حافظيه ذنوبه ولم أسأله عنها ياداود اسمع مني والحق أقول لوأن عبدا من عبادي عمل حشو الدنيا ذنوبا مشارقها ومغاربها ثم ندم حلب شاة واستغفرني مرة واحدة فعلمت من قلبه أنه لايريد أن يعود اليها ألقيتها عنه أسرع من هبوط المطر من السماء الى الارض ياداود اسمع مني والحق أقول لوأن عبدا أتاني بحسنة واحدة حكمته في جنتي قال داود يارب من أجل ذلك لايحل لمن عرفك أن يقطع رجاءه منك قلت وهذا الكلام هكذا وجدته أنا أيضا في آخر زبور داود وفيه زيادة بعد قوله حكمته في جنتي فقال داود يارب وما تلك الحسنة قال ياداود تفرج عن كل مكروب بتمرة وروى أبو نعيم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يبعث مناد عند حضرة كل صلاة فيقول يابني آدم قوموا فاطفئوا عنكم ما أوقدتم على أنفسكم فيقومون فيتطهرون فتسقط خطاياهم من أعينهم ويصلون فيغفر لهم مابينهما فاذا حضرت العصر فمثل ذلك فاذا حضرت المغرب فمثل ذلك فاذا حضرت العتمة فمثل ذلك فينامون وقد غفر لهم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمدلج في خير ومدلج في شر قلت وأحاديث الرجاء كثيرة وهذا القدر منها كاف وقصدنا من جمعها أن يذكربها المحتضر لعله يموت وهو يحسن الظن بالله سبحانه ويحسن أن يذكربها من غلب عليه الخوف وخيف عليه القنوط نسأل الله سبحانه ان يعاملنا واياكم بالحسنى ويبلغنا واياكم من مقامات أوليائه المحل الاسنى انه جواد كريم رؤف رحيم

﴿فصل في تلقين الميت﴾ روى مسلم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقنوا موتاكم لااله الاالله قال القرطبي وذكر ابن أبي الدنيا عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه أنه قال اذا احتضر الميت فلقنوه لااله الاالله فانه مامن عبد يختم له بها الا كانت زاده الى الجنة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون مالاترون وروى أبونعيم عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أحضروا موتاكم ولقنوهم لا اله الا الله وبشروهم بالجنة فان الحكيم من الرجال يتحير عند ذلك المصرع وان الشيطان أقرب مايكون من ابن آدم عند ذلك المصرع الحديث قلت وروى أبو داود والحاكم في المستدرك على الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لااله الا الله دخل الجنة قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد وحدث أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت شهربان الخطيب بسنده المتصل عن نافع قال قلت لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما أكثر ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرخصة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لارجو أن لايموت أحد يشهد أن لااله الا الله مخلصا من قلبه فيعذبه الله عز وجل وخرج الطبراني بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حضر ملك الموت عليه السلام رجلا فنظر في عضو من أعضائه فلم يجد حسنة ثم شق عن قلبه فلم يجد فيه شيأ ثم فك عن لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لااله الاالله فقال وجبت لك الجنة بقولك كلمة الاخلاص قلت وعمدة الامر حسن الظن بالله سبحانه فمولانا كريم سبحانه وقد روى أبو نعيم في حليته عن أبي الجوزاء أنه قال لجلسائه لوأن ناسا من فقهائكم وأغنيائكم انطلقوا الى رجل فقيه غني فسألوه كوزا من ماء أكان يعطيهم قالوا ياأبا الجوزاء ومن ذا يمنع كوزا من ماء قال أبو الجوزاء والله لله تعالى أجود بجنته من ذلك الرجل بذلك الكوز من الماء قلت

وهذا ظن حسن جميل يليق بكرم المولى سبحانه وقد روى أبونعيم عن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من بلغ الثمانين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وروى أبونعيم عن سمرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من سره أن يعلم ماله عند الله فليعلم ماالله عنده وروى أبونعيم عن ابن السماك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات فى طريق مكة لم يعرض ولم يحاسب أى قاصدا الحج أو العمرة وروى مسلم عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات وهو يعلم لا اله الا الله دخل الجنة قال الغزالى رحمه الله وانما معنى هذه الكلمة ان يموت العبد وليس فى قلبه غير الله فاذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه على محبوبه غاية النعيم فى حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها متأسفا على لذتها وكانت الكلمة على طرف اللسان دون القلب وقع الامر فى خطر المشيئة فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله عز وجل بالقبول قال القرطبى قال علماؤنا وتلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل به المسلمون وذلك ليكون آخر كلامه لا اله الا الله فاذا قالها مرة واحدة فلا تعاد عليه لئلا يضجر منها فان تكلم بكلام ثان أعيد عليه التلقين وقد يكون التلقين بذكر الحديث عند الرجل العالم كما ذكر أبونعيم الحافظ ان أبا زرعة لما كان فى السوق وعنده أبو حاتم ومحمد بن مسلم والمنذر بن شاذان وجماعة من العلماء فذكروا حديث التلقين فاستحيوا من أبى زرعة فقالوا تعالوا نتذاكر الحديث فقال محمد بن مسلم حدثنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبى ولم يجاوزه وقال أبو حاتم حدثنا بندار حدثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبى ولم يجاوزه والباقون سكوت فقال أبو زرعة وهو فى السوق حدثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبى عريب عن كثير بن مرة الحضرمى عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وفى رواية حرمه الله على النار وتوفى رحمه الله قال ابن الفاكهانى قوله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله أى مع قول محمد رسول الله فيلقن الشهادتين معا وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله أى مع الشهادة الاخرى وهو محمد رسول الله قال وهذا أمر لا ينبغى أن يختلف فيه اذ لا يكون العبد مسلما الا بهما فينبغى أن يلقنهما جميعا ليموت عليهما

﴿فصل﴾ وعن معقل بن يسار رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلب القرآن يس لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له اقرؤها على موتاكم رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم فى المستدرك على الصحيحين وهذا لفظ النسائى وهو عند الباقين مختصر قال ابن الفاكهانى وجاء أيضا فى بعض الآثار أن المحتضر اذا قرئت عليه سورة يس بعث الله عز وجل له ملكا الى ملك الموت أن هوّن على عبدى الموت وروى أبونعيم فى الحلية عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أهل ابيات من جيرانه الادنين انهم لا يعلمون الا خيرا الا قال الله تعالى قد قبلت قولكم أو قال شهادتكم وغفرت له مالا تعلمون وروى أبونعيم بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاصك بلا اله الا الله أن تحجزك عما حرم الله عليك وقال سهل بن عبد الله ليس لمن يقول لا اله الا الله ثواب الا النظر الى الله سبحانه والجنة ثواب الاعمال

﴿باب ما يدعو به العبد قبل موته﴾

ومن كتاب الاحياء للغزالى والعاقبة لعبد الحق قالا روى عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى أنه قال لما

احتضر

احتضر أبو بكر الصديق رضي الله عنه أتاه ناس من أصحابه فقالوا له يا خليفة رسول الله انا نراك لما بك فأوصنا بوصية وزودنا بموعظة فقال من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الافق المبين قالوا وما الافق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه رياض وأشجار وأنهار تغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعله الله في ذلك المكان اللهم انك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقني بمعاصيك اللهم انك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لهم مما علمت فاجعلني ممن تستعمله في طاعتك اللهم ان أحدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتي أن أشاء ما يقربني اليك اللهم انك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شئ الا باذنك فاجعل حركاتي في تقواك اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلا فاجعلني من ساكني جنتك اللهم انك أردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم وأردت بقوم الهدى وشرحت به صدورهم فاشرح صدري للايمان وزينه في قلبي اللهم انك دبرت الامور فجعلت مصيرها اليك فاحيني بعد الممات حياة طيبة وقربني اليك زلفى اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك فأنت ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة الا بالله قال أبو بكر رضي الله عنه وهذا كله في كتاب الله عز وجل وروى الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن سعد بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين أيما مسلم دعا بها في مرضه اربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطي أجر شهيد وان برئ برئ وقد غفر الله له جميع ذنوبه قلت ومن أكثر من قراءة قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين الى قوله بقلب سليم في مرضه كان ملطوفا به فاعرفه وادع لي وقال الغزالي رحمه الله تعالى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال تقول لا اله الا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله أكبر كبيرا كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم ان أنت أمرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وروى الترمذي عن الأغر أبي مسلم قال أشهد على أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما انهما شهدا على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال لا اله الا الله والله أكبر صدقه ربه وقال لا اله الا أنا وأنا أكبر واذا قال لا اله الا الله وحده قال يقول الله لا اله الا أنا وحدي واذا قال لا اله الا الله وحده لا شريك له قال الله لا اله الا أنا وحدي لا شريك لي واذا قال لا اله الا الله له الملك وله الحمد قال الله لا اله الا أنا لي الملك ولي الحمد واذا قال لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله قال الله لا اله الا أنا ولا حول ولا قوة الا بي وكان يقول من كان يقولها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار ورواه النسائي عن أبي هريرة وحده مرفوعا قال من قال لا اله الا الله والله أكبر لا اله الا الله وحده لا اله الا الله وحده لا شريك له لا اله الا الله له الملك وله الحمد لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله يعقدهن خمسا باصابعه ثم قال من قالهن في يوم أو ليلة أو شهر ثم مات في ذلك اليوم أو في تلك الليلة أو في ذلك الشهر غفر له ذنبه وفي الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان ربكم رحيم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان عملها كتبها الله سيئة واحدة أو يمحها ولا يهلك على الله الا هالك فهذا حديث صحيح عظيم من أعظم أحاديث الرجاء

﴿باب ما يقال عند المريض وفى اغماضه ومن يحضره﴾

روى مسلم وغيره عن أم سلمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرا فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون قالت فلما مات أبو سلمة أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان أبا سلمة قدمات قال قولى اللهم اغفرلى وله واعقبنى منه عقبى حسنة قالت فقلت فأعقبنى الله من هو خير لى منه محمدا صلى الله عليه وسلم قلت هذا الحديث رواه الجماعة الا البخارى وأعنى بالجماعة الكتب الستة البخارى ومسلما وأباداود والترمذى والنسائى وابن ماجه وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال ان الروح اذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله فقال لا تدعوا على أنفسكم الا بخير فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون ثم قال اللهم اغفر لابى سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين واغفرلنا وله يارب العالمين وافسح له فى قبره ونور له فيه رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه قوله فى الغابرين أى الباقين قال القرطبى واستحب العلماء ان يحضر الميت الصالحون وأهل الخير حالة موته ليذكروه ويلقنوه ويدعوا له قال أبو داود تغميض الميت انما هو بعد خروج الروح سمعت محمد بن محمد المقرى قال سمعت أبا ميسرة وكان رجلا عابدا قال غمضت جعفرا المعلم وكان رجلا عابدا فى حالة الموت فرأيته فى منامى يقول أعظم ما كان على تغميضك لى قبل أن أموت وروى ان العبد اذا كان عند موته قعد عنده شيطانان أحدهما على صفة أبيه يقول له يابنى مت على دين النصارى وهو خير الاديان والآخر على شماله على صفة أمه يقول له يابنى مت على دين اليهود فهو خير الاديان قال الغزالى فى الدرة الفاخرة فاذا أراد الله بعبده هداية وتثبيتا جاءته الرحمة وقيل جبريل عليه السلام فيطرد الشياطين عنه ويمسح الشحوب عن وجهه فيتبسم الميت لامحالة وكثير من يرى متبسما فى هذا المقام فرحا بالبشير الذى جاءه رحمة من الله تعالى فيقول يافلان أما تعرفنى أنا جبريل وهؤلاء أعداؤك من الشياطين مت على الملة الحنيفية والشريعة الجليلة فما شئ أحب اليه وأفرح منه بذلك الملك وهو قوله تعالى وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ثم يقبض روحه وروى ابن المبارك وسفيان عن ليث عن مجاهد قال ما من ميت الا يعرض عليه أهل مجالسته الذين كان يجالس ان كانوا أهل لهو فأهل لهو وان كانوا أهل ذكر فأهل ذكر قال الجوزى رحمه الله تعالى وليكن المؤمن منتظرا عند الموت بشارة الملك بتسليم الحق سبحانه عليه قال ابن مسعود رضى الله عنه اذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن قال له ربك يقرئك السلام قلت وحديث ابن المبارك المتقدم ذكره أيضا ابو نعيم فى الحلية عن مجاهد

﴿فصل﴾ ورأيت ان أذكر وصية لمن وفقه الله للعمل بها فى حياته يرجى له حسن الخاتمة والفوح عند مماته أذكر ذلك معزوا لاولياء الله تعالى الناظرين بعين البصيرة المستضيئين بأنوار الشريعة قال الغزالى رحمه الله تعالى لما تكلم على أمر الخاتمة واذ بان لك أمر الخاتمة وهو مخوف فاشتغل الآن بالاستعداد له وواظب على ذكر الله واحرس عن فعل المعاصى جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز من مشاهدة المعاصى ومشاهدة أهلها جهدك فان ذلك أيضا يؤثر فى قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك واياك ان تسوف وتقول سأستعد له اذا جاءت الخاتمة فان كل نفس من أنفاسك خاتمتك اذ قد يمكن ان تخطف فيه روحك فراقب فى كل تطريفة قلبك واياك ان تهمله لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك هذا مادمت فى يقظتك وأما اذا نمت فاياك أن تنام الا بطهارة الظاهر والباطن وان يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله على قلبك ولست أقول على لسانك فان حركة اللسان بمجردها ضعيفة الاثر واعلم

قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان قبل النوم غالبا عليه ولا تبعث من نومك الا على ما غلب على قلبك فى نومك والموت والبعث يشبه النوم والتيقظ فكما لا ينام العبد الا على ما كان عليه فى يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان عليه فى نومه فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه فتحقق قطعا ويقينا أن الموت والبعث حالتان من أحوالك كما أن النوم واليقظة حالتان من أحوالك وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب ان لم تكن أهلا لمشاهدة ذلك بعين البصيرة وراقب أنفاسك ولحظاتك واياك أن تغفل عن الله طرفة عين ثم قال بعد كلام واعلم ان متسع التدبير والتزود والاحتياط هذا العمر القصير فلو دفعته يوما بيوم فى تسويفك وغفلتك اختطفت فجأة فى وقت ارادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك وقال رحمه الله تعالى فعليك فى بياض نهارك أن لا تشتغل الا بما ينفعك فى معادك أو معاشك الذى لا تستغنى عن الاستعانة به على معادك وحاسب نفسك ورتب أورادك فى ليلك ونهارك وتعين لكل وقت شغلا لا تتعداه ولا تودع فيه سواه فبه تظهر بركة الاوقات واعزم على قيام الليل أو على القيام قبل الصبح بركعتين فركعتان فى جوف الليل كنزان من كنوز البر فاستكثر من كنوزك ليوم فقرك فلن تغنى عنك كنوز الدنيا شيأ اذا مت ولا تطوّل أملك فيثقل عليك عملك وقد قرب الموت منك وألزم نفسك الصبر أياما قلائل فان فعلت ذلك فرحت عند الموت فرحا لا آخر له وان سوّفت وتساهلت جاءك الموت فى وقت لا تحتسبه وتحسرت تحسرا لا آخر له وعند الصباح يحمد القوم السرى ولتعلمن نبأه بعد حين وقال عبد الحق بن رزق رحمه الله وأنا أوصيك بان تطيل النظر فى مرآة الفكرة مع كثرة الخلوات ثم قال ولا تفرح بكثرة العمل مع قلة الحزن واغتنم قليل العمل مع الحزن فان قليل حزن الآخرة الدائم فى القلب ينفى كل سرور ألفه من سرور الدنيا والحزن لا يصل الى القلب الا مع تيقظه وتيقظه حياته وسرور الدنيا لغير الآخرة لا يصل الى القلب الا مع غفلته وغفلة القلب موته وعلامة ثبات اليقين فى القلب استدامة الحزن فيه وعلامة ثبات حزن الآخرة فى القلب أنس العبد بالوحدة ﴿تنبيه﴾ ولما تكلم عبد الحق على أمر الخاتمة وما يخاف منها قال اعلم رحمك الله ان لسوء الخاتمة أعاذنا الله منها أسبابا ولها طرق وأبواب وأعظمها الانكباب على الدنيا والاعراض عن الاخرى والاقدام بالمعصية على الله سبحانه واعلم ان سوء الخاتمة أعاذنا الله منها لا تكون بفضل الله لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ما سمع بهذا ولا علم به والحمد لله وانما تكون لمن يكون له فساد فى العقد واصرار على الكبائر واقدام على العظائم فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل عليه الموت قبل التوبة ويثب عليه قبل الانابة ويأخذه قبل اصلاح الطوية فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله ثم العياذ بالله أو يكون لمن كان مستقيما ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سننه ويأخذ فى غير طريقه فيكون ذلك سببا لسوء خاتمته والعياذ بالله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم اللهم انا نعوذ بك من جهد البلاء وسوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء اللهم اختم لنا بما ختمت به من السعادة لاوليائك وانعم علينا بما أنعمت به من الكرامة لاصفيائك قال ابن الفاكهانى فى شرحه للاربعين حديثا قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث ابن مسعود ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه الحديث وفيه فوالذى لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها رواه مسلم والبخارى قال ابن الفاكهانى ظاهر هذا الحديث ان هذا العامل كان عمله صحيحا وانما منعه من دخول الجنة سابق القدر الذى ظهر عند الخاتمة وأما العامل المذكور فى كتاب الايمان فى صحيح مسلم ورواه البخارى أيضا الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما

يبدو للناس وهو من أهل النار فانه لم يكن عمله صحيحا فى نفسه وانما كان رياء وسمعة فيستفاد منه الحض على اخلاص العمل والتحذير من الرياء ويستفاد من حديث ابن مسعود الحض على ترك العجب بالاعمال والركون اليها وانما التعويل على كرم الله سبحانه ورؤية المنة له حيث وفقه للعمل وقال عياض رحمه الله تعالى فى حديث ابن مسعود ومافى معناه المراد بهذا الحديث أن هذا قد يقع فى نادر من الناس لانه غالب فيهم ان من لطف الله تعالى وسعة رحمته ان انقلاب الناس من الشر الى الخير فيه كثرة وأما انقلابهم من الخير الى الشر ففى غاية الندور ونهاية القلة وهو نحو قوله تعالى ان رحمتى سبقت غضبى أو غلبت غضبى قلت وهذا والحمد لله هو الذى نعتقد وسيأتى من كلام الغزالى مايوضح هذا المعنى والله الموفق بفضله نسأل الله سبحانه أن يمن علينا وعليكم بحسن الخاتمة وأن يحشرنا فى زمرة أوليائه والصالحين من عباده آمين

باب جامع لمواعظ وفى ذكر الخاتمة والحث على الاستعداد للآخرة وماجاء فى ذلك من كلام أولياء الله العارفين نظما ونثرا وماجاء فى الشيب

ومن كتاب أبى عمر أحمد بن عبد ربه المسمى بالبتيمة قال كتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن البصرى عظنى وأوجز فكتب اليه أما بعد فان فيما أمرك الله شغلا عما نهاك عنه والسلام قال ابن عبد ربه قال الفضيل بن عياض وعد من الله سبحانه لمن خافه أن يدخله الجنة وتلا قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قلت وهذا انتزاع حسن وفى معناه قوله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى قال ابن عبد ربه وقال اعرابى لاخيه ياأخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لاتفوته وتطلب ماقد كفيته فكأن ماغاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه فامهد لنفسك وأعد زادك وخذ فى جهازك وقال اعرابى لرجل أى أخى ان ايسار النفس خير من ايسار المال فان لم ترزق غنى فلا تحرم تقى وحسن ثنى فرب شبعان من النعم غرثان من الكرم واعلم ان المؤمن على خير ترحب به الارض وتستبشر به السماء ولن تسيء اليه الارض فى بطنها وقد أحسن على ظهرها وقال اعرابى مابقاء عمر تقطعه الساعات وسلامة بدن معرض للآفات ولقد عجبت من المؤمن يكره الموت وهو ينقله الى الثواب الذى أحيا له ليله وأظمأ له نهاره وينبغى للعبد أن يكثر التفكر فى أمر آخرته ليستعد لها فقد قيل التفكر نور والغفلة ظلمة وقد قال ابن عطاء الله الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له قال عبد الحق رحمه الله تعالى فى باب مايحذر من سوء الخاتمة أعاذنا الله من سوء الخاتمة بفضله اعلم رحمك الله ان أمر الخاتمة اذا ذكر حقيقة ذكره انفطرت له القلوب وتشققت وانصدعت له الاكباد وتقطعت ففى الخبر الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة وانما الاعمال بالخواتم قلت هذا الحديث رواه مسلم من حديث سهل ابن سعد الساعدى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا وفى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رجل لايدع للمشركين شاذة الا اتبعها يضربها بسيفه فأخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فقال أما انه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقال رجل من القوم أنا لكم به فخرج فى طلبه حتى جرح جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالارض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فخرج الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد انك رسول الله قال وماذاك قال الرجل الذى ذكرت آنفا انه من أهل النار قتل نفسه فقال النبى صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل عمل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة الحديث مختصر قال عبد الحق فانظر رحمك الله كيف تقر عين عاقل فى هذه الدار وكيف يستقر له فيها قرار مع هذه

الحال

الحال وتوقع هذا المثال لكن حجاب الغفلة الذى غطى على القلوب كثف فلا ترى ماوراءه والوقر الذى فى الآذان عظم فلا تسمع من ناصح دعاءه وقد بكى أولو الالباب على هذا فاكثروا وسهروا ومن أجله الليالى الطويلة وأسهروا ورام عاذلوهم كفهم عما هم فيه فلم يقدروا وذلك للعلم الذى لاح لهم والتأييد الذى شملهم والتوفيق الذى يسرلهم ورُبما هبت عليهم نفحات الرجاء فاستبشروا وسكنوا من ذلك الهيجان وفتروا فلتسلك رحمك الله على منهاج هؤلاء العقلاء ولتمش على آثار هؤلاء الفضلاء وأدم حسرتك وأمزج بدم الفؤاد عبرتك وابك على نفسك ثم ابك وصل البكا بالبكا والأسى بالأسى حتى تنكشف لك هذه الغاية وبكى سفيان الثورى رحمه الله تعالى ليلة الى الصباح فقيل له أبكاؤك هذا على الذنوب فأخذ تبنة من الارض فقال الذنوب أهون من هذا انما أبكى خوف الخاتمة وبكى غير سفيان وانه الامر يبكى عليه ويصرف الاهتمام كله اليه وقد قيل لاتكف دمعك حتى ترى فى المعاد ربعك وقيل لا يخصبك جناب ولا تأنس بكعاب حتى ترى ماخط لك فى أم الكتاب وتستبين لك العاقبة والمآب وقيل يا ابن آدم الاقلام عليك تجرى وأنت فى غفلة لاتدرى يا ابن آدم دع عنك التنافس فى هذه الدار حتى ترى مافعلت فى أمرك الاقدار سمع بعض الصالحين منشدا ينشد * أياراهبى نجران مافعلت هند * فبكى ليلته الى الصباح فسئل عن ذلك فقال قلت فى نفسى مافعلت الاقدار فىّ وماذا جرت به علىّ وقد علمت رحمك الله ان الناس صنفان صنف مقرب مصان وآخر مبعد مهان صنف نصبت لهم الاسرة والحجال والارائك والكلال وجمعت لهم الرغائب والآمال وآخرون أعدت لهم الاراقم والصلال والمقامع والاغلال وضروب الاهوال والانكال وأنت لاتعلم من أيهما أنت ولاف أى الفريقين كتبت

نزلوا بمكة فى قبائل نوفل * ونزلت بالبيداء أبعد منزل

وتقلبوا فرحين تحت ظلالها * وطرحت بالصحراء غير مظلل

وسقوا من الصافى المعتق ريهم * وسقيت دمعة واله متململ

أعاذنا الله من فريق أهل النار وكتبنا الله من فريق أهل السعادة الاخيار

﴿فصل﴾ قال سفيان الثورى رحمه الله تعالى من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وذكر الغزالى فى آخر كتاب قواعد العقائد عن أبى الدرداء رضى الله عنه انه كان يحلف بالله ما أمن أحد أن يسلب ايمانه الاسلبه قلت وهذا أمر عظيم يجب على العبد أن يكون خائفا من مولاه مادام فى هذه الدار ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وذكر أبو نعيم فى الحلية عن أبى ادريس الخولانى أنه قال ماعلى ظهرها من بشر لايخاف على ايمانه أن يذهب الا ذهب قلت وهذا نحو ما تقدم عن أبى الدرداء اللهم اختم لنا بخاتمة السعادة ياأرحم الراحمين ياأرحم الراحمين ياأرحم الراحمين قال الغزالى ويقال من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله منها وقيل هى عقوبة دعوى الولاية والكرامة بالافتراء قال الغزالى رحمه الله ان كنت طالبا سعادة الآخرة فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر فى الذكر الدائم والفكر اللازم فعساك ان تحظى من محبة مولاك والمعرفة به بنزر يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له قال وبحر المعرفة لاساحل له وكلما كثرت المعرفة بالله سبحانه وصفاته وأفعاله وأسرار مملكته وقويت كثر النعيم فى الآخرة وعظم قال واعلم ان أسعد الخلق حالا فى الآخرة أقواهم حبا لله سبحانه فان الآخرة معناها القدوم على الله سبحانه ودرك سعادة لقائه وما أعظم نعيم المحب اذا قدم على حبيبه قال وأصل الحب لاينفك عنه مؤمن لانه لاينفك عن أصل المعرفة الا ان بين المؤمنين فى ذلك تفاوتا قال فأصل السعادة هى المعرفة التى عبر الشرع عنها بالايمان اللهم أدم لنا الايمان وانعم علينا بالعرفان وتوفنا على الاسلام اللهم آمين اللهم آمين اللهم آمين قلت وروى أبو نعيم فى حليته عن الحكم

ابن عمير الثمالي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا في الدنيا أضيافا واتخذوا المساجد
بيوتا وعوّدوا قلوبكم الرقة وأكثروا التفكر والبكاء ولا تختلفن بكم الاهواء تبنون مالا تسكنون وتجمعون
مالا تأكلون وتأملون مالا تدركون وروى أبو نعيم عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة
أقرب الى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك قال الغزالي كانت شعوانة تقول في دعائها الهي ما أشوقني
الى لقائك وأعظم رجائي لجزائك وأنت الكريم الذي لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يبطل عندك شوق
المشتاقين الهي ان كان دنا أجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللي فان
عفوت فمن أولى منك بذلك وان عذبت فمن أعدل منك هنالك الهي انك لم تزل بي برا أيام حياتي فلا
تقطع عني برك بعد مماتي ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي باحسانه أن يشفعني عند مماتي بغفرانه الهي
كيف أيأس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني الا الجميل في حياتي الهي ان كانت ذنوبي أخافتني
فان محبتي لك قد أجارتني فتول من أمري ما أنت أهله وعد بفضلك على من غره جهله الهي لو أردت اهانتي
لما هديتني ولو أردت فضيحتي لما سترتني فمتعني لماله هديتني وأدم لي ما به سترتني الهي ما أظنك تردني في
حاجة أفنيت فيها عمري الهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت
ثوابك قال محمد بن معاذ بن جبل حدثتني امرأة من المتعبدات قالت رأيت في منامي كأني أدخلت الجنة فاذا
أهل الجنة قيام على أبوابهم فقلت ما شأن أهل الجنة قيام فقيل لي خرجوا ينظرون الى هذه المرأة التي
زخرفت الجنان لقدومها فقلت ومن هذه المرأة قالوا أمة سوداء من أهل الايلة يقال لها شعوانة فقلت
أختي والله قالت فبينما أنا كذلك اذ أقبل بها على نجيب يطير بها في الهواء فلما رأيتها ناديتها يا أختي أما
ترين مكاني من مكانك فلو دعوت لي مولاك فألحقني بك قالت فنظرت الي وقالت لم يأن لقدومك ولكن
احفظي عني اثنتين ألزمي الحزن قلبك وقدمي محبة الله تعالى على هواك ولا يضرك متى مت قال صاحب
التذكرة روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت اذا أراد الله بعبد خيرا قيض له قبل موته بعام ملكا
فسدده ووفقه حتى يقول الناس مات فلان خير ما كان فاذا احضر ورأى ثوابه تهوعت نفسه فذلك حين
أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه واذا اراد الله بعبد شرا قيض له قبل موته بعام شيطانا فأضله وفتنه حتى
يقول الناس مات فلان شر ما كان فاذا احضر ورأى ما ينزل به من العذاب تبلغت نفسه فذلك حين كره لقاء
الله وكره الله لقاءه وخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله عز وجل اذا أراد بعبد خيرا استعمله فقيل كيف يستعمله يا رسول الله قال يوفقه لعمل صالح قبل
الموت قال أبو عيسى هذا حديث صحيح قال القرطبي ومنه الحديث الآخر اذا أراد الله بعبد خيرا عسله
قالوا يا رسول الله وما عسله قال يفتح الله له عملا صالحا بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله وروى ابن
جريج عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة في تفسير قوله تعالى حتى اذا جاء أحدهم الموت قال
رب ارجعون اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان و يقول قدما
الى الله عز وجل وأما الكافر فيقول ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت الآية وعن قتادة في تفسير
قوله تعالى فروح وريحان قال الروح الرحمة والريحان يتلقاه به عند الموت وقال ابن عطية الروح الرحمة
والسعة والفرج ومنه روح الله والريحان الطيب وهو دليل النعيم وقال مجاهد الريحان الرزق وقال
الضحاك الريحان الاستراحة قال ابن عطية وبالجملة فالريحان ما تنبسط اليه النفوس ونقل الثعلبي عن
أبي العالية أنه قال لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمها ثم يقبض
روحه فيها ونحوه عن الحسن

﴿فصل﴾ قال أبو حامد رحمه الله تعالى اعلم انك ان أهملت نفسك شردت ولم تظفر بها وان لازمتها

بالتوبيخ

بالتوبيخ والمعاتبة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله تعالى بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المرجوة للدعوة أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها وقل لها يانفس لا ينبغي ان تغرك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك فيما أمرك مهمل واستعدي للآخرة على قدر بقائك فيها كما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته فتجمعين الحطب واللبد والجبة ولا تتكلين على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولا لبد ولا حطب فانه قادر على ذلك أفتظنين ان زمهرير جهنم أخف برداً وأقصر مدة من زمهرير الشتاء أم تظنين ان العبد ينجو من جهنم من غير سعي هيهات هيهات كما لا يندفع برد الشتاء الا بالجبة والنار وسائر الاسباب فلا يندفع حر جهنم وبردها الا بحصن التوحيد والطاعات وانما كرم الله تعالى في ان عرفك التحصن ويسر لك أسبابه لا في ان يدفع عنك العذاب دون حصنه كما ان من كرم الله تعالى في دفع برد الشتاء أن خلق النار وهداك الى طريق استخراجها من بين حديد وحجر حتى تدفعي برد الشتاء عن نفسك وكما ان شراء الجبة والحطب مما يستغني عنه خالقك ومولاك وانما تشتريه لنفسك اذ خلقه سبباً لاستراحتك فطاعتك ومجاهدتك أيضا هو يستغني عنهما وانما هي طريق الى نجاتك فمن أحسن فلنفسه ومن عمي فعليها والله غني عن العالمين فقس آخرتك بدنياك فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بدأكم تعودون وسنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا فشمر عن ساق الجد وتزود للرحيل واعتبر بمن مضى من اخوانك أتظن انك تشيع جنائزهم وأنت باق بعدهم أتظن انهم دعوا الى الآخرة وأنت من الخالدين هيهات هيهات ما أنت يامسكين الا في هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمك قال رحمه الله والبصير هو الذي ينظر الى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحوق بهم وليتحقق انه لو عرض عليهم يوم واحد من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب اليهم من الدنيا بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشفت لهم حقائق الامور وعرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الامر من الاختيار ان لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فاعمل وفقك الله في أيام قصار لايام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره فما دام لك نفس من عمرك فالامر بيدك والاستعداد بيدك يسرنا الله واياكم لعمل الصالحات وأنعم علينا وعليكم بالفرح به والسرور عند الممات ومن كتاب توبيخ النفس للمحاسبي قال رحمه الله تعالى وتوبخ نفسك فتقول لها ويحك أنت اليوم مهملة وعن قريب تنقطع هذه المدة وكأنك بالموت قد غشيتك سكراته وحضرك الندم حيث لا ينفع الندم وأعطيت التوبة الصحيحة حيث لا تقبل ويحك أتدرين عما يكشف لك عنه الغطاء حينئذ ويحك تكلفي الحزن واطلبيه لعلك به من الحزن الاكبر تنجين ويحك فكري فيما سلف منك من الذنوب وتعودي البكاء عسى أن لا تسيل الدموع منك في نار جهنم ويحك استغيثي بارحم الراحمين واشتكي اليه وأدمي الاستغاثة ولا تملي فانه سيغيثك وان من اغاثته لك أن من عليك بالاستغاثة فألحي بالطلب فان المطلوب اليه كريم والمستغاث به رؤف رحيم ويحك أقبلي على مولاك عسى أن يقبلك واستغيثي به فان المستغيث مأذون له في الاستغاثة وان الداعي موفق للدعاء فما كان الكريم سبحانه يمن بالاستغاثة ويهيج على الطلب وهو يريد ان فعل ذلك به أن لا يجيبه ولكن لما لم يشكر المتفضل عليه بالدعاء على تمام نعمائه ولم يلح بطلب على قدر مسكنته فلذلك رد أكثر الداعين وخيب أكثر المستغيثين فأما من فتح الله له بالاستغاثة ومن عليه بالتضرع اليه فعظم منته بذلك شكرا وعلم انه أعطى ما لم يستأهل ثم أدام وواظب على الطلب لم يخيب الله عز وجل دعوته ولم يمسك عن اغاثته اجابته ألم تسمع قول عبد الله من أدام قرع باب الملك أوشك ان

يفتح له ويحك لم تخافى من عذاب الله سبحانه ولم ترجى نفسك أماتشتاقين الى جوار مولاك فى جنته ودار نعيمه لايبيد وقرة عين لاتنقطع فوق الأمانى مماتشتهيه الأنفس مع البقاء واليقين بالرضوان وأعظم من ذلك رؤية المولى سبحانه أماتشاقين أن ترى مولاك وتسمعى كلامه فتنظرين الى من لاشبيه له سبحانه ويحك فى هذه الدار وجب ذلك للعمال وفى هذه حل الحرمان من ذلك كله للعصاة الجهال فعيشك غنيمة وبقية عمرك نعمة من المولى عليك فارحمى نفسك واشكرى مولاك أن لايكون الموت عاجلك ويحك أن الدنيا تجارة لله بقدر ماتحملين من المكروه فبه الله تعالى تعوضين وبقدر ماتتركين من المحبوب تجزين ويحك ان الخائفين بذلوا الأحزان فى الدنيا فورثوا فى الآخرة دوام السرور وأطالوا البكاء فى الدنيا فدام فى الآخرة فرحهم تعبوا لله ونصبوا فورثوا راحة الابدان ورفضوا الشهوات فتزوجوا الحور الحسان وتنادموا بالحور مع السادة الابرار وصاروا الى كل منية وغاية من اللذات ﴿قلت﴾ روى أبونعيم الحافظ فى الحلية عن محمد بن واسع أنه قال من مقت نفسه فى ذات الله أمنه الله من مقتة وذكر الغزالى حديثا عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى آخره وصل على الجنائز فان ذلك يحزنك فان الحزين فى ظل الله سبحانه وذكر أبونعيم فى حليته عن الحكم بن حجل أنه قال لمامات ابن سيرين حزنت عليه ثم رأيته فى المنام فى قصر على أحسن حال فقلت له أى أخى قد أراك فى حال تسرنى فما صنع الحسن بن أبى الحسن البصرى قال رفع فوقى بسبعين درجة قلت وبم ذلك قال ذلك بطول حزنه قال أبونعيم قال عامر بن عبد الله بن قيس رأيت نفرا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وصحبتهم فحدثوا ان أصفى الناس ايمانا يوم القيامة أشدهم محاسبة لنفسه فى الدنيا وان أشد الناس فرحا فى الدنيا أشدهم حزنا يوم القيامة وان أكثر الناس ضحكا فى الدنيا أكثرهم بكاء يوم القيامة وحدثوا ان الله تعالى فرض فرائض وسن سننا وحد حدودا فمن عمل بفرائض الله وسننه واجتنب حدوده دخل الجنة بغير حساب ومن عمل بفرائض الله وسننه وركب حدوده ثم تاب استقبل الشدائد والاهوال والزلازل ثم يدخله الله الجنة ومن عمل بفرائض الله وسننه وركب حدوده ثم مات مصرا على ذلك لقى الله مسلما ان شاء غفر له وان شاء عذبه قال أبونعيم قال عبد الواحد بن زيد لاصحابه يااخوتاه ألاتبكون شوقا الى الله تعالى ألا انه من بكى شوقا الى الله لم يحرمه النظر اليه يااخوتاه ألاتبكون خوفا من النار ألا انه من بكى خوفا من النار أعاذه الله منها قال عبد الواحد بن زيد قلت لحوشب بن مسلم ياأبابشران قدمت على ربك قبلنا فقدرت على أن تخبرنا بالذى صرت اليه فافعل فمات فسألته فى النوم فقلت له كيف حالكم فقال نجونا بعفو الله سبحانه قال قلت فالحسن قال ذلك فى عليين لانراه ولا يرانا قلت فما الذى تأمرنا به قال عليكم بمجالس الذكر وحسن الظن بمولاكم يلقاكم بهما خير وروى أبونعيم عن الفضيل بن عياض انه قال مابكت عين عبد قط حتى يضع الرب عز وجل يده على قلبه ولا بكت عين عبد قط الا من فضل رحمة الله

﴿فصل﴾ قال ابن العربى الحاتمى واعلم ان الناس منذ خلقهم الله عز وجل وأخرجهم من العدم الى الوجود لم يزالوا مسافرين وليس لهم حط عن رحالهم الا فى الجنة أو النار قال والمواطن وان كثرت فانها ترجع الى ستة الاول موطن ألست بربكم وقد انفصلنا عنه الثانى موطن الدنيا الذى نحن الآن فيه والثالث موطن البرزخ الذى نصير اليه بعد الموت والرابع موطن الحشر بأرض الساهرة والخامس موطن الجنة والنار والسادس موطن الكثيب يريد ما رواه أبوهريرة رضى الله عنه ان أهل الجنة يجتمعون فى كل يوم جمعة على كثيب من كافور فيرون الله سبحانه ويكونون فى القرب منه على قدر مسارعتهم فى الدنيا الى الجمعة قال ابن العربى وفى كل موطن من هذه المواطن مواضع هى مواطن فى المواطن ليس فى قوة البشر الاحاطة بها لكثرتها وعجائب الآخرة لاتحيط بها العقول وذكر أبونعيم فى الحلية ان رجلا دخل

على

على داود الطائى فقال له أوصنى بوصية فقال له صم عن الدنيا وافطر على الموت حتى اذا كان عند المعاينة أتاك رضوان الجنان بشربة من ماء الجنة فشربتها على فراشك فخرجت من الدنيا وأنت ريان لا تحتاج الى حوض من حياض الانبياء عليهم السلام حتى تدخل الجنة وأنت ريان قال الغزالى رحمه الله تعالى فأعلم العلماء وأعرف الحكماء ينكشف له عقب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج بضميره فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم الا التفكر فى خطر تلك الاحوال وما الذى ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة أو سعادة دائمة لكان ذلك كافيا فى استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا

﴿فصل﴾ ومما أنشده الشيخ الولى أبو بكر محمد بن قسوم رحمة الله تعالى علينا وعليه فى الوعظ بأمور الآخرة

لا يلهينك مال لا ولا ولد * وجد ما دمت حيا للذى تجد
لا المال يغنى ولا الاهلون عنك اذا * أودعت قبرا وواري جسمك اللحد
لم يغن من قبلنا ما خلفهم تركوا * وكل ما قدموا من صالح وجدوا

﴿وله رحمة الله علينا وعليه﴾

لعمرك ما أهوى الجنان للذة * سوى نظرى فيها الوجه الهى
ولا رغبتى طول الحياة لبغية * سوى ذكر ربى حين غيرى لاهى

﴿وله﴾

سهام المنايا راشقات لمن ترى * تصيب الفتى فى روحة وبيات
وليس بعيدا ما يكون وان نأى * فكل بعيد لا محالة آت

﴿وله﴾

تزود لدار الخلد ان كنت عاقلا * ولا تك معتوها عن العدل عادلا
ثمار الذى قدمت تجنى فلا تكن * بدنياك مغترا وللخلد آملا
أتطمع فى الاخرى ولم تمس قائما * ولم تغد صواما ولم تعط سائلا
سيحوى قصورا فى الجنان علية * فتى كان بالطاعات لله عاملا
فلا تك مشغوفا بدنياك والها * وتطمع فى سكنى الفراديس باطلا

﴿وقال رحمه الله تعالى﴾

ذهب العمر وما آن * لك فى التوبة مذهب
ما ترى عمرك يطوى * ما ترى يومك يذهب
فتأدب أيها العبد مع المولى تأدب

﴿وله رحمه الله تعالى﴾

ألا بالله أنسك يا أخى * فعد عن البنية والبنى
ألا بالله أنسك فانقطعنى * وخذ فى طاعة الصمد العلى
أراك تخوض فى دنياك جهلا * فما تنفك عن نشر وطى
ألم تعلم بأنك سوف تفنى * عن اللذات والعيش الرخى
فان أحببت أن تنجو سليما * فدونك فاتبع أثر النبى

صلى الله عليه وسلم تسليما (وله رحمه الله) يرثى شيخه الفقيه الولى العارف المنقطع الى الله سبحانه أبا عمران

موسى بن حسين القيسي رحمه الله فقال في رثائه

أموسى بن عمران خلفتني * حزينا لفقدك مادمت حي
أفقت قناتي بعد اعوجاج * وعلمتني بعد جهل وغي
وأعجب أمري اني حثو * ت عليك التراب بكلتا يدي
أتيتك أشكو أليم اشتياقي * فلم يغن ذلك عن النفس شي
فلم لا تجيب خليلا دعاك * ولم لا ترد سلامي علي
وقد ماعهدتك هش اللقا * تحن وتدنو ارتياحا الي
لعمري لوعظك لي ميتا * كوعظك بالامس اذ أنت حي

﴿ وقال أيضا يرثي أبا عمران ﴾

أحق أبو عمران صار لربه * فلست الذي ألقاه ماعشت في الدنيا
سقى الله لحدا حل فيه عشية * من القطر هطال الغمائم وسميا
فلي واعظ منه متى أناز رته * وأعجب لميت في الثرى يعظ الحيا

﴿ ومن انشاد الشيخ أبي عمران موسى بن حسين القيسي رحمه الله ﴾

ولما أطل الشيب والشيب مؤذن * بقرب حمامي وانقضاء شبابي
بكيت على نفس تدانى حمامها * فأفنيت دمعي وانقلبت لمابي
وليس بكائي رهبة الموت انما * أخاف بذنبي أن يطول حسابي

﴿ وله رحمة الله تعالى علينا وعليه ﴾

فقدت أحبتي وفقدت صحبي * وبادجميعهم وبقيت وحدي
بكيت لفقدهم اذ صرت فردا * فمالي بعد من يبكي لفقدي
فساعدني أخي أبكي لنفسي * وأنعاهالي بكل جهدي
على ان البكاء يثير وجدا * ويستلب العزاء وليس يجدي
وما يجدي البكاء علي شيأ * اذا أودعت ويحي قعرلحدي
ووسدت التراب وصرت رهنا * بما قدمت من غي ورشدي
فيامولاي كن لي فيه عونا * على خصمي وامددني بأيد
وهب لي منك عفوا لاتدني * بما أسلفت من خطئي وعمدي

﴿ وله رحمة الله علينا وعليه ﴾

اذا ماحللت القبر أسلمني له * أهيلي وأصحابي وكنت به وحدي
ولم أرفيه صاحبا لي مؤنسا * ولم يغن عني ما أخلفه بعدي
سوى عملي ان كنت قدمت صالحا * فما رغبتي فيما سواه ومايجدي
سأصرم عني ماسواه بعزمة * أرجي لهامن ليس يخلفني وعدي
وأقطع أيامي بخلة صاحب * يكون به أنسي اذا ضمني لحدي
وينقذني في العرض من كل شدة * تعرض لي والناس في غاية الجهد
فيارب يسرني لذلك وكن معي * ويسره لي يامن يمن ولا يكدي

﴿ وله رحمة الله تعالى علينا وعليه ﴾

الهي أظهرت الجميل تفضلا * ولم تبد سوآت تكن الضمائر

فأبق على الستر حيا وميتا * ولا تفضحني يوم تبلى السرائر
وهب لى غفرانا للذنب ماحيا * فانك يامولاى للذنب غافر

﴿ وله رحمة الله تعالى علينا وعليه ﴾

ياغافلا عن صروف الدهر فى سنة * والدهر ينقض بالآيات والعبر
كم ذا تنام وعين الدهر ساهرة * له حوادث فى الغدوات والبكر
لا تأمن الدهر واحذر من تقلبه * فشيمة الدهر شوب الصفو بالكدر
وارغب بنفسك عما سوف تتركه * فعل اللبيب أخى التحقيق والنظر
ماذا يغرك من دار الفناء ومن * عمر يمر كمثل اللمح للبصر
اعمل لدار بقاء لافناء بها * ولا تشكى من سقم ولا ضرر
فامهد لنفسك فالساعات فانية * والعمر منتقص والموت فى الاثر

﴿ وله رضى الله عنا وعنه ﴾

وان بقاء المرء يعمل صالحا * ويدخر زادا ساعة لكثير
اذا مات لم يعمل وأودع ملحدا * يوافيه فيه منكر ونكير
يسار به قد خامر الذعر قلبه * اليه مروعا والفؤاد يطير
فكيف يلذ العيش من كان ذاحجا * وقد غاب عنه ما اليه يصير
فجد وشمر للذى أنت صائر * ولا تن واجهد فالثواء يسير

﴿ وله رحمة الله تعالى علينا وعليه ﴾

أشكو اليك من جنايات الكبر * ثقل سمع وكلال بالبصر
وشعلات مع بهر وسهر * وشنجا بالجلد منى قد ظهر
أشكو لك اللهم ذا لا للبشر * والموت يأتى بعد ذا على الاثر
وموعد الساعة أدهى وأمر * هون على يا الهى المنتظر
واختم بخير وأجرنى من سقر * مالى سواك يا الهى من وزر

﴿ وله عفا الله تعالى عنا وعنه ﴾

قصر العمر فاقصر * ودنا الموت فشمر
وأتى الشيب نذيرا * وكفى بالشيب منذر
أيها الشيخ الى كم * تتعامى لست تبصر
وطريق الرشد باد * واضح للعين نير
فأنب واستغفر اللهم من ذنبك يغفر

﴿ وله عفا الله تعالى عنا وعنه ﴾

يامن اليه جميع الخلق يبتهل * فيك الرجاء ومنك الخوف والوجل
حقق رجائى وأمن ما أخاف غدا * بحيث لاقوة تنجى ولا حيل
ومن بالعفو يامولاى منك وان * جلت ذنوبى وساء القول والعمل

﴿ وله رحمة الله تعالى علينا وعليه ﴾

الى كم أقول ولا أفعل * وكم ذا أحوم ولا أنزل
وأزجر نفسى فلا ترعوى * وأنصح نفسى فلا تقبل

وكم ذا تعلـل لي ويحها * بعل وسوف وكم تمطـل
وكم ذا أؤمل طول البقا * وأغفـل والموت لايغفل
وفي كل يوم ينادي بنا * منادي الرحيل ألا فارحلوا
أمن بعد سبعين أرجو البقا * وسبع أتت بعدها تعجل
كأنّ بي وشيكا الى مصرعي * يسار بنعشي ولا أمهل
فياليت شعري الام المصير * وماذا أجيب اذا أسئل
وياليت شعري بعد السؤال * وطول الحساب لما انقل
ويا عجبا عند ذكري لذا * وعلمي به كيف لا أذهل
كأنّ المراد بنا غيرنا * أوانا سوام فلا نعـقل
ولو أنهـا علمت بالذي * علمناه لم يهنها مأ كل
ولم نك نأكل منها اذا * سمينا ولكنها تجهـل
بحق أقول أخال القـلو * ب رين عليها فلا تقبـل
فنستغفر الله من حالنا * ونسأله توبة تقبـل

﴿ وله عفا الله عنا وعنه ﴾

يانفس جـدي فقد جـد الرحيل بنا * واستشعري التوب لا يزري بك الامل
ولا تطيعي الأماني فهي كاذبة * كم حال دون الأماني ويحك الأجـل

﴿ وله رضي الله تعالى عنا وعنه ﴾

ألم المشيب وبان الشباب * ولم أحظ منه بغير النـدم
وليس المشيب بشئ يدوم * وهـل هو الا نذير ألم
قد اذنني بوشيك الرحيل * وان قصاري وجودي عدم
ولا شك في البعث من بعده * حساب وهول يشيب اللمم
ونار تسعر للمجرمين * ومأوى العصاة ومن قد ظلم
فيانفسي ذوبي لذا حسرة * ويا عيني سحي عليه بدم
وتوبي ار بك مما اجترحـت وقومي له في دياجي الظلم
بسرب مروع ودمع هتون * وقلب بنار الاسي مضطرم
قيام امرئ واله قلبـه * كثير النحيب حليف السدم
وقولي الهي رب العباد * ومولى الانام وبارى النسم
عبيدك موسى كثير الذنوب * يخاف العقاب ويرجو الكرم
فأمنـه يوم يقـوم العباد * عراة حفاة لهول عظـم
ومن بعـفوك عما أتى * وعما جناه وعما اجترم
فليس له أمـل في سـوا * ك وأنت الشهيد وأنت الحكم
يقول اذا اشتد كرب به * وكادت عرا الصبر أن تنفصم
الهي كريم اذا مادعي * أجاب وان سئل والى النعم

السرب لفظ مشترك يطلق على القلب وعلى المال وعلى القوم وقوله حليف السدم قال في مختصر العين السدم هم في ندم يقال رجل سادم نادم وسدمان ندمان والسـدم الماء الذي كاد يندفق لوقوع الاقمشة فيه

ومياه

ومياه اسدام ومنهل سدوم وقد سدم وسدوم مدينة من مدائن قوم لوط وكان يسمى قاضيها بسدوم

﴿ وله عفا الله تعالى عنا وعنه ﴾

يا غافلا والمنايا غير غافلة * عنه رويدك فى ذا ويك ما يزع
عليك نفسك فاجهد فى تخلصها * مادمت حيا وفى الايام متسع
وعل يومك هذا است تكمله * لاتذهبن بك الاطماع والخدع
فى كل ما نفس تخشى بوادرها * فاحذر فانك لاتدرى متى تقع

﴿ وله رضى الله تعالى عنا وعنه ﴾

نغر بدنيا انا ونخدع بالمنى * ونلهو كما يلهو الوليد ويرتع
وآخر هذا كله الموت والذى * نعاين بعد الموت أدهى وأفظع
فياليت انا قد تركنا ولم نكن * نعاين بعد الموت ما يتوقع

﴿ وله رضى الله تعالى عنا وعنه ﴾

هو الموت آت ليس للموت مدفع * ولا شئ منه لا أبالك يمنع
فكن آخذا بالجد والحزم أهبة * له ولما من بعده يتوقع
وقدم من الدنيا لنفسك عدة * لغيرك ماتبنيه فيها وتجمع
فاوجئت تبغى الوارثين قلامة * من المال لابل دونها كنت تمنع

﴿ وله رضى الله تعالى عنا وعنه ﴾

عجبت للمرء والآمال تطمعه * وكل ماهو فيه الموت يقطعه
فى كل يوم يناديه ويسمعه * منه المنادى به لو كان يسمعه
لئن تصامم عنه دون ماصمم * عما قليل يوافيه فيصرعه
وليس ينجيه أهل لا ولا ولد * منه ولا كل ماقد كان يجمعه
فخذ له عدة مادمت فى مهل * ولاتكن من الآمال تخدعه

﴿ وله عفا الله تعالى عنا وعنه ﴾

اذا ما ازددت يوما زدت نقصا * فعمرى كل يوم فى انتقاص
وحادى الموت يحدونى اليه * وليس عن المنية من مناص
واغفل لا أعد ليوم فقرى * كأنى قد أمنت من القصاص
وأطمع فى الخلاص بغير زاد * ومن لى ويح نفسى بالخلاص
وان أمامنا يوما عصيبا * ومطلعا تشيب له النواصى

﴿ ومما أنشده بعض الفضلاء رحمة الله تعالى علينا وعليه ﴾

يا نائما وجنود الموت زاحفة * أتتك منه على التحقيق جيشان
فانظر لنفسك والايام مسعدة * ودع هوى النفس من قيل ومن كان
فانما العمر أنفاس مقدرة * تأتى وتذهب أحيانا بحسبان
نصحت فى ذا الذى قد قلت فاستمعوا * وعوا فقد جئت فى نصحى ببرهان
هل يسمع الوعظ قلب غافل ثمل * أو هل ترى الشمس جهرا عين عميان
نام الفؤاد فلم يسمع منافعه * آها لقلب نؤوم غير نبهان

﴿ فصل ﴾ قوله سبحانه وجاءكم النذير قد تقدم ان قول الاكثر من العلماء انه الرسول قال القرطبى وقال

ابن عباس وسفيان ووكيع والبراء والطبرى هو الشيب قال الشاعر

رأيت الشيب من نذر المنايا * لصاحبه وحسبك من نذير

﴿ وقال آخر ﴾

فقلت لها المشيب نذير عمرى * ولست مسودا وجه النذير

﴿ وللقاضى منذر بن سعيد البلوطى رحمة الله تعالى علينا وعليه ﴾

كم تصابى وقد علاك المشيب * وتعامى عمدا وأنت اللبيب

كيف تلهو وقد أتاك نذير * وشيات الحمام منك قريب

﴿ وله رحمة الله تعالى علينا وعليه ﴾

ثلاث وستون قد جزتها * فماذا تؤمل أو تنتظر

وحل عليك نذير المشيب * فما ترعوى أوفما تزدجر

تمر لياليك مرا حثيثا * وأنت على ما أرى مستمر

فلو كنت تعقل ما ينقضى * من العمر لاعتضت خيرا بشر

﴿ وللفقيه أبى عبدالله محمد بن أبى زمنين رحمة الله تعالى علينا وعليه ﴾

الموت فى كل حين ينشر الكفنا * ونحن فى غفلة عما يراد بنا

لا تطمئن الى الدنيا وبهجتها * وان توشحت من أثوابها الحسنا

أين الاحبة والجيران ما فعلوا * أين الذين هموكانوا لنا سكنا

سقاهم الموت كأسا غير صافية * فصيرتهم لاطباق الثرى رهنا

وذكر محمد بن محمد بن داود الصنهاجى فى شرحه حرز الامانى عن أبى سعيد السيرافى قال رثى اليزيدى الكسائى ومحمد بن الحسن الفقيه صاحب أبى حنيفة وكانا قد خرجا مع الرشيد الى خراسان فماتا فى الطريق فقال فيهما

تصرمت الدنيا فليس خلود * وما قد ترى من بهجة سيبيد

لكل امرئ كأس من الموت منهل * وما ان لنا الا عليه ورود

ألم تر شيبا شاملا ينذر البلى * وان الشباب الغض ليس يعود

سيأتيك ما أفنى القرون التى مضت * فكن مستعدا فالفناء عتيد

أسأت على قاضى القضاة محمد * فأذريت دمعى والفؤاد عميد

وقلت اذا ما الخطب أشكل من لنا * بايضاحه يوما وأنت فقيد

وأوجعنى موت الكسائى بعده * وكادت بى الارض الفضاء تميد

وأذهلنى عن كل عيش ولذة * وأرق عينى والعيون هجود

هما عالمانا أوديا وتخرما * فما لهما فى العالمين نديد

فحزنى ان يخطر على القلب خطرة * بذكرهما حتى الممات جديد

قال أبو نعيم فى الحلية كان عبدالله بن ثعلبة كثير البكاء وكان ينشد

لكل اناس مقبر بفنائهم * فهم ينقصون والقبور تزيد

وما ان تزال دار حى قد اخربت * وبيت لميت بالفناء جديد

فهم جيرة الاحياء أما مزارهم * فدان وأما الملتقى فبعيد

قال أبو نعيم قال عبدالرحمن بن مهدى لو قيل لحماد بن سلمة انك تموت غدا ما قدر أن يزيد فى العمل شيأ وقال

موسى بن اسماعيل لوقلت لكم انى مارأيت حماد بن سلمة ضاحكا قط لصدقتكم كان مشغولا بنفسه اما أن يحدث واما أن يقرأ واما أن يسبح واما أن يصلي كان قد قسم نهاره على هذه الاعمال قال أبونعيم وعاد حماد بن سلمة سفيان الثوري فقال سفيان يا ابن سلمة أترى يغفر الله لمثلي فقال حماد والله لو خيرت بين محاسبة الله اياى و بين محاسبة أبوى لاخترت محاسبة الله وذلك أن الله سبحانه أرحم بي من أبوي قلت وهذا ظن جميل وروى أبونعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل قال ان ربكم رحيم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان عملها كتبها الله سيئة واحدة أو محاها ولا يهلك على الله الاهالك قال القرطبي يحكى عن بعض العلماء أنه كان يميل الى الراحات كثيرا وكان يخلو في بستان له مع أصحابه فلا يأذن لاحد سواهم فبينما هو في البستان رأى شخصا يتخلل الشجر فغضب وقال من أذن لهذا وجاء الرجل فجلس أمامه وقال ماترى في رجل ثبت عليه حق فزعم ان له منافع تدفعه فقال يتلوم له الحاكم بقدر مايرى قال السائل قد ضرب له الحاكم آجالا فلم يأت بمنفعة له ولا أقلع عن الدد والمدافعة قال يقضى عليه قال فان الحاكم رفق به وأمهله أكثر من خمسين سنة فأطرق الفقيه وتحدر عرق وجهه وذهب السائل ثم ان العالم أفاق من فكرته فسأل عن السائل فقال البواب مادخل اليكم ولا خرج من عندكم أحد فقال لاصحابه انصرفوا فما كان يرى بعد ذلك الا في مجالس يذكر فيه العلم قال القرطبي وقد رأيت ان أصل بهذه الحكاية حكايات في الشيب على سبيل الوعظ والتذكير والتخويف والتحذير * كان لبعض أبناء الدنيا جارية يحبها قال صاحبها فنظرت الى شعر رأسها يوما فاذا فيه شعرتان بيضاوان فأخبرتها فارتاعت وقالت أرني فأريتها فقالت جاء الحق وزهق الباطل ثم قالت ياسيدي لولم تفترض على طاعتك لما أويت اليك فدع لي ليلي أو نهاري لأتزود فيه لآخرتي فقلت لا ولا كرامة فغضبت وقالت أتحول بيني وبين ربي وقد آذنني بلقائه اللهم بدل حبه لي بغضا قال فبت وما شئ أحب الي من بعدها عني وعرضتها للبيع فأتاني من أعطاني فيها ما أريد فلما عزمت على البيع بكت فقلت لها أنت أردت ذلك فقالت والله ما اخترت عليك شيأ من الدنيا هل لك الى ما هو خير من غنى قلت ماهو قالت تعتقني لله عز وجل فانه أملك لك منك لي وأعود عليك منك على فقلت قد فعلت فقالت أمضى الله صفقتك وبلغك أضعاف عملك قال فبغض الله الى الدنيا وأقبلت على الآخرة ببركة الجارية وهروبها الى الله سبحانه وقال عبدالله بن أبي نوح رأيت كهلا بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم لايزال ينفض الغبار عن جدرانه بسعفة فسألت عنه فقيل لي انه من ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه وان له أولاد أو موالي ونعمة وافرة وانه اطلع يوما في مرآته فصرخ وجن ولزم المسجد كما ترى فاذا أراد أهله أخذه ليداووه ويصونوه عاذ بالقبر المكرم فتركوه فرقبته نهارا فلم أر منه اختلالا ورقبته ليلا فلما ذهب جنح الليل خرج من المسجد فتبعته حتى أتى البقيع فقام يصلي ويبكي حتى قرب طلوع الفجر فجلس يدعو وجاءت اليه دابة لاأدري أشاة أم ظبية أم غيرها وقامت عنده وتفاجت فالتقم ضرعها فشرب ثم مسح ظهرها وقال اذهبي بارك الله فيك فولت تمرح فانسلت فسبقته الى المسجد فأقمت ليالي أخرج بخروجه الى البقيع ولايشعر بي وسمعته يقول في مناجاته اللهم انك أرسلت الي ولم تأذن لي فان كنت قد رضيتني فأذن لي وان لم ترضني فوفقني لما يرضيك قال فلما حان رحيلي أتيته مودعا فجهمني فقلت أنا صاحبك منذ ليال بالبقيع أصلي بصلاتك وأؤمن على دعائك قال هل أطلعت على ذلك أحدا قلت لا قال انصرف راشدا قلت ما الرسول الذي أرسل اليك قال اطلعت في المرآة فرأيت شيبة في وجهي فعلمت أنها رسول الله الي فقلت ادع لي فقال ما أنا بأهل لذلك ولكن تعال نتوسل الى الله سبحانه برسوله صلى الله عليه وسلم فقمت معه تجاه القبر

فقال ماحاجتك قلت العفو فدعا دعاء خفيفا فأمنت ثم مال على جدار القبر فاذا هو ميت رحمة الله عليه فتنحيت عنه حتى فطن له الناس وجاء أولاده ومواليه فاحتملوه وجهزوه وصليت عليه فيمن صلى عليه رضي الله عنه ويقال ان ملكا من ملوك اليونان استعمل على ملبسه أمة أدبها بعض الحكماء فألبسته يوما ثيابه وأرته المرآة فرأى في وجهه شعرة بيضاء فاستدعى بمقراض فقصها فأخذتها الامة وقبلتها ووضعتها على كفها وأصغت أذنها اليها فقالت انى سمعت هذه المبتلاة بفقد كرامة الملك تقول قولا عجيبا فقال لها الملك ماهو قالت لايجترئ لسانى على النطق به قال قولى آمنة مالزمت الحكمة فقالت ما معناه انها قالت أيها الملك المسلط انى خفت بطشك بى فلم أظهر حتى عهدت الى بناتى أن يأخذن بثارى وكأنك بهن قد خرجن عليك فاما أن يعجلن الفتك بك واما أن ينغصن قوتك وشهوتك وصحتك حتى تعد الموت غنما فقال لها اكتبى كلامك فكتبته فتدبره ثم نبذ ملكه في حديث طويل وفي الاسرائيليات ان ابراهيم عليه السلام لما رجع من تقريب ولده الى ربه عز وجل رأت سارة في لحيته شعرة بيضاء وكان عليه السلام أول من شاب فأنكرتها وأرته اياها فجعل يتأملها وأعجبته وكرهتها سارة وطالبته بازالتها فأبى وأتاه ملك فقال السلام عليك يا ابراهيم وكان اسمه ابرام فزاد في اسمه هاء والهاء في السريانية للتفخيم والتعظيم ففرح بذلك وقال أشكر الهى واله كل شئ فقال له الملك ان الله سبحانه قد صيرك معظما في أهل السموات وأهل الارض وقد وسمك بسمة الوقار في اسمك وفي خلقك اما اسمك فانك تدعى في أهل السماء وأهل الارض ابراهيم وأما خلقك فقد أنزل وقارا ونورا على شعرك فأخبر سارة بما قال الملك وقال هذا الذى كرهتيه نور ووقار قالت فانى كارهة له قال لكنى أحبه اللهم زدنى نورا ووقارا فأصبح وقد ابيضت لحيته كلها وفي الآثار النبوية من شاب شيبة في الاسلام كانت له نورا يوم القيامة قلت وروى أبو داود في سننه بسند صحيح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتنتفوا الشيب مامن مسلم يشيب شيبة في الاسلام الا كانت له نورا يوم القيامة وفي رواية الا كتب الله عز وجل له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة قال القرطبي وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليستحى أن يعذب ذا شيبة وقد تقدم هذا المعنى والاخبار في هذا كثيرة وللقاضى منذر بن سعيد البلوطى رحمة الله تعالى علينا وعليه

ثلاث وستون قد جزتها * فماذا تؤمل أو تنتظر
وحل عليك نذير المشيب * فما ترعوى أوفما تزدجر
تمر لياليك مرا حثيثا * وأنت على ما أرى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضى * من العمر لاعتضت خيرا بشر
فمالك لا تستعد اذن * لدار المقام ودار المقر
أترغب عن فجأة المنو * ن وتعلم أن ليس منها وزر
فاما الى جنة أزلفت * واما الى سقر تستعر

وله أيضا رحمة الله تعالى علينا وعليه

كم تصابى وقد علاك المشيب * وتعامى عمدا وأنت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير * وشيات الحمام منك قريب
يا مقيما قد حان منه رحيل * بعد ذاك الرحيل يوم عصيب
ان للموت سكرة فارتقبها * لايداويك ان أتتك طبيب
كم توانى حتى تصير رهينا * ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم * فاعملن جاهدا لها يا أديب

﴿ غيره ﴾

رأيت الشيب من نذر المنايا * لصاحبه وحسبك من نذير

﴿ وقال آخر ﴾

فقلت لها المشيب نذير عمري * ولست مسوّداً وجه النذير

قلت وبعض هذه الابيات قدمناها ولكن هذا المحل هو الاليق بها فلا حرج في تكرارها لان القصد بها المبالغة في الوعظ عسى الله ان ينفع بها مطالعها

﴿ باب ما جاء أن التوبة تقبل ما لم يغرغر ﴾

روى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله سبحانه يقبل توبة العبد ما لم يغرغر لان عند الغرغرة وبلوغ الروح الحلقوم يعاين الموت ويعاين ما يصير اليه من رحمة أو هوان ولا تنفع حينئذ توبة ولا ايمان وانما صحت منه التوبة قبل المعاينة والغرغرة لان الرجاء اذ ذاك باق فيصح الندم والعزم على ترك الفعل وعن الحسن قال لما أهبط ابليس قال بعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام الروح في جسده فقال الله تعالى فبعزتي لا أحجب التوبة عن ابن آدم ما لم تغرغر نفسه قلت وهذا الحديث صحيح رواه أبو عبد الله الحاكم في المستدرك على الصحيحين ولفظه على ما رواه صاحب الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ابليس قال لربه عز وجل وعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الارواح فيهم فقال له ربه فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني والتوبة فرض باتفاق العلماء والذنوب التي يتاب منها اما كفر أو غيره فتوبة الكافر ايمانه مع ندمه على سالف كفره وليس مجرد الايمان نفس توبة وغير الكفر اما حق الله واما حق لغيره فحق الله تعالى يكفي فيه الاقلاع عن السيئات وفعل الصالحات مع الندم على ما فات وأما حقوق الآدميين فلا بد من ايصالها الى مستحقيها فان لم يوجدوا تصدق بها عنهم ومن لم يجد السبيل لخروج ما عليه لاعساره فعفو الله سبحانه عنه مأمول وفضله سبحانه مبذول فكم ضمن سبحانه من التباعات وبدل من السيئات بالحسنات وعليه أن يكثر من الاعمال الصالحات ويستغفر لمن ظلمه من المؤمنين والمؤمنات وليحذر العبد من القنوط من رحمة الله تعالى بل يقبل بقلبه على ربه وهو يحسن الظن به راجيا عفوه آملا فضله قال أبو نعيم في الحلية قال وهب بن منبه أوحى الله سبحانه الى بعض أنبيائه بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلي وما يكابد المكابدون في مرضاتي فكيف بهم اذا صاروا الى داري وتبحبحوا في رياض رحمتي هنالك فليبشر المصفون لي أعمالهم بالمنظر العجيب من الحبيب القريب أتراني أنسى لهم عملا فكيف وأنا ذو الفضل العظيم أجود على المولين عني فكيف بالمقبلين عليّ وما غضبت على شئ كغضبي على من أخطأ خطيئة فاستعظمها في جنب عفوي ولو تعاجلت بالعقوبة أو كانت العجلة من شأني لعاجلت القانطين من رحمتي ولو رآني خيار المؤمنين كيف أستوهبهم ممن اعتدوا عليه ثم أحكم لمن وهبهم بالخلد المقيم ما اتهموا فضلي وكرمي فأنا الديان الذي لا تحل معصيتي وأنا الذي أطاع برحمتي ولا حاجة لي بهوان من خاف مقامي ولو رآني عبادي يوم القيامة كيف أرفع قصورا تحار فيها الابصار فيسألوني لمن هذا فأقول لمن وهب لي من لم يجمع على نفسه معصيتي والقنوط من رحمتي وأنا مكافئ على المدح فامدحوني وروى أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يعلم ماله عند الله فليعلم ما لله عنده قلت وهذا حديث معناه صحيح وقد روى الحاكم في المستدرك على الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه قال الحاكم

هذا حديث صحيح الاسناد وروى أبو نعيم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليعمل الذنب فاذا ذكره أحزنه فاذا نظر الله اليه قد أحزنه غفر له ما صنع قبل أن يأخذ في كفارته بلا صلاة ولا صيام وروى أبو نعيم عن العمري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من أذنب ذنبا فعلم أن الله تبارك وتعالى ان شاء أن يعذبه عليه عذبه وان شاء أن يغفر له غفر له كان حقا على الله أن يغفر له قال صاحب التذكرة وقد روى مرفوعا في صفة التائب من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في جماعة من أصحابه أتدرون من التائب قالوا اللهم لا قال اذا تاب العبد ولم يرض خصماءه فليس بتائب ومن تاب ولم يغير لباسه فليس بتائب ومن تاب ولم يغير مجلسه فليس بتائب ومن تاب ولم يغير نفقته وزينته فليس بتائب ومن تاب ولم يغير فراشه ورداءه ووساده فليس بتائب ومن تاب ولم يوسع خلقه فليس بتائب ومن تاب ولم يوسع قلبه وكفه فليس بتائب ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا تاب على هذه الخصال فذلك تائب حقا قال القرطبي قال العلماء ارضاء الخصوم بأن يرد ما أخذ منهم من مال ويتحللهم مما اغتابهم أو شتمهم فان انقرضوا رد ما أخذ من المال لورثتهم وان لم يعرفهم وارثا تصدق به عنهم ويستغفر لهم ويدعو لهم عوض الذم والغيبة لا خلاف في هذا وأما تغيير اللباس فهو أن يستبدل ما عليه من الحرام بالحلال وان كانت ثياب كبر وخيلاء استبدلها بأطمار متوسطة وتغيير المجلس هو بأن يترك مجالس اللهو واللعب والجهال والاحداث ويجالس العلماء والفقراء والصالحين وأهل مجالس الذكر ويتقرب الى قلوبهم بالخدمة وتغيير الطعام بأن يأكل الحلال ويجتنب المتشابه ويقصد بأكله التقوى على العبادة وتغيير النفقة هو بترك الحرام وكسب الحلال والزينة بترك التزين بالاثاث والبناء والثياب والتأنق في الطعام والشراب وتغيير الفراش بالقيام بالليل عوضا من البطالات وتغيير الخلق هو بأن ينقل خلقه من الشدة الى اللين ومن الضيق الى السعة ومن الشكاسة الى السماحة ونحو ذلك وتوسيع القلب هو والله أعلم بحمل الأذى والصبر على الجفا وتوسع كفه بالسخاء والايثار بالعطاء ونحو ذلك واذا كملت التوبة بهذه الاوصاف المذكورة في الحديث فانه يرجى من فضل الله تقبلها وأن ينسى حافظيه وبقاع الارض خطاياه وذنوبه وفي مسند أبي داود الطيالسي عن ابن مسعود رضى الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الندم توبة وروى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وفي القرآن ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما قال القرطبي وعلى هذا جماعة من العلماء ان الصغائر تكفر باجتناب الكبائر فالصغائر كاللمسة والنظرة تكفر باجتناب الكبائر قطعا بوعد الله الصدق وقوله الحق وأما الكبائر فلا يكفرها الا التوبة منها والاقلاع عنها قلت قال ابن عباس وغيره الكبائر كل ما ورد عليه وعيد بنار أو عذاب أو لعنة أو ما أشبه ذلك

﴿فصل﴾ والواجب على من له عناية بنفسه وشفقة عليها أن يبادر بالتوبة والاعمال الصالحات قبل هجوم صولة الممات والحلول بجملة الاموات ويا بشرى من أطاع الله سبحانه واستقام على منهاج الكتاب والسنة بكرامات في الدنيا والآخرة قال الغزالي رحمه الله تعالى وقد تأملت ما يعطيه الله سبحانه للعبد اذا أطاع الله سبحانه ولزم خدمته وسلك طريق الاستقامة عمره فوجدتها على الجملة أربعين كرامة وخلعة منها عشرون في الدنيا وعشرون في الآخرة أما التي في الدنيا فمنها أن يذكره الله تعالى ويثني عليه وأكرم بعبد يذكره الله ويثني عليه ومنها أن يشكره جل جلاله ويعظمه ومنها أن يحبه سبحانه ومنها أن يكون له وكيلا يدبر أموره ومنها أن يكون برزقه كفيلا يوجهه اليه من غير تعب ومنها أن يكون له نصيرا يكفيه كل عدو ويدفع عنه كل قاصد بسوء ومنها أن يكون له أنيسا لا يستوحش ولا يخاف التغيير والاستبدال

ومنها عز النفس فلا يلحقه ذل خدمة الدنيا وأهلها ومنها رفع الهمة عن التلطخ بقذر الدنيا وأهلها غير ملتفت لزخارفها وملاهيها ترفع العقلاء عن ملاعب الصبيان والنساء ومنها غنى القلب فيكون أغنى من كل غنى فى الدنيا لا يزال طيب النفس فسيح الصدر لا تفزعه حزن ولا يهمه عدم ومنها نور قلبه يهتدى بنور قلبه الى علوم وأسرار وحكم لا يهتدى الى بعضها غيره الا بجهد جهيد وعمر مديد ومنها شرح الصدر فلا يضيق ذرعا بشئ من محن الدنيا ومنها المهابة والموقع فى النفوس يخدمه الاخيار والاشرار ويهابه كل فرعون وجبار ومنها المحبة فى القلوب يجعل لهم الرحمن ودا فترى القلوب كلها مجبولة على حبه والنفوس كلها مطبوعة على تعظيمه واكرامه ومنها البركة العامة فى كل شئ من كلام أو نفس أو فعل أو ثوب أو مكان حتى انه يتبرك بتراب وطئه وبمكان جلس فيه يوما أو بانسان صحبه ورآه حينا ومنها تسخير الارض له من البر والبحر حتى ان شاء سار فى الهواء أو مشى على الماء أو قطع وجه الارض بأقل من ساعة ومنها تسخير الحيوان له من الوحوش والسباع والهوام وغيرها ومنها ملك مفاتيح الارض فحيثما ضرب برجله فله عين ان احتاج وأينما نزل فله مائدة تحضره ان قصد ومنها القيادة والوجاهة على باب رب العزة فيبتغى الخلق الوسيلة الى الله بخدمته وتستنجح الحاجات من الله تعالى بوجاهته وبركته ومنها اجابة الدعوة من الله تعالى فلا يسأل الله تعالى شيأ الا أعطاه ولا يشفع لاحد الا شفع ولو أقسم على الله لأبره فيما شاء حتى ان منهم من لو أشار الى الجبل لزال فلا يحتاج الى السؤال باللسان ولو خطر بباله شئ لحضره ولا يحتاج الى الاشارة باليد فهذه كرامات الدنيا وأما التى فى الآخرة فمنها أن يهون عليه سكرات الموت حتى ان منهم من يكون الموت عنده مثل شربة الماء الزلال للظمآن قال الله سبحانه الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ومنها التثبيت على المعرفة والايمان وهو الذى منه الخوف والفزع وعليه كل البكاء والجزع قال الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ومنها ارسال الروح والريحان بالبشرى له والامان لقوله سبحانه ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون الآية فلا يخاف ما يقدم عليه فى العقبى ولا يحزن على ما خلف فى الدنيا ومنها الخلود فى الجنان ومنها سروره وروحه بما يبشر به ويثنى به عليه عند مروره على ملائكة السموات وتلقيهم له بالالطاف والاكرام ويشيعه من كل سماء مقربوها ومنها الامان من فتنة سؤال القبر وتلقين الصواب فيأمن من ذلك الهول ومنها توسيع القبر وتنويره فيكون فى روضة من رياض الجنة الى يوم القيامة ومنها ايناس روحه ونسمته واكرامها فتجعل فى أجواف طير خضر مع الاخوان الصالحين فرحين مستبشرين بما آتاهم الله من فضله ومنها الحشر فى العز والكرامة من حلل وتاج وبراق ومنها بياض الوجه ونوره قال الله سبحانه يوم تبيض وجوه وقال سبحانه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ومنها الامن من أهوال يوم القيامة قال تعالى أم من يأتى آمنا يوم القيامة ومنها أخذ الكتاب باليمين ومنهم من كفى الكتاب رأسا ومنها تيسير الحساب ومنهم من لا يحاسب أصلا ومنها ثقل الميزان ومنهم من لا يوقف للميزان أصلا ومنها ورود الحوض على النبى صلى الله عليه وسلم فيشرب شربة لا يظمأ بعدها أبدا ومنها جواز الصراط والنجاة من النار حتى ان منهم من لا يسمع حسيسها وتخمد له النار ومنها الشفاعة فى عرصة القيامة نحوا من شفاعة الانبياء والرسل ومنها ملك الابد فى الجنة ومنها الرضوان الاكبر ومنها رؤية رب العالمين سبحانه بلا كيف وهو أعظم الكرامات وغاية الامنيات قال الغزالى رحمه الله تعالى وانما ذكرت هذا العدد على سبيل الاجمال ولو فصلت بعض ذلك ما احتمله الكتاب ألا ترى انى جعلت ملك الابد خلعة واحدة ولو فصلتها لارتفعت عن أربعين خلعة من نوع الحور والقصور واللباس وغير ذلك ثم كل نوع يشتمل على تفاصيل لا يحيط بها الا علام الغيوب سبحانه وأى مطمع لنا فى ذلك وربنا سبحانه يقول فلا تعلم

نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد قال المفسرون فى قوله سبحانه لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا ان هذه الكلمات التى يقول الله عز وجل لاهل الجنة فى الجنة باللطف والاكرام وما يكون حاله هكذا فأنى يحيط به علم مخلوق ألا لمثل هذا فليعمل العاملون قلت ثم أهل السعادة فى الآخرة متفاوتون قال مولانا سبحانه وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وكل ما تراه من الحكايات والاحاديث فى اختلاف الدرجات فى الاشخاص انما ذلك بحسب اختلاف الاعمال قال الغزالى رحمه الله تعالى وانما اختلفت الاحوال للسالكين فى الآخرة لاختلاف أحوالهم فى الدنيا قلت ولما تكلم بعض المفسرين على قوله تعالى ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا قال قال الواسطى لما اختلفت أحوالهم فى الدنيا اختلفت أشربتهم فى الآخرة الهى حالى لا يخفى عليك فارحم ذلى يوم وقوفى بين يديك

أيا كاشف الكرب العظيم بفضله * حنانيك فى عبد أضر به الكرب

فوالله ما أدرى على أى حالة * يكون مرادى حين يوقفنى الرب

أفكر فى عفو الاله وأرتجى * وأنظر فى ذنبى فيوحشنى الذنب

اللهم ارزقنا حسن الاتعاظ روى أبو نعيم فى الحلية عن محمد بن سيرين أنه قال اذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا من قلبه يأمره وينهاه وروى أبو نعيم عن أبى قلابة قال ما من أحد يريد خيرا أو شرا الا وجد فى قلبه آمرا وزاجرا آمرا بالخير وزاجرا ينهى عن الشر قلت وفى الحديث ما يشهد لهذا فان البر ما اطمأنت اليه النفس والاثم ما حاك فى النفس وان للملك لمة وللشيطان لمة وروى أبو نعيم عن أحمد بن أبى الحوارى قال قال رجل لعبد الله بن عبد العزيز العمرى عظنى فأخذ حصاة من الارض فقال مثل هذا من الورع يدخل قلبك خير لك من صلاة أهل الارض قال له زدنى قال كما تحب ان يكون لك غدا فكن له أنت اليوم

باب كيفية التوفى للموتى واختلاف أحوالهم فى ذلك وكيف يصعد بالروح وفرح الملائكة والموتى بالمؤمن المطيع وذكر ما قيل فى الروح

وقد قدمنا من هذا الباب جملة صالحة فى باب ذكر الموت وأنا أذكر الآن ما لم يتقدم له ذكر من ذلك غالبا وربما أعدت الحديث لزيادة معنى وحصول فائدة ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تحضر الملائكة فاذا كان الرجل صالحا قالوا اخرجى أيتها النفس الطيبة كنت فى الجسد الطيب أخرجى حميدة وابشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان بن فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ادخلى حميدة وابشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهى الى السماء يعنى السابعة واذا كان رجل سوء قال اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث أخرجى ذميمة وابشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ارجعى ذميمة فانها لا تفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء ثم تصير الى القبر وهذا حديث صحيح الاسناد رجاله رجال الصحيحين وخرجه أيضا ابن أبى شيبة عن أبى هريرة وخرجه أيضا عبد بن حميد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله

عليه

عليه وسلم قال ان الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قال اخرجي أيتها الروح الطيبة فذكره وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال اذا خرجت روح العبد تلقاها ملكان يصعدانها قال حماد فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الارض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه فينطلق به الى ربه ثم يقول انطلقوا به الى آخر الاجل وان الكافر اذا خرجت روحه قال حماد وذكر من نتنها وذكر لعنا ويقول أهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الارض قال فيقال انطلقوا به الى آخر الاجل قال أبو هريرة فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ريطة كانت عليه على أنفه هكذا وقد خرج البزار في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن الميت اذا حضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر ريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال أيتها النفس المطمئنة اخرجي راضية مرضيا عنك الى روح الله وكرامته فاذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليه الحريرة وذهب به الى عليين وان الكافر اذا حضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة مسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة ويطوى عليها المسح ويذهب به الى سجين وروى النسائي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احضر الميت أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون أخرجي راضية مرضيا عنك الى روح وريحان ورب راض غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك حتى انه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتوا به باب السماء فيقولون ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الارض فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه مافعل فلان مافعلت فلانة فيقولون دعوه فانه كان في غم الدنيا فاذا قال لهم أما أتاكم فلان فانه قد مات فيقولون ذهب به الى أمه الهاوية الحديث وروى ابن اسحق عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في حديث الاسراء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بني آدم فيقول لبعضها اذا عرضت عليه خيرا ويسر به ويقول روح طيبة خرجت من جسد طيب ويقول لبعضها اذا عرضت عليه أف ويعبس بوجهه روح خبيثة خرجت من جسد خبيث قال قلت من هذا يا جبريل قال هذا أبوك آدم تعرض عليه أرواح ذريته فاذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها وقال روح طيبة خرجت من جسد طيب واذا مرت به روح الكافر منهم أفف منها وكرهها وساءه ذلك وقال روح خبيثة خرجت من جسد خبيث وفي بعض طرق حديث أنس في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل يساره بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال السهيلي في الروض الأنف وكان آدم عليه الصلاة والسلام في السماء الدنيا لانه تعرض عليه أرواح ذريته البر والفاجر فكان في السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لان أرواح أهل الشقاء لا تلج في السماء ولا تفتح لهم أبوابها كما قال الله تعالى

﴿فصل﴾ في ذكر حديث البراء المشهور الجامع لاحوال الموتى عند قبض أرواحهم وكيف حالهم في قبورهم وقد نقله عبد الحق والقرطبي على الكمال قال القرطبي وقد خرجه أبو داود الطيالسي وعبد ابن حميد في مسنديهما وعلي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية وهناد بن السري في زهده وأحمد بن حنبل

فى مسنده وغيرهم وهو حديث صحيح له طرق كثيرة تهمم بتخريج طرقه على بن معبد حدثوا كلهم
بأسانيدهم وبعضهم يزيد على بعض * عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير قال فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يرفع بصره وينظر الى السماء
ويخفض بصره وينظر الى الارض ثم قال أعوذ بالله من عذاب القبر قالها مرارا ثم قال ان العبد المؤمن اذا
كان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فيقول أخرجى أيتها النفس
المطمئنة الى مغفرة من الله ورضوان فتخرج نفسه كما يسيل قطر السقاء وان كنتم ترون غير ذلك وينزل
ملائكة من الجنة بيض الوجوه كان وجوههم الشمس معهم أكفان من أكفان الجنة وحنوط من حنوط
الجنة فيجلسون منه مد البصر فاذا قبضها الملك لم يدعوها فى يده طرفة عين قال فذلك قوله تعالى توفته رسلنا
وهم لا يفرطون قال فتخرح نفسه كأطيب ريح وجدت على وجه الارض فتعرج به الملائكة فلا يأتون
على جند من الملائكة فيما بين السماء والارض الا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقال هذا فلان بن فلان
بأحسن أسمائه فاذا انتهوا الى السماء الدنيا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقال هذا فلان بن فلان بأحسن
أسمائه فتفتح له أبواب السماء ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهى به الى السماء السابعة قال فيقال
اكتبوا كتابه فى عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون فيكتب كتابه فى عليين ثم يقال
ردوه الى الارض فانى وعدتهم منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فيرد الى الارض
وتعاد روحه فى جسده قال ويبعث اليه ملكان شديدا الانتهار فيجلسانه وينتهرانه فيقولان من ربك
وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام فيقولان فما تقول فى هذا الرجل فيقول هو رسول الله
فيقولان وما يدريك فيقول جاءنا بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقت قال وذلك قوله تعالى يثبت الله
الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال وينادى مناد من السماء أن قد صدق عبدى
فألبسوه من الجنة وافرشوا له من الجنة وأروه منزله من الجنة قال فيلبس من الجنة ويفرش له من الجنة
ويرى منزله من الجنة ويفسح له فى قبره مد بصره ويمثل له عمله فى صورة رجل حسن الوجه طيب
الريح حسن الثياب قال فيقول له ابشر بما أعد الله لك من الكرامة هذا يومك الذى كنت توعد أبشر
برضوان الله وجنات فيها نعيم مقيم فيقول بشرك الله بخير ومن أنت رحمك الله فوجهك الذى جاء بالخير قال
فيقول أنا عملك الصالح فوالله ما علمتك الا سريعا فى طاعة الله بطيأ عن معصية الله فجزاك الله عنى خيرا
فيقول يارب أقم الساعة كى أرجع الى أهلى ومالى قال عبد الحق فى هذا الحديث قال الاعمش وهو سليمان بن
مهران حدثنى بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يقال له ثم قال فينام كنومة نامها نائم قط حتى
توقظه الساعة ثم رجع الى حديث البراء قال وان كان فاجرا وكان فى انقطاع من الدنيا واقبال من
الآخرة جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فقال أخرجى أيتها النفس الخبيثة الى غضب الله وسخطه
فتفرق روحه فى جسده قال فيستخرجها تقطع معها العروق والعصب كالسفود الكثير الشعب فى
الصوف المبلول قال وتنزل ملائكة من السماء سود الوجوه معهم مسوح من نار فيجلسون منه مد البصر
فاذا وقعت فى يد ملك الموت قام اليه الملائكة فلم يتركوها فى يده طرفة عين قال ويخرج منه ريح كأنتن
جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون به فلا يمرون على جند من الملائكة فيما بين السماء والارض
الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون هذا فلان بأسوء أسمائه قال فاذا انتهوا به الى السماء الدنيا أغلقت
دونه فلم تفتح دونه وينادى مناد ان اكتبوا كتابه فى سجين وارجعوا الى الارض فانى وعدتهم انى منها خلقتهم
وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فيرمى به من السماء قال وتلا هذه الآية ومن يشرك

بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح فى مكان سحيق قال فيعاد روحه فى جسده و يأتيه ملكان شديدا الانتهار فيجلسانه و ينتهرانه قال فيقولان له من ربك وما دينك فيقول لاأدري فيقولان ماتقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم فلا يهتدى لاسمه فيقال محمد فيقول لاأدري سمعت الناس يقولون ذلك فيقولان له لادريت قال وذلك قوله تعالى و يضل الله الظالمين و يفعل الله مايشاء قال و ينادى مناد من السماء أن قد كذب فالبسوه من النار وافرشوا له من النار وأروه منزله من النار قال فيكسى من النار و يرى منها منزله قال و يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه قال و يمثل له عمله فى صورة رجل قبيح المنظر قبيح الثياب منتن الريح فيقول ابشر بالذى يسوءك ابشر بغضب من الله وسخطه وفى طريق ابشر بعذاب الله وسخطه هذا يومك الذى كنت توعد هذا يومك الذى كنت تكذب قال فيقول له و يلك ومن أنت فوالله لوجهك الوجه الذى جاء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فوالله ماعلمتك الابطيئا عن طاعة الله سريعا الى معصية الله فجزاك الله عنى شر الجزاء قال فيقول يارب لاتقم الساعة مما يرى مما أعد الله له وفى بعض طرق هذا الحديث عن البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيقيض له أصم أبكم ومعه مرزبة لوضرب بها جبل صار ترابا أوقال رميما فيضربه ضربة يسمعها الخلائق الا الثقلين ثم تعاد فيه الروح فيضربه ضربة أخرى وفى بعض طرقه فاذا خرجت روحه لعنه كل ملك فى السماء وكل ملك فى الارض وروى ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يصير الى القبر فيجلس الرجل الصالح فى قبره غير فزع ولا مشعوب ثم يقال له فيم كنت فيقول كنت فى الاسلام فيقال ماهذا الرجل فيقول محمد رسول الله الحديث وسيأتى ان شاء الله تعالى

﴿فصل﴾ وروى أبو نعيم فى الحلية عن سعيد بن جبير قال قرئت عند النبي صلى الله عليه وسلم ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فقال أبو بكر رضى الله عنه ان هذا لحسن فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما ان ملك الموت يقولها لك عند الموت قال صاحب روضة الحقائق جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أراد الله تعالى قبض روح وليه قال ياملك الموت اذهب فأتنى بروح عبدى فحسبى من عمله فقد أعطيته فوجدته شاكرا وابتليته فوجدته صابرا فحسبى من عمله اذهب باسم الله أنت وأعوانك ستجده سامعا مطيعا ذاكرا مستعدا فيأتيه ملك الموت وقد دخل التقى قلبه فقال له ملك الموت ياولى الله ارتحل من غموم الدنيا فانه لن يعتريك غم بعد هذا أبدا هذا آخر ماعليك ثم تحتوشه الملائكة بريحان الجنة يقولون أخرجى أيتها النفس المطمئنة الى روح وريحان ورب راض عنك غير غضبان أخرجى فنعم ماقدمت فتخرج بأطيب رائحة مسك وجدها أحدكم قط وعلى أرجاء السماء ملائكة فيقولون سبحان الله جاء اليوم من الارض روح طيب ونسمة طيبة فلا يمر بباب الافتح له ولا بملك الاوصلى عليه وشفع له حتى يؤتى به الرحمن سبحانه فتسجد له الملائكة وتقول يارب هذا عبدك فلان قد توفيناه وأنت أعلم فيقول مروه بالسجود فتسجد النسمة ثم يدعو ميكائيل فيقول له اذهب بهذه النسمة وضع جسده فى قبره ووسع عليه سبعين فى سبعين و يبث فيه الريحان و يستر بالحرير فان كان معه شئ من القرآن كفاه نوره والا جعل معه مثل نور الشمس و يستأذن الروح والجسد فى الثناء فيؤذن لهما فيثنى كل واحد منهما على صاحبه فيقول الروح للجسد جزاك الله خيرا فنعم الاخ أنت ونعم الصاحب كنت لى فيما عملت سريعا الى طاعة الله بطيئا عن معصية الله فقد نجوت أستودعك الله ربى واقرئ عليك السلام حتى نلتقى يوم القيامة فيقول جبريل عليه السلام للارض ربك يأمرك ان تستوصى بجسد وليه خيرا فتتعطف عليه الارض وتحن عليه

وتقول قد كنت أحملك وأنت تمشي على ظهري فكيف بك اليوم اذ صرت في بطني فتحفظه كما تحفظ الوالدة ولدها ويبكي عليه موضع صلاته من الارض ومن السماء الباب الذي يصعد منه عمله وهو معنى قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وتصير عمله كأحسن رجل خلق الله سبحانه يمشي معه كلما مشى وكلما فزع بشره وكلما عثر أقامه فيقول جزاك الله من رجل عني خيرا فلا عهد لي بصاحب خير منك فيقول له أما تعرفني فيقول لا فيقول أنا عملك الذي كان في الدنيا حسنا فلذلك تراني حسنا وكان جميلا فلذلك تراني جميلا اركب علي فقد حملتني في الدنيا فاليوم أحملك ثم ذكر في الكافر والفاجر نحو ما تقدم في حديث البراء قال أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الشهير بابن آجروم في شرحه لحرز الاماني وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال من قرأ القرآن وعمل به فحضرته الوفاة جاءه القرآن فوقف على رأسه وهم يغسلونه فاذا فرغ من غسله دخل بين صدره وكفنه فاذا وضع في قبره جاءه منكر ونكير خرج القرآن فصار بينه وبينهما فيقولان السلام عنا فانا نريد ان نسأله فيقول والله ما أنا مفارقه حتى أدخله الجنة فان كنتما أمرتما فيه بشئ فشأنكما فيسألانه ويثبته الله تعالى ويؤنسه القرآن فاذا فرغا من سؤاله وفتنته قال له القرآن أما تعرفني فيقول له لا فيقول له أنا القرآن الذي كنت أسهر ليلك وأظمئ نهارك وأمنعك شهواتك فستجدني اليوم من الاخوان أخا صدق ومن الاخلاء خليل صدق فابشر فما عليك من بأس ولا هم ولا حزن بعد مسئلة منكر ونكير فيصعد القرآن الى الله عز وجل فيسأل له فراشا ودثارا وقنديلا من نور الجنة وياسمينا من ياسمين الجنة فيؤمر له بذلك كله فيحمله اليه ألف ملك من مقربي ملائكة الله سبحانه فيسبقهم اليه القرآن فيقول هل استوحشت بعدي فاني لم أزل من الساعة التي خرجت من عندك أسأل لك ربي حتى أمر لك بفراش ودثار ونور من نور الجنة فتأتي به الملائكة يحملونه حتى يضجعوه على شقه الايمن ثم يخرجون عنه فيستلقي عليه فلا يزال ينظر الى الملائكة حتى يلجوا في السماء ثم يدفع القرآن في قبلة القبر فيوسع عليه ما شاء الله تعالى ثم يحمل الياسمين من عند صدره فيجعله عند أنفه فيشمه غضا الى يوم ينفخ في الصور ثم يأتي أهله كل يوم مرتين غدوة وعشية يخبرهم ويدعو لهم بالخير فان تعلم أحد من ولده القرآن بشره بذلك وان كان عقبه عقب سوء أتى الدار غدوة وعشية فبكى عليه وفي بعض الروايات وان كان عقبه عقب سوء دعا لهم بالفلاح

﴿فصل﴾ قال صاحب التذكرة وخرج أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن حرب صاحب ابن المبارك في رقائقه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه كان يقول اذا قتل العبد في سبيل الله كان أول قطرة تقطر من دمه الى الارض كفارة للخطايا ثم يرسل الله عز وجل بريطة من الجنة فيقبض فيها روحه وصورة في الجنة فتركب فيها روحه ثم يعرج مع الملائكة كأنه كان معهم والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء روح من الارض طيبة ونسمة طيبة فلا يمر بباب الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها ودعا لها ويشيعها حتى يؤتى بها الرحمن سبحانه فيقولون يا ربنا هذا عبدك توفيته فيسجد قبل الملائكة ثم تسجد الملائكة بعد ثم يطهر ويغفر له ثم يؤمر فيذهب به الى الشهداء فيجدهم في قباب من حرير في رياض خضر عندهم حوت وثور يظل الحوت يسبح في أنهار الجنة يأكل من كل رائحة في أنهار الجنة فاذا أمسى وكزه الثور بقرنه فيذكيه فيأكلون لحمه يجدون في لحمه طعم كل رائحة ويبيت الثور في أفناء الجنة فاذا أصبح غدا عليه الحوت فوكزه بذنبه فيذكيه فيأكلون فيجدون في لحمه طعم كل رائحة في الجنة ثم يعودون وينظرون الى منازلهم من الجنة ويدعون الله عز وجل أن تقوم الساعة واذا توفي العبد المؤمن بعث الله عز وجل اليه ملكين وأرسل اليه بخرقة من الجنة فقالا

أخرجي أيتها النفس الطيبة أخرجي الى روح وريحان ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح من مسك ماوجدها أحد بأنفه قط والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الافتح لها ولا بملك الادعا لها وصلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن سبحانه فتسجد الملائكة ثم يقولون هذا عبدك فلان قد توفيته وكان يعبدك لايشرك بك شيأ فيقول مروه فليسجد فتسجد النسمة ثم يدعو ميكائيل فيقول اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين حتى أسألك عنها يوم القيامة ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذله فيه الرياحين ويستر بالحرير فان كان معه شئ من القرآن كفاه نوره وان لم يكن معه جعل الله فى قبره نورا مثل نور الشمس ويكون مثله كمثل العروس ينام فلا يوقظه الا أحب أهله اليه قال فيقوم من نومه كأن لم يشبع من نومته واذا توفى العبد الفاجر أرسل الله اليه ملكين وأرسل بقطعة من بجاد أنتن من كل نتن وأخشن من كل خشن فقالا أخرجي أيتها الروح الخبيثة أخرجي الى حميم وعذاب ورب عليك غضبان أخرجي وساء ماقدمت لنفسك فتخرج كأنتن رائحة وجدها أحد بأنفه قط وعلى أرجاء السماء ملائكة يقولون قد جاء من الارض روح خبيثة ونسمة خبيثة فتغلق دونها أبواب السماء ولا تصعد الى السماء ثم يؤمر فيضيق عليه قبره وترسل عليه حيات أمثال أعناق البخت فتأكل لحمه حتى لاتذر على عظمه لحما ويرسل عليه ملائكة صم عمي يضربونه بفطاطيس من حديد لايسمعون صوته فيرحمونه ولايبصرونه فيرحمونه ولايخطؤنه حين يضربونه ويعرض عليه مقعده من النار بكرة وعشيا يدعو بأن يدوم ذلك ولايخلص الى النار وخرج أبو داود الطيالسي قال حدثنا حماد عن قتادة عن أبي الجوزاء عن أبي هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قبض العبد المؤمن جاءته ملائكة الرحمن فتسلم وتسل نفسه فى حريرة بيضاء فيقولون ماوجدنا ريحا أطيب من هذه أى فيأتون به أرواح المؤمنين فيسألونه فيقولون ارفقوا به فانه خرج من غم الدنيا فيقولون مافعل فلان مافعلت فلانه قال وأما الكافر فتخرج نفسه فتقول خزنة الارض ماوجدنا ريحا أنتن من هذه فيهبط الى أسفل الارض وروى أبو نعيم فى حليته عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال تخرج نفس المؤمن وهى أطيب ريحا من المسك فتصعد بها الملائكة الذين يتوفونها فتلقاهم ملائكة دون السماء فيقولون من هذا معكم فيقولون فلان ويذكرونه بأحسن عمله فيقولون حياكم الله وحيا من معكم فتفتح لهم أبواب السماء قال فيشرق وجهه قال فيأتى الرب تعالى ولوجهه برهان مثل الشمس ولما حضر أبا موسى الوفاة دعا بنيه فقال اذهبوا واحفروا وأوسعوا واعمقوا فجاؤا وقالوا قد حفرنا وأوسعنا وأعمقنا فقال والله انها لاحدى المنزلتين امالبوسعن على قبرى حتى تكون كل زاوية منه أربعين ذراعا ثم ليفتحن لى باب الى الجنة فلأنظرن الى أزواجى ومنازلى وماأعد الله لى من الكرامة ثم لأكونن أهدى الى منزلى منى اليوم الى بيتى ثم ليصيبنى من ريحها وروحها حتى أبعث وان كانت الاخرى ونعوذ بالله منها ليضيقن على قبرى حتى أكون أضيق من القناة فى الزج ثم ليفتحن لى باب من أبواب جهنم فلأنظرن الى سلاسلى وأغلالى وقرنائى ثم لأكونن الى مقعدى من جهنم أهدى منى اليوم الى بيتى ثم ليصيبنى من سمومها وحميمها حتى ابعث انتهى مانقله أبو نعيم عافانا الله من عذابه بمنه

﴿فصل﴾ قلت ظاهر الاحاديث ان روح المؤمن هى التى يرقى بها فى السموات وان أرواح الكفار والفجار تغلق دونها أبواب السماء قال القرطبي قال أبو الحسن القابسى المذهب الصحيح والذى عليه أهل السنة ان الروح ترفعها الملائكة حتى توقفها بين يدى الله عز وجل فيسألها فان كانت من أهل السعادة قال لهم سبحانه سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة فيسيروا بها فى الجنة على قدر مايغسل الميت

فاذا غسل وكفن ردت وأدرجت بين كفنه وجسده فاذا حمل على النعش فانه يسمع كلام الناس من تكلم بخير ومن تكلم بشر فاذا وصل الى قبره وصلى عليه ردت فيه الروح وأقعد ذا روح وجسد ودخل عليه الملكان الفتانان على ما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى اللهم ثبتنا واجعل أنسنا في الدارين بك وعاملنا بفضلك ولا تكلنا الى أنفسنا في الدنيا والآخرة طرفة عين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم اللهم آمين زاد في حديث عمرو بن دينار وانه يقال له وهو على سريره اسمع ثناء الناس عليك رواه الحافظ أبو نعيم وقال الغزالي في الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة فاذا قبض الملك النفس السعيدة تناولها ملكان حسان الوجوه عليهما أثواب حسنة ولهما رائحة طيبة فيلفونها في حريرة من حرير الجنة وهي على قدر النحلة شخص انساني ما فقد من عقله ولا من علمه المكتسب له في دار الدنيا شيأ فيعرجون به في الهواء فلا يزال يمر بالامم السالفة والقرون الخالية كأمثال الجراد المنتشر منهم من يعرف ومنهم من لا يعرف حتى ينتهوا به الى سماء الدنيا الحديث وفيه ويمر بملأ من الملائكة كلهم يبشرونه بالخير ويصافحونه بالسلام ويثنون عليه بمحاسن عمله وفي كل سماء يمر بملائكة يصافحونه ويسلمون عليه حتى ينتهي الى سدرة المنتهى ويوقف بين يدي الله عز وجل وربما عاتب عبده بعض المعاتبة ثم يعفو سبحانه عنه الحديث وروى ان يحيى بن أكثم القاضي رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال أوقفني ربي سبحانه بين يديه ثم قال يا شيخ السوء فعلت كذا وفعلت كذا فقلت يا رب ما بهذا حدثت عنك قال فبم حدثت عني يا يحيى فقلت حدثني الزهري عن معمر عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عنك سبحانك أنك قلت اني لاستحي ان أعذب شيبة شابت في الاسلام فقال يا يحيى صدقت وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق محمد وصدق جبريل وقد غفرت لك وعن ابن نباته وقد رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال أوقفني سبحانه بين يديه وقال أنت الذي تخلص كلامك حتى يقال ما أفصحه قلت سبحانك اني كنت أصفك قال قل كما كنت تقول في دار الدنيا قال فقلت أبادهم الذي خلقهم وأسكتهم الذي أنطقهم وسيوجدهم كما أعدمهم ويجمعهم كما فرقهم قال لي صدقت اذهب فقد غفرت لك

﴿فصل﴾ ومن تأليف الفقيه شاكر بن مسلم الاوريولي وهو من أئمة الاندلس ذكر في كتابه هذا حكاية أنه راى النجم الذي له ذنب في عام تسعة وتسعين وأربعمائة فعلمت أنه في عصر الغزالي ونظرائه ولقد أحسن في كتابه هذا وأكثر أحاديثه ينقلها بالمعنى على طريق المحاسبي في كتاب التوهم وانما عرفت به لاني عزمت على نقل ما استحسنته من كلامه فيكون نقلا عن معلوم لا مجهول قال رحمه الله اعلم ان ملك الموت عليه السلام له أعوان وارسال من الملائكة قد سخرهم الله له وأمرهم بطاعته والاستماع لامره وهما صنفان ملائكة خلقوا للرفق والرأفة والرحمة لمن وجبت له بسعادته الرحمة وملائكة خلقوا للعنف والغلظة والنقمة لمن وجبت له بشقاوته النقمة ثم قال رحمه الله قال الحسن وغيره من العلماء اذا كان الانسان على انفصال من عمله واتصال بوقت أجله وولت الدنيا عنه مدبرة ودنت الآخرة منه مقبلة وحان قبض روحه وتصيره الى ضريحه فعند ذلك تنزل الملائكة لقبض روحه وانتزاع نفسه فيشق له عن بصره حتى يراهم ويميل بنظره اليهم ويكشف له عن غطائه حتى يراهم فذلك حين يشخص ببصره متطلعا اليهم ويقبل بنظره الحديد عليهم قال بعض العلماء ورواه بعضهم حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فان كان من أهل السعادة دخلت عليه ملائكة الرحمة بالرضا والثواب فقبضت روحه وصيرته الى محل السعادة والنعيم والمقر الكريم وان الملك الموكل بقبض روحه يقعد عند رأسه ويقول أيتها النفس المطمئنة الساكنة في الجسد الطاهر الطيب أخرجي حميدة

وارجعي الى ربك عزيزة سعيدة أخرجي الى رحمة من ربك ورضوان ومغفرة منه وأمان وأبشري برحمة من الله وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال الملك يقول لها ذلك والروح تسل من جسده سلا وتجذب جذبا سهلا حتى يبدوله الروح من الحلقوم فيمد الملك يده فيتناول الروح ويسله سلا ويجذبه جذبا سهلا كما تسل الشعرة من العجين فى أسرع حين فيخرج الروح من الجسد يسيل سيلا كالقطر من الماء اذا قطر من السقاء فيأخذه الملك بيمينه وله رائحة طيبة كأطيب ريح مسك ومعه سائر ملائكة الرحمة كأن وجوههم الشمس حسنا وضياء لهم روائح طيبة فيصعدون به وكلما مروا فى طريقهم ذلك بملأ من الملائكة فى السماء قالوا لمن هذا الروح الطيب فلقد خرج من جسد طيب فيقولون لهم هذا روح فلان بن فلان عبد صالح تقى وانسان طائع لله ولى فيسمونه لهم باسمه ويصفونه بأحسن صفاته ويذكرون محاسنه وخصاله الجميلة فتقول الملائكة مرحبا به وأهلا وبكم ياملائكة الرحمة فنعم مابه جئتم فتستقبله ملائكة كل سماء بالترحيب والتبجيل والتحية والتسليم والدعاء الجميل ويصعدون به الى السماء السابعة ثم الى عليين ثم يأتون به الى تحت العرش وكلما مروا بملأ من ملائكة كل سماء أو فوج من ملائكة السابعة أو حملة العرش تلقوه بالتحية والسلام والبشرى والترحيب فيستقرون به تحت العرش ويستأذنون فيه رب العزة سبحانه فيقول الله سبحانه اكتبوا لعبدى كتابا فى عليين وأروه مقعده من الجنة ومنزلته من رضوانى الى يوم الدين الحديث قال وروى عن ابن عباس وأبى موسى الاشعرى رضى الله عنهما وجماعة من التابعين ان روح المؤمن تخرج من جسده وهو يفوح كأطيب ريح مسك فتقبضه ملائكة الرحمة فيأخذه الملك الموكل به منهم فيصعد به الى السماء ومعه ملائكة الرحمة الذين يتوفونه فتتلقاهم ملائكة كل سماء فيسألونهم ويقولون لهم من هذا الذى نزلتم اليه ولمن هذا الروح الطيب الذى جئتم به فيقولون لفلان بن فلان العبد الصالح فيسمونه لهم وينسبونه ويذكرونه بأحسن ذكر ويصفونه بأجمل صفاته فتقول لهم الملائكة مرحبا به وبكم ياملائكة الرحمة سيروا به الى رحمة ربه وكرامته فيسيرون به على سبيله الذى كان منه يصعد عمله الصالح ودعوه وذكره لله سبحانه ومنه الى الجنة ليرى منزله منها الذى ينزله اذا صار اليه ثم يؤمر برده الى الارض حتى اذا جهز حضره روحه وعمله الصالح حتى يسأله الملكان فى قبره وقال ابن حبيب وغيره من العلماء اذا قبض روح المؤمن قبلته ملائكة الرحمة فعرجوا به الى سماء الدنيا فتفتح له أبوابها وتهيأ له أسبابها وتتلقاه ملائكتها وحملها ويبادرونه بالتحية والسلام والتبجيل ولطف الكلام والمبرة والاكرام فلا يزالون كذلك حتى ينتهوا به الى عليين ويستأذنون له رب العالمين فيؤذن لهم فيه ويكتب لهم نزله وكرامته ونعيمه الى يوم الدين ثم يؤمر به الى الارض فيرد اليها حتى يقبر جسده فيها فيكون روحه مع جسده حتى يفرغ من سؤال الملكين ثم يذهب به الى عليين عند جنة المأوى وانما سميت جنة المأوى لان اليها تأوى أرواح المؤمنين السعداء الصالحين والاولياء والشهداء وتكون بها حتى ترد الى اجسادها يوم القيامة فتكون فى عليين منعمة الى يوم يبعثون فى صدور طير بيض تذهب بهم الطير حيث يشاؤن وتأوى الى ما شاءت من أشجارها وتتناول ما شاءت من أزهارها وثمارها وتنظر كل غداة وعشى الى منازلها من الجنة ومقعدها ومستقرها اذا هى عادت الى أجسادها يوم البعث ثم تأوى الى جنة المأوى فى قناديل من نور معلقة بالعرش فلا تزال كذلك الى يوم الدين وقال ابن حبيب أيضا وغير واحد من العلماء وهو مروى أيضا عن ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم رواه بعضهم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا قبض روح المؤمن عند حضور الموت حضرته ملائكة الرحمة فقبضه الملك بيده ولفه فى حرير من حرير الجنة فتنتشر منه ريح طيبة أذكى من المسك فتصعد به الملائكة الى السماء الدنيا

فتفتح له أبوابها وتتلقاه ملائكتها وحجابها فيقبلون عليه بالبشرى والترحيب والسلام والبرة والاكرام ويهنئونه ويدعون له ويجلونه فيمرون به كذلك على السماء حتى يأتوا به على منتهاها وجميع أملاكها ثم يمرون به كذلك من سماء الى سماء حتى ينتهوا به الى تحت العرش الى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى وفيها أرواح الاولياء والانبياء والشهداء واليها تأوى أرواحهم فيستأذنون به على رب العزة سبحانه فينزل اليهم ملك من قبل العرش وبيده صحيفة مكتوب فيها من نور بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد هذا عبدنا عمل بطاعتنا فرضيناله بذلك ورضيناعنه بحسن ثنائنا عنه وثوابناله واحساننااليه أروه منزله من الجنة ومقعده فيها من الكرامة ومانبعثه اليه يوم القيامة فيسيرونبه حتى يرى ذلك كله وينظراليه ثم يمرون به كذلك على أرواح المؤمنين الذين توفاهم الله قبله وهم يجتمعون فى أنديةلهم هنالك جماعات جماعة فى تفرقة بقدرمنازلهم من الكرامة فيلقونه بالتحية والبشرى والترحيب ويسألونه عمن يعرفونه من أهليهم وأصحابهم واخوانهم وجيرانهم الذين تركوهم بعدهم أحياء فيقولون له اتعرف فلانا أتعرف فلانة ومافعل فلان ومافعلت فلانة وهل تزوج فلان وهل تزوجت فلانة فيخبرهم عنهم ويحدثهم بما يعلمه منهم فاذا أخبرهم بالعمل الصالح والفعل الجميل سرهم ذلك وفرحوابه واستبشروا ودعواله بالتوفيق والعصمة وحمدوا الله على ذلك وقالوا الحمد لله اللهم فثبته ووفقه واعصمه حتى تميته على ماهو الآن عليه وتقبض روحه على ذلك فانك ذو وفاء ورحمة واسعة وكن له حافظا انك على كل شىء قدير واذا قال لهم ان فلانا هذا أو فلانة هذه مات قبلى فلا أدرى ماصنع به لمن لم يكونوا رأوه قبل ذلك ولامر بهم روحه علموا أنه ليس من أهل السعادة وانه مات على الحالة المكروهة فكان من أهل الشقاوة فساءهم ذلك وحزنهم أمره وقالوا هيهات عمل والله عملا غيرأعمالنا فسلك به غيرطريقتنا فعجل به الى الهاوية فبئست والله الام هى وبئست المربية انالله وانا اليه راجعون لقدخسرخسرانا مبينا انتهى مانقلناه من كتاب شاكربن مسلم قوله فى الروح تسل كماتسل الشعرة من العجين صحيح وعندأبى الليث السمرقندى تسل روحه كما تسل الشعرة من العجين وهوحسن قريب فى المعنى من الذى قبله وفيه أيضا فتخرج وتسيل كماتسيل القطرة من السقاء وقوله فتخرج الروح من الجسد تسيل سيلا كالقطر من الماء اذا قطرمن السقاء هو نحوما فى حديث البراء المتقدم حيث قال فتخرج نفسه فتسيل كما يسيل قطر السقاء وعندالغزالى فى الدرة الفاخرة والنفس تسل سليل القطرمن السقاء والفاجر تسل نفسه كالشوك من الصوف المبلل هكذا حكى صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ولفظه فى كتاب الاحياء وقال أبوهريرة رضى الله عنه ان المؤمن اذا حضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك تسل روحه كماتسل الشعرة من العجين فيقال أيتها النفس المطمئنة أخرجى راضية مرضية الى روح الله وكرامته فاذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها الى عليين ثم ذكر فى الكافر نحو ماتقدم فى الاحاديث وقدقدمنا هذا الحديث بعينه من رواية البزار وروى أبونعيم فى حليته عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان المؤمن اذا حضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك ومن ضبائر الريحان وتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضيا عنك فطويت عليها الحريرة ثم يبعث بها الى عليين

﴿فصل﴾ وذكر صاحب كتاب التشوف ان سلمان الفارسى رضى الله عنه دخل على رجل من أصحابه وهو فى النزع فسلم فسمع ردالسلام عليه ولم ير شخصا فقال سلمان ياملك الموت ارفق بصاحبنا فقال انى رفيق بكل مؤمن قيل ليحيى بن معين ياأبابكر هل يصح هذا الحديث فقال رواه شبابة وليس ينكر أن يكون لسلمان مثل هذا ذكره هذا فى جملة كراماته رضى الله عنه وهذا يقوى مارواه الماوردى عن جعفر

وقد تقدم في باب ذكر الموت والوفاة في أول كتابنا هذا

﴿فصـــل﴾ قال الغزالي في كتاب الاحياء قال محمد بن علي ما من ميت يموت الا مثل له عند موته أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته و يطرق عن سيئاته قال الغزالي رحمه الله تعالى حكى عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين حضره الموت فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان وذكرت محاسنه فأفاق وقال من المتكلم فقلت أنا فقال ان ملك الموت عليه السلام يقول لي اني بكل سخي رحيم ثم طفي رحمه الله وقد تقدم من كلام الغزالي في صفة ملك الموت قال وأما المطيع فانه يرى ملك الموت في أحسن صورة وأجملها ثم ذكر ان ابن عباس ذكر ان ابراهيم عليه السلام قال للملك الموت يا ملك الموت هل تستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فاعرض عني فأعرض عنه ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب رائحته فقال ياملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه أي كان يكفيه لما يجده من الفرح والسرور برؤيته جعلنا الله ممن أنعم عليه بخيراته فكل الخيرات والمسرات منه سبحانه لا اله الا هو وبالجملة فمن حصل له رضا الله سبحانه وأقبل عليه باحسانه أقبلت عليه الموجودات وأظهرت له الفرح والمسرات قال الغزالي قال وهب بن منبه كان ملك من الملوك المتكبرين يسير في جنده وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته وقال ان لي اليك حاجة قال اذكرها قال هي سر فأدنى اليه رأسه فساره وقال أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى أرجع الى أهلي وأقضي حاجتي وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك أبدا فقبض روحه وخر كأنه خشبة ثم مضى فلقي عبدا مؤمنا فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لي اليك حاجة قال هات فساره فقال أنا ملك الموت فقال مرحبا وأهلا بمن طالت غيبته عني فوالله ما كان في الارض غائب أحب الي أن ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت لها فقال مالي حاجة أكبر عندي ولا أحب الي من لقاء الله تعالى فقال اختر على أي حالة تريد أن أقبض روحك قال وتقدر على ذلك قال نعم واني أمرت بذلك فقال دعني حتى أتوضأ وأصلي فاقبض روحي وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد وقال عبيد بن عمير أهل القبور يتوكفون الاخبار فاذا أتاهم الميت قالوا مافعل فلان فيقول ألم يأتكم أو ما قدم عليكم فذكر ما تقدم وعن جعفر بن سعيد قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب وروى أبو أيوب الانصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون انظروا أخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبله وقال مات قبلي قالوا انا لله ذهب به الى أمه الهاوية

﴿فصـــل﴾ قال الغزالي فهذه الاخبار تدلك على أن الموت ليس عبارة عن اعدام الروح وانعدام ادراكها وانما هو مفارقة الروح للجسد فالذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والاخبار أن الموت معناه تغير حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة واما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها للجسد لخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء آلات للروح تستعملها حتى أنها تبطش باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب والروح تعلم الاشياء بنفسها من غير آلة ولذلك يتألم بنفسه بأنواع الحزن والغم والكمد و يتنعم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقتها للجسد وما هو لها بواسطة الاعضاء فيتعطل بموت الجسد الى أن يعاد الروح الى الجسد فالانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم والآلام

والملذات وذلك لا يموت ولا ينعدم فمعنى الموت انقطاع تصرف الروح للبدن وخروج البدن عن أن يكون له آلة قال واعلم انه ينكشف للعبد بالموت مالم يكن منكشفا له في الحياة كما ينكشف للمستيقظ مالم ينكشف له في النوم فالناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وأول ماينكشف له مايضره وماينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا في كتابه مطويا في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر الى سيئة الا ويتحسر عليها تحسرا يود أن يخوض غمرات النار للخلاص من تلك الحسرة وينكشف له كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران فراق كل ما كان يطمئن اليه من هذه الدنيا دون ما أراد منها لاجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة اذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا الا قدر الضرورة وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال القبر أول منزل من منازل الآخرة فاما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار وهذا نص صريح في ان الموت معناه تغير حال فقط وأن ماسيكون من شقاوة الميت أو سعادته يتعجل عند الموت من غير تأخر وانما يتأخر بعض أنواع العذاب أو الثواب دون أصله قلت ورأيت في بعض كتب التذكير مانصه ذكر في بعض الاخبار ان العبد اذا مات أحضر عمله كله عند رأسه خيرا كان أو شرا فاذا صلى عليه ودفن وانصرف عنه الناس بقي عمله معه في قبره ولا يزال معه في قبره الى يوم مبعثه من قبره فاذا أخرج أخرج معه فاذا قام الى الحساب اجتمع عليه كله خيره وشره حتى حركاته وأنفاسه وخلافه ووفاقه ويجد الكل مجموعا لم ينس منه شيأ لا من الكبائر ولا من الصغائر ولا من الظواهر ولا من السرائر

﴿فصل﴾ قال القرطبي رحمه الله تعالى تأمل ياأخي وفقني الله واياك جميع ماتقدم من الاحاديث ترشدك الى أن الروح والنفس شئ واحد وانه جسم لطيف متشابك للاجسام المحسوسة يجذب ويخرج وفي أكفانه يلف ويدرج وبه الى السماء يصعد ويعرج لا يموت ولا يفنى وهو مماله أول وليس له آخر وهو بعينين ويدين وانه ذو ريح طيبة أو خبيثة وهذه صفة الاجسام لا صفة الاعراض وقد قال بلال في حديث الوادي الشهير أخذ بنفسي يارسول الله الذي أخذ بنفسك وقال صلى الله عليه وسلم في حديث الوادي من رواية زيد بن أسلم ياأيها الناس ان الله قبض أرواحنا ولو شاء ردها الينا في حين غير هذا وقال صلى الله عليه وسلم ان الروح اذا قبض تبعه البصر وقال وذلك حين يتبع بصره نفسه وهذه الاحاديث الصحيحة غاية في البيان ولا عطر بعد عروس وقد اختلف الناس في الروح اختلافا كثيرا وأصح مافيه ماذكرناه لك وهو مذهب أهل السنة انه جسم وقد قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها فقال أهل التأويل يريد الارواح وقال تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم يعني النفس عند خروجها وهذه صفة الجسم وكل من يقول ان الروح تموت وتفنى فهو ملحد قلت قال ابن راشد في كتابه المسمى بالمرقبة أخبرني شيخي القرافي عن ابن دقيق العيد انه رأى كتابا لبعض الحكماء في حقيقة النفس وفيه ثلاثمائة قول قال رحمه الله وكثرة الخلاف تؤذن بكثرة الجهالات والذي عليه المحققون من المتأخرين انها جسم نوراني شفاف سار في الجسم سريان النار في الفحم والدليل على أنها في الجسم قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم فلو لم تكن في الجسم لما قال ذلك وقد أخبرني الفقيه الخطيب أبو محمد البرجيني رحمه الله تعالى عن الشيخ الصالح أبي الطاهر الركراكي رحمه الله تعالى قال حضرت عند ولي من الاولياء حين النزع فشاهدت نفسه قد خرجت من مواضع من جسده ثم تشكلت على رأسه بشكله وصورته ثم صعدت الى السماء وصعدت نفسي معها فلما انتهينا الى السماء الدنيا شاهدت بابا ورجل ملك ممدودة عليه فأزال ذلك الملك رجله وقال لنفس ذلك الولي اصعدي فصعدت فأرادت نفسي أن تصعد معها فقال لها

ارجعي قد بقي لك وقت قال فرجعت فشاهدت الناس دائرين على جسمي وقائل يقول مات وآخر يقول لم يمت فدخلت من أنفي أو قال من عيني قلت وهذه الحكاية صحيحة ورجال اسنادها ثقاة معروفون بالفضل فابن راشد معروف هو شارح ابن الحاجب الفرعي والبرجيني معروف عند أهل افريقية وأبو الطاهر الركراكي من أكابر الاولياء معظم عند أهل تونس مزاره وقبره معروف في جبل الزلاج وقد زرته رحمه الله تعالى

﴿فصـــل﴾ قال ابن عطية رحمه الله تعالى جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة وروى أنهم في قبة خضراء وروى أنهم في قناديل من ذهب الى كثير من هذا ولا محالة انها أحوال الطوائف أو للجميع في أوقات متغايرة قلت وهذا هو الصواب وكذا أشار شبيب بن ابراهيم في كتاب الافصاح الى ان المنعمين على جهات مختلفة أى بحسب مقاماتهم وتفاوتهم في أعمالهم فمنها ماهو طائر يعلق من شجر الجنة ففي الموطأ انما نسمة المؤمن طائر يعلق من شجر الجنة ومعنى يعلق يأكل ومنها ماهو في حواصل طير خضر ومنها ما يأوى في قناديل تحت العرش ومنها ماهو في حواصل طير بيض ومنها ماهو في حواصل طيور كالزرازير ومنها ماهو في أشخاص صور من صور الجنة ومنها ماهو في صور تخلق لهم من ثواب أعمالهم ومنها مايسرح ويتردد الى جثتها تزورها ومنها مايتلقى أرواح المقبوضين وممن سوى ذلك ماهو في كفالة ميكائيل عليه السلام ومنها ماهو في كفالة آدم عليه السلام ومنها ماهو في كفالة ابراهيم عليه السلام الى غير ذلك قال القرطبي وهذا قول حسن فانه يجمع الاخبار حتى لاتتدافع قلت وهذا هو المسلك الحسن من التأويل لان المطيعين لما اختلفت أعمالهم اختلفت أحوالهم ومن المطيعين من يحمل بجسده كعامر ابن فهيرة وغيره والحكايات الصحيحة في هذا كثيرة جدا قد ذكرت منها في غير هذا التصنيف جملة والواجب التصديق بجميع ماجاء به الشارع صلى الله عليه وسلم ولا مدخل للعقل في أمور الآخرة وقوله صلى الله عليه وسلم في حواصل طير رواه مسلم ولا وجه لمن أنكرها قال القرطبي الرواية الصحيحة في مسلم بنقل العدل عن العدل فيحتمل أن تكون الفاء بمعنى على كقوله تعالى ولأصلبنكم في جذوع النخل أى على جذوع النخل ﴿قلت﴾ وتأولها شيخنا أبو عبد الله الأبي على ان الحوصلة تكون للروح كالقبة الشفافة والطير مركب له يسخره حيث شاء والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ باب في حمل الجنازة الى القبر وكلامها وفضل اتباعها والصلاة عليها وما جاء في حسن الثناء عليها ﴾

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فان كانت صالحة قالت قدموني قدموني وان كانت غير صالحة قالت ياويلها أين يذهبون بها يسمع صوتها كل شئ الا الانسان ولو سمعها الانسان لصعق وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسرعوا بالجنازة فان تك صالحة فخير تقدمونها عليه وان تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم وفي رواية لمسلم فان كانت صالحة قربتموها الى الخير وان كانت غير ذلك كان شرا تضعونه عن رقابكم وروى البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان قيل وما القيراطان قال مثل الجبلين العظيمين وفي رواية له قيراطان من أجر كل قيراط مثل أحد وفي رواية لما سمع ابن عمر

بحديث أبي هريرة أرسل خبابا الى عائشة يسألها عن قول أبي هريرة ثم يرجع اليه فيخبره بما قالت فسألها فقالت عائشة صدق أبو هريرة فقال ابن عمر لقد فرطنا في قراريط كثيرة وروى مسلم عن عائشة وأنس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه مسلم عن كريب مولى أبي العباس رضي الله عنهما عن عبد الله بن عباس انه مات له ابن بقديد أو بعسفان فقال يا كريب انظر مااجتمع له من الناس قال فخرجت فاذا أناس قداجتمعوا له فأخبرته فقال تقول هم أربعون قال نعم قال أخرجوه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لايشركون بالله شيأ الاشفعهم الله فيه مسلم والبخاري عن أنس رضي الله عنه قال مر بجنازة فأثني عليها خيرا فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم وجبت وجبت وجبت ومر بجنازة فأثني عليها شرا فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم وجبت وجبت وجبت فقال عمر فداك أبي وأمي مر بجنازة فأثني عليها خيرا فقلت وجبت وجبت وجبت ومر بجنازة فأثني عليها شرا فقلت وجبت وجبت وجبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار أنتم شهداء الله في الارض أنتم شهداء الله في الارض أنتم شهداء الله في الارض وفي رواية البخاري عن عمر رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة فقلنا وثلاثة قال وثلاثة فقلنا واثنان قال واثنان ثم لم نسأله عن الواحد قال عبد الحق في العاقبة هذا الحديث مخصوص والله أعلم والذي قبله يعطي العموم وان من كثرت شهوده وانطلقت ألسنة المسلمين فيه بالخير والثناء الصالح كانت له الجنة والله أعلم وغير مستنكر اذا أحب الله عبدا يلقي على ألسنة المسلمين حسن الثناء عليه وفي قلوبهم المحبة له قال الله تبارك وتعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا أحب عبدا دعا جبريل عليه السلام فقال ان الله عز وجل يحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه قال فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وذكر في البغضاء مثل ذلك رواه مالك وغيره قلت ولفظ مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا أحب عبدا دعا جبريل عليه السلام فقال اني أحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء قال ثم يوضع له القبول في الارض واذا أبغض الله عبدا دعا جبريل فيقول اني أبغض فلانا فابغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي جبريل في أهل السماء ان الله يبغض فلانا فابغضوه قال فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء في الارض وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن عبد الا له صيت في السماء فان كان صيته في السماء حسنا وضع له في الارض حسنا وان كان صيته في السماء سيأ وضع له في الارض سيأ قال أبو داود بعضه لم أنقله جيدا أخرجه في كتاب الزهد وروى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال يارسول الله دلني على عمل أدخل به الجنة قال لاتغضب وأتاه آخر فقال متى أعلم اني محسن قال اذا قال جيرانك انك محسن فانك محسن واذا قالوا انك مسيء فانك مسيء وروى أبو بكر بن أبي شيبة انه قال قال صلى الله عليه وسلم في خطبته توشكوا أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار أو قال خياركم من شراركم قالوا بم يارسول الله قال بالثناء الحسن وبالثناء السيئ أنتم شهداء الله بعضكم على بعض وروى البزار عن أنس رضي الله عنه قال قيل يارسول الله من أهل الجنة قال من لايموت

حتى

حتى تملأ مسامعه مما يحبه قيل فمن أهل النار قال من لايموت حتى تملأ مسامعه مما يكره ورواه ابن المبارك أيضا فى رقائقه وروى مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال قيل يارسول الله أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير فيحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن قال أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد وقد قال المفسرون فى قوله تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا أى يحبهم و يحببهم الى الناس وقاله مجاهد وابن عباس ثم أسند أبو عمر عن كعب انه قال والله مااستقر لعبد ثناء فى أهل الدنيا حتى يستقر له فى أهل السماء قال كعب وقرأت فى التوراة انه لم تكن محبة لأحد من أهل الارض الا كان بدؤها من الله سبحانه ينزلها على أهل السماء ثم ينزلها على أهل الارض ثم قرأت القرآن فوجدت فيه ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وأسند أبو عمر عن قتادة قال قال هرم ابن حيان ماأقبل عبد بقلبه الى الله سبحانه الا أقبل الله بقلوب أهل الايمان عليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم وحدث مالك عن زيد بن أسلم أنه كان يقول اتق الله ابن آدم يحبك الناس وان كرهوا قال ابن رشد ومعنى قوله وان كرهوا أنهم مغلوبون على محبته قال القرطبى وعن عبد الله بن السائب قال مرت جنازة على ابن مسعود فقال لرجل قم فانظر أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار فقال الرجل وما يدرينى أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار قال انظر ماثناء الناس عليه فأنتم شهداء الله فى الارض قال ابن رشد فى البيان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أردتم أن تعلموا ماللعبد عند ربه فانظروا ماذا يتبعه من حسن الثناء قلت ومن كلام العارفين ألسنة الخلق أقلام الحق نسأل الله سبحانه أن يمن علينا بستر عوراتنا وتأمين روعاتنا روى أبو نعيم فى حليته بسنده عن زيد بن الحرث الايامى بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أسروا ماشئتم فوالله ماأسر عبد ولا أمة سريرة الا ألبسه الله رداءها خيرا فخيرا وشرا فشرا حتى لو أن أحدكم عمل خيرا من وراء سبعين حجابا لأظهر الله ذلك الخير حتى يكون ثناؤه فى الناس خيرا ولو أن أحدكم أسر شرا من وراء سبعين حجابا لأظهر الله ذلك الشر حتى يكون ثناؤه فى الناس شرا وروى مسلم عن أبى قتادة رضى الله عنه انه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه بجنازة فقال مستريح ومستراح منه قالوا يارسول الله ما المستريح والمستراح منه قال العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب وفى رواية يستريح من أذى الدنيا الى رحمة الله عز وجل

باب فى أحوال القبر وسؤال الملكين وفى دخول عمل المؤمن عليه فى أحسن صورة اذا كان العمل صالحا

قال المحاسبى رحمه الله واذكر القبر بهول مطلعه وعظيم روعه وسؤال الملكين فيه اياك عن ايمانك فتثبت من الله سبحانه بالقول الثابت أو متحير شاك مخذول وتوهم أصواتهما اذ يناديانك فتجلس لسؤالهما اياك فتوهم جلستك فى ضيق لحدك وشخوصك ببصرك الى صورتهما فان رأيتهما فى أحسن صورة حس قلبك بالفوز والنجاة وان كان غير ذلك حزن قلبك وحس بالهلاك والعطب وتوهم تثبيت الله اياك ان ثبتك أو بحسرة ان حيرك واقبالهما عليك ان ثبتك بالسرور وانفراج جوانب قبرك واتساعه عليك ونظرك الى الملكين بفرح وقولهما لك عند ذلك باللين واللطف وانظر الى ماصرفه الله عنك فيزداد قلبك سرورا وفرحا بسلامتك من النار وتوهم ضربهما بأرجلهما جوانب القبر وانفراجه عن الجنة بزينتها ونعيمها وقولهما لك أنظر ياعبد الله ماأعد الله لك فهذا منزلك واليه

مصيرك وتوهم سرور قلبك وفرحتك عند ماعاينت من نعيم الجنان انك سائر اليها وان تكن الاخرى والعياذ بالله فتوهم قولهما لك انظر الى ماأحرمك الله عند معاينتك الجنة وقولهما لك انظر الى ماأعد الله لك من النار فهذا منزلك واليه مصيرك فيزداد عليك غمك وحزنك وروى ابن ماجه عن هانئ بن عثمان قال كان عثمان رضى الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار ولاتبكى وتبكى من هذا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد منه قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مارأيت منظرا قط الا والقبر أفظع منه وأخرجه الترمذى وقد تقدم الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال انما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار رواه الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه نجانا الله سبحانه من عذابه وروى ابن ماجه عن البراء رضى الله عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جنازة فجلس على شفير قبر فبكى وأبكى حتى بل الثرى ثم قال ياأخوانى لمثل هذا فاعدوا ومن كتاب الفائق فى اللفظ الرائق من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تأليف القاضى أبى القاسم التنيسى رحمه الله قال حاكيا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال القبر أول منزل من منازل الآخرة وقال أيضا القبر آخر منازل الدنيا وأول منازل الآخرة فمن نجا منه فما بعده أيسر ومن لم ينج منه فما بعده أشد منه وقال القبر أفظع المنازل وقال القبر روضة من رياض الجنة أوحفرة من حفر النار والواجب على العبد التزود لآخرته والبكاء لما يلقاه فى حفرته وقد روى أبونعيم فى حليته عن المطلب بن زياد قال كان فى وجه عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطان أسودان من البكاء وروى أبو نعيم عن أبى رجاء العطاردى قال كان هذا الموضع مجرى الدموع كأنه الشراك البالى من الدموع فعليك رحمك الله بكثرة ذكر القبر وقد روى الحافظ أبونعيم فى حليته عن ثابت البنانى انه كان يقول طوبى لمن ذكر ساعة الموت قال وماأكثر عبد ذكر الموت الارأى ذلك فى عمله وروى مسلم فى حديث خسوف الشمس من حديث أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أمابعد مامن شئ لم أكن رأيته الاقد رأيته فى مقامى هذا حتى الجنة والنار وانه قد أوحى الى انكم تفتنون فى القبور قريبا أومثل فتنة المسيح الدجال لاأدرى أى ذلك قالت أسماء فيؤتى أحدكم فيقال ماعلمك بهذا الرجل فاما المؤمن أوالموقن لاأدرى أى ذلك قالت أسماء فيقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا ثلاث مرات فيقال له نم قد كنا نعلم انك لمؤمن به نم صالحا وأما المنافق أو المرتاب لاأدرى أى ذلك قالت أسماء فيقول لاأدرى سمعت الناس يقولون شيأ فقلته ورواه أيضا البخارى ومالك وخرج البخارى وغيره عن قتادة عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه انه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ماكنت تقول فى هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فأما المؤمن فيقول أشهد انه عبدالله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار قدأبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا قال قتادة وذكر لنا انه يفسح له فى قبره ثم رجع الى حديث أنس قال وأما المنافق أوالكافر فيقال له ماكنت تقول فى هذا الرجل فيقول لاأدرى كنت أقول مايقول الناس فيقال لادريت ولا تليت ويضرب بمطراق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غيرالثقلين وروى أبو بكر البزار عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأيها الناس ان هذه الامة تبتلى فى قبورها فاذا الانسان دفن وتفرق عنه

أصحابه جاءه ملك فى يده مطراق فأقعده فقال ماتقول فى هذا الرجل يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم فان كان مؤمنا قال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقول صدقت ثم يفتح له باب الى النار فيقول هذا كان منزلك لو كفرت بربك فأما اذ آمنت به فهـذا منزلك فيفتح له باب الى الجنـة فيريدأن ينهض اليـه فيقول له اسكن ويفسح له فى قبره وان كان كافرا أومنافقا يقول له ماتقول فى هذا الرجل فيقول لاأدرى سمعت الناس يقولون شيأ فيقول له الملك لادريت ولاتليت ولااهتديت ثم يفتح له باب الى الجنة فيقول هذا منزلك لوآمنت بربك فأما اذ كفرت فان الله قدأبدلك بهذا ويفتح له باب الى النار ثم يقمعه قمعة بالمطراق يسمعها خلق الله كلهـم الا الثقلين فقال بعض القوم يارسول الله مامن أحد يقوم عليه ملك فى يده مطراق الاهبل عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء وروى مسلم والبخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه عن البراء بن عازب رضى الله عنـه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال نزلت فى عذاب القبر يقال له من ربك فيقول ربى الله ونبيى محمد فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة اللهـم ثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة بفضلك وجودك آمين وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا قبر الميت أوقال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحـدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ماكنت تقول فى هذا الرجل فيقول ما كان يقول هو عبدالله ورسوله أشهد أن لااله الاالله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا فيفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع الى أهلى فاخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذى لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثـه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال سمعت الناس يقولون شـيأ فقلت مثـله لاأدرى فيقولان قد كنا نعلم انك تقول ذلك فيقال للارض التئمى عليـه فتلتئم عليه فتختلف فيها أضـلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله عز وجـل من مضجعه ذلك وروى عبـد بن حميـد عن عائشـة رضى الله عنها قالت جاءت يهودية فاسـتطعمت على بابى فقالت أطعمونى أعاذكم الله من فتنة عذاب القبر ومن فتنة الدجال فلم أزل أحبسها حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ماتقول هـذه اليهودية قال وماتقول قلت تقول أعاذكم الله من فتنة عذاب القبر ومن فتنة الدجال قالت عائشة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع يديه مدا يستعيذ بالله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر ثم قال أما فتنة الدجال فانه لم يكن نبى الا وقد حذره أمته وسأحذركموه تحذيرا لم يحذره نبى أمته انه أعور وان الله ليس بأعور بين عينيه مكتوب كافر يقرؤه كل مؤمن وأما فتنة القبر فبى تفتنون وعنى تسئلون فاذا كان الرجل الصالح أجلس فى قبره غيرفزع ولامشغوب فيقال له فيم كنت فيقول فى الاسلام فيقال ماهذا الرجل الذى كان فيكم فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فآمنا به وصدقناه قال فيقال له هل رأيت الله فيقول ماينبغى لاحد أن يرى الله فيفرج له فرجة قبل النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا فيقال له انظر الى ماوقاك الله ثم يفرج له فرجة الى الجنة فينظر الى زهرتها ومافيها فيقال له هذا مقعدك منها ويقال له على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث انشاء الله واذا كان الرجل السوء أجلس فى قبره فزعا مشغوبا فيقال له فيم كنت فيقول لاأدرى فيقال ماهـذا الرجـل الذى كان فيكم فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت كما قالوا فيفرج له فرجـة قبـل الجنة فينظر الى زهرتها ومافيها فيقال له انظر الى ماصرف الله

عنك ثم يفرج له فرجة الى النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا فيقال له هذا مقعدك منها على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله ثم يعذب قوله ماينبغي لاحد أن يرى الله يعني في الدنيا وأما في الآخرة فيرى سبحانه على ماسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وروى علي بن معبد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال اذا وضع الميت في قبره أتاه آت من ربه فيقول له من ربك فان كان من أهل التثبيت ثبت وقال الله ربي ثم يقال له مادينك فيقول الاسلام فيقال من نبيك فيقول محمد صلى الله عليه وسلم فيرى بشراه ويبشر فيقول دعوني أرجع الى أهلي فأبشرهم فيقال نم قرير العين ان لك اخوانا لم يلحقوا وان كان من غير أهل الحق والتثبيت قيل له من ربك فيقول هاها كالواله ثم يضرب بمطراق يسمع صوته الخلق الا الجن والانس ويقال له نم كنومة المنهوس قال القرطبي المهوس بالسين المهملة هو الملسوع نهسته الحية أي نهشته ومن تصنيف شاكر بن مسلم قال وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا وضع في قبره وذهب عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم فأتاه ملكان فأقعداه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد بن عبد الله فأما المؤمن الموقن فيقول أشهد أنه عبد الله جاء بالبينات والهدى فآمنا وصدقنا واتبعناه فيقال نم صالحا قد علمنا انك لموقن ثم يقال له انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا فيفسح له في قبره سبعين ذراعا ويملأ عليه خضرا الى يوم القيامة وهذه الزيادة في صحيح مسلم من قول قتادة والحديث على ألفاظ ففي بعض الحديث زيادة قال فيجلس الرجل الصالح في قبره غير مرعوب ولا فزع ويفرج له فرجة الى الجنة فينظر الى زهرتها وما فيها فيقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه وفي حديث آخر فيعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله ويقولان من نبيك فيقول نبي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء فيقول صدق عبدي افرشوا له من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيأتيه من طيبها وروحها ويفسح في قبره مد البصر ذكره أبو عمر في التمهيد وصححه وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان عمل المؤمن يدخل عليه في قبره قبل الملكين في صورة رجل حسن الوجه حسن الثياب حسن الكلام فيقول له ياولي الله اثبت على مادمت عليه في دار الدنيا من دين الاسلام وتصديق النبي عليه السلام فانك على الحق والهدى فالآن يدخل عليك الملكان فلا يروعنك مايروعانك به ولاتنظر اليهما فانك لاتطيق ذلك ونكس رأسك وغض بصرك

﴿فصل﴾ قال شاكر بن مسلم وقد قال غير واحد من العلماء ونحوه لابن حبيب اذا مات الانسان حضرته الملائكة فان كان من أهل السعادة صعدت بروحه ملائكة الرحمة الى عليين وان كان من أهل الشقاء هبطت به ملائكة الغضب الى سجين فاذا قبر الميت حضر روحه معه في قبره وقيل على شفير قبره وقيل على صدره فاذا ووري التراب أعيد روحه في جسده فيدخل عليه ملك من ملائكة الرحمة على أحسن حال وأجمل هيئة وأعذب كلام وأطيب ريح وأحسن وجه وألطف خطاب فيقول له السلام عليك أيها العبد الصالح المؤمن الولي الموقن فانك كنت بالله مؤمنا وبوحدانيته موقنا وانك مت على ملة الاسلام وشريعة محمد عليه السلام فاثبت على ما كنت عليه والزم مامت عليه فانك على الحق والهدى والآن يدخل عليك فتانا القبور وهما منكر ونكير ملكان صفتهما كذا وكذا وأمرهما كذا وكذا يصف له من حالهما وشأنهما أسودان أزرقان كريها المنظر كريها المخبر لأعينهما لمعان كالبرق الخاطف ولأصواتهما ارجاف يدوي كالرعد القاصف ولأنفسهما هزيز كالريح العاصف بيد كل واحد منهما مقمعة من حديد وسيسألانك ويختبرانك فلا

ترتع لقولهما ولا تجزع لحالهما ولا يروعنك ماتراه من شنيع خلقهما ولا ماتسمعه من فظيع قولهما ولا ما به يروعانك مما به يكلمانك ولا تنظر اليهما فانك لاتطيق ذلك ولاتستطيعه ونكس رأسك وغض بصرك واسمع كلامهما وافهم خطابهما ورد عليهما جوابهما فاذا قالا لك كذا وكذا فقل لهما كذا وكذا فانهما سيقنعان بذلك ويرجعان راضيان بذلك عنك والله يثبتك و يسددك وهو لك ومعك ثم يخرج عنه الملك فيدخل عليه الملكان منكر ونكير وقيل انما يدخل عليه بدل هذا الملك عمله الصالح فى صفة ملك فيكلمه و يؤنسه و يسكنه و يبشره و يقول له من حسن القول نحو ماتقدم فى أحسن هيئة وأجمل كمال وأطيب ريح ثم يخرج عنه فيدخل عليه منكر ونكير فاذا خرجا عنه عاد اليه عمله الصالح فكان معه فى قبره يؤنسه قلت قال صاحب شعب الايمان ورد فى الحديث ان من أدخل على مؤمن سرورا خلق الله من ذلك السرور ملكا يدخل عليه فى قبره يؤنسه الى يوم القيامة قال الشيخ عبد الجليل فانظر لما كان السرور يطيب قلب المؤمن ويزيل همه و يؤنسه كان الجزاء على ذلك فى محل الوحشة موافقا لعمل العبد فدخل عليه ملك فى أحسن صورة لان السرور أحسن شئ واستدل بهذا كله على سائر الاعمال حسنها وقبيحها وذكر الجوزى فى كتاب سلوة الاحزان عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أدخل على مؤمن سرورا فقد سرنى ومن سرنى فقد اتخذ عند الله عهدا ومن اتخذ عند الله عهدا فلن تمسه النار أبدا وادخال السرور على المؤمن من أعظم الخيرات وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من أقر عين مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ان من أحب الاعمال الى الله سبحانه ادخال السرور على المؤمن وأن تفرج عنه غما أو تقضى عنه دينا أو تطعمه من جوع وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان ليس فوقهما شئ من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شئ من البر الايمان بالله والنفع لعباد الله وقال الامام الفخر كان بعض المشايخ يقول مجامع الخيرات محصورة فى أمرين صدق مع الحق وخلق مع الخلق وقال شاكر بن مسلم اذا دفن الميت أحياه الله سبحانه فى قبره كيف شاء بقدرته وأعاد اليه حياته كيف شاء بحكمته وقيل يعاد روحه فى جسده ثم يدخل عليه الملكان فيجلسانه ويكلمانه فأما المؤمن التقى الموقن فيراهما فى دخولهما عليه فيرعب منهما ويخاف سطوتهما ثم ينزل عليه من ربه التسديد والتوفيق والتثبيت فيرجع الى يقينه ويثبت فيسألانه و يقولان له من ربك فيقول ربى الله لااله الا هو وحده لاشريك له و يقولان له من نبيك فيقول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا بالبينات والهدى ودين الحق ودعانا الى الاسلام فاجبنا وآمنا وصدقنا فيقولان له ومادينك فيقول دينى الاسلام وملة محمد عليه السلام فيقولان له وماقبلتك فيقول الكعبة بيت الله الحرام فيقولان له وما كتابك فيقول القرآن كلام الله المنزل على رسوله هو امامى فى الدين فيقولان له وما علمك بهذا الرجل الذى بعث فيكم وما كنت تقول فيه فيقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فآمنا وصدقنا فيقولان له وماعلمك بذلك فيقول قرأت كتاب الله أو قرئ على وقرأت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفت بذلك أمر الله وثبتت عندى رسالة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فآمنت بالله ورسوله وصدقت واتبعت وسمعت وأطعت فينادى المنادى من قبل الله سبحانه صدق عبدى فى مقالته و يقول له الملكان صدقت قد كنت كذلك فنم صالحا قد علمنا انك لموقن فينادى المنادى من قبل الله عز وجل أمنوا عبدى وسكنوه فاتركوه كريما واخرجوا عنه مغفورا له مرحوما وافرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفعل به ذلك و يفتح له باب الى النار فيقال له انظر الى مانجاك الله منه برحمته وأنقذك منه بعصمته وهذا مقعدك

من النار وقد أبدلك الله منه مقعدا من الجنة ويفتح له باب الى الجنة بقدر مد البصر ويقال له انظر الى ما أعد الله لك من الخير الجسيم والنعيم المقيم وهذا مقعدك من الجنة حتى يبعثك الله اليه فيأتيه من طيبها وريحها وبردها وينظر الى منزله ومقعده من الجنة ويوسع قبره مد البصر وتأتيه ملائكة الرحمة فتبشره وتؤنسه ويأتيه عمله الصالح فى صورة رجل حسن الوجه والهيئة طيب الريح حسن الشباب فيسلم عليه ويقول له ابشر بخير يوم أتى عليك منذ ولدتك أمك ابشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد فى الدنيا وأنا جليسك وأنيسك الى يوم البعث فيقول له الميت مرحبا بك ومن أنت وما أحسنك وما أجملك وما أكرمك وما أفضلك فمثلك من بشر بالخير وجهك وجه من يجيء بالخير ويبشر به فيقول له أما تعرفنى أنا عملك الصالح الذى كنت تعمل به فى دار الدنيا فيفرح المؤمن ويبتهج ويسر بما جاءه من البشرى ثم يقول يارسول ربى ويارحمة ربى أقيما عندى وامكثا معى حتى أرجع الى أهلى ومالى فيقول له الملك أما أهلك فى الدنيا فليسوا لك الآن بأهل وقد أبدلك الله خيرا منهم حتى يلحقوا بك عند الله ان شاء الله من بعدك وأما مالك فليس لك بمال وقد تركته لغيرك يرثه عنك من بعدك حتى تلقى ربك فلك عنده فى الجنة مالم تر مثله فى الدنيا ويقول أى رب أقم الساعة وعجل بعثى الى الجنة الحديث قال شاكر بن مسلم ويروى مثل هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم فذلك قوله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وان عمله الصالح يكون معه مع ملائكة الرحمة ويبشره بعاقبة أمره ومصيره عند موته وفى قبره وعند بعثه وهو قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة الآية لان الله عز وجل يرسل اليه عمله وملائكته بالرحمة فيثبته بذلك عند السياق وعند المسئلة فى القبر وعند البعث والحشر يلهمه الحجة والجواب ﴿قلت﴾ وروى القاضى أبو نصر الشهير بابن ودعان عن قيس بن عاصم رضى الله عنه قال قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد من بنى تميم فقال لى اغتسل بماء وسدر ففعلت ثم عدت اليه فقلت يارسول الله عظنا موعظة ننتفع بها فقال ياقيس ان مع العز ذلا وان مع الحياة موتا وان مع الدنيا آخرة وان لكل شئ حسيبا وعلى كل شئ رقيبا وان لكل حسنة ثوابا ولكل سيئة عقابا وان لكل أجل كتابا انه لابد لك ياقيس من قرين يدفن معك وهو حى وتدفن معه وأنت ميت فان كان كريما أكرمك وان كان لئيما أسلمك ثم لايحشر الا معك ولاتبعث الا معه ولاتسئل الا عنه فلاتجعله الا صالحا فانه ان كان صالحا لم تأنس الا به وان كان فاحشا لم تستوحش الا منه وهو فعلك قال شاكر بن مسلم واستحب بعض العلماء أن يلقن الميت عند موته الشهادتين ويلقن حجته عند مفارقة نفسه جسده وعند انزاله فى قبره وعندما يسوى عليه فيلهم الى ذلك كله ويقال له لاتنس ما كنت عليه فى دار الدنيا وما فارقتنا عليه واذكر ما كنت عليه ويدعى له هنالك بنحو ذلك وقاله ابن حبيب أيضا وقال ابن حبيب وغير واحد من العلماء اذا تفرق الناس من دفن المؤمن فى قبره ذهبت ملائكة الرحمة بروحه الى عليين جنة عالية وعيشة راضية فيها مجتمع أرواح السعداء كل يوم من أيام الدنيا ثم ذكر فى الميت الشقى نحو ما تقدم فى حديث البراء وغيره من أنواع العذاب عافانا الله من عذابه بفضله انتهى كلام شاكر بن مسلم

﴿فصل﴾ فى معنى ما تقدم قال القرطبى وروى نقلة الاخبار عن ابن عباس رضى الله عنهما فى خبر الاسراء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ياجبريل وماذاك قال منكر ونكير الحديث وفيه أنهما يأتيان الانسان اذا وضع فى قبره وترك وحيدا فيسألانه وفيه أنهما يقولان له انك فى البرزخ فاعقل حالك واعرف مكانك وانهما يقولان من ربك وما دينك فان كان مؤمنا بالله لقنه الله حجته فيقول الله ربى ونبيى محمد ودينى الاسلام وفيه أنهما يعيدان عليه السؤال والتهديد ويعيد هو الجواب ثلاث مرات

وان الله سبحانه يلقنه الامان ويدرأ عنه الفزع فلا يخافهما فاذا فعل ذلك سبحانه بعبده المؤمن استأنس اليهما وأقبل عليهما بالخصومة يخاصمهما ويقول تهددانى كيما أشك فى ربى وتريدان أن أتخذ غيره ولما أشهد أن لا اله الا الله وهو ربى وربكما ورب كل شئ ونبيى محمد ودينى الاسلام ثم ينتهرانه ويسألانه عن ذلك فيقول ربى الله فاطر السموات والارض اياه كنت أعبد ولم أشرك به شيأ ولم أتخذ غيره أحدا أفتريدان أن ترداني عن معرفة ربى عز وجل وعبادتى اياه نعم هو الله الذى لا اله الا هو قال فاذا قال ذلك ثلاث مرات مجاوبة لهما تواضعا له حتى يستأنس اليهما آنس ما كان فى الدنيا الى أهل وده ويضحكان اليه ويقولان له صدقت وبررت أقر الله عينك وثبتك ابشر بالجنة وكرامة الله ثم نحا عنه عذاب القبر هكذا وهكذا فيتسع عليه مد البصر ويفتحان له بابا الى الجنة فيدخل عليه من روح الجنة وطيب ريحها ونضرتها ما تعرف به كرامة الله فاذا رأى ذلك استيقن بالفوز فحمد الله ثم يفرشان له فراشا من استبرق الجنة ويضعان له مصباحا من نور عند رأسه ومصباحا من نور عند رجليه يزهران فى قبره ثم تدخل عليه ريح أخرى فحين يشمها يغشاه النعاس فينام فيقولان له ارقد رقدة العروس قرير العين لاخوف عليك ولا حزن ثم يمثلان له عمله الصالح فى أحسن ما يرى صورة وأطيب ريح فيكون عند رأسه ويقولان هذا عملك وكلامك الطيب قد مثله الله لك فى أحسن ماترى من صورة وأطيب ريح ليؤنسك فى قبرك فلا تكون وحيدا ويدرأ عنك هوام الارض وكل دابة وكل أذى فلا يخذلك فى قبرك ولا فى شئ من مواطن القيامة حتى تدخل الجنة برحمة الله تعالى فنم سعيدا طوبى لك وحسن مآب ثم يسلمان عليه ويطيران عنه وذكر بقية الحديث وما يلقى الكافر من الهوان الشديد والعذاب الاليم وحسبك ماتقدم عافانا الله من عذابه وعاملنا بفضله معاملة أوليائه اللهم ثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة والطف بنا فى الدارين برحمتك ياأرحم الراحمين ياأرحم الراحمين ياأرحم الراحمين اللهم آمين اللهم آمين اللهم آمين قال صاحب التذكرة وهذا الحديث وان كان فى اسناده مقال فهو حديث مرتب على أحوال مبينة ومحتو على أمور مفسرة قال الشيخ بن أبى جمرة رضى الله عنه حكى عن بعض الصالحين انه كان خطيبا بأحد الامصار بجامعها الاعظم فلما انتقل رآه صاحب له فى النوم فسأله مافعل بك الملكان فى القبر فقال سألانى فارتج على فلم أدر ما أجاوبهما فبقيت متحيرا ساعة فاذا أنا بشاب حسن الصورة خرج من جانب القبر فلقننى الحجة فلما جاوبتهما وذهبا عنى أراد أن ينصرف فتعلقت به فقلت من أنت يرحمك الله الذى أغاثنى الله بك فقال أنا عملك فقلت وما أبطأك عنى حتى بقيت متحيرا فقال لى كنت تأخذ أجر الخطابة من السلطنة فقلت والله ما كانت منهاشيأ وانما كنت أتصدق بها فقال لو كانتها ما أتيتك ولاخذك اياها أبطأت عنك اللهم عاملنا برحمتك وروى عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر كيف بك ياعمر اذا جاءك منكر ونكير اذا مت وانطلق بك قومك فقاسوا ثلاثة اذرع وشبرا فى ذراع وشبر ثم غسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك فوضعوك فيه ثم أهالوا عليك التراب فاذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران شعورهما معهما مرزبة من حديد لو اجتمع عليها أهل الارض لم يقلوها فقال عمر يارسول الله ان فرقنا فحق لنا أن نفرق أنبعث على ما نحن عليه قال نعم قال اذا أكفيكهما وفى رواية عن عمر رضى الله عنه أنه قال يارسول الله أيرجع الى عقلى قال نعم قال اذا أكفيكهما والله لئن سألانى لاسألنهما فأقول لهما أنا ربى الله فمن ربكما أنتما ﴿قلت﴾ قال السمرقندى وروى أبو حازم عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعمر كيف بك لو جاءك

فتانا القبر منكر ونكير ملكان أسودان أزرقان يحثان الارض بأنيابهما ويطآن فى شعورهما أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف قال عمر يارسول الله أمعى عقلى على ماأناعليه اليوم قال نعم قال اذا أكفيكهما باذن الله عز وجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان عمر مؤمن موفق فلمامات عمر رؤى فى المنام فقيل له ماذا قلت لمنكر ونكير قال أخذت بلابتيهما وقلت لهما اعرضا على اسلامكما فقرا وفى رواية أخذت بعضديهما وقلت لما رأيتهما من ربكما ومن نبيكما قال القرطبى وخرج الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر يوما فتانى القبر فقال عمر رضى الله عنه أترد الينا عقولنا يارسول الله فقال نعم كهيئتكم اليوم فقال عمر فى فيه الحجر ولماذكر الغزالى فى الاحياء حديث عمر وقوله أيكون عقلى معى مثل الآن يارسول الله قال نعم قال اذاأكفيكهما لاأبالى بهما الحديث قال وهذا نص صريح فى ان العقل لايتغير بالموت وانما يتغير البدن والاعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا عالما للآلام واللذات كما كان لايتغير من عقله شئ وليس العقل المدرك للاشياء هذه الاعضاء بل هو شئ باطن هو المدرك للاشياء ولوتناثرت أعضاء الانسان كلها ولم يبق الا الجزء المدرك للاشياء لكان الانسان العاقل بكماله باقيا قائما لان هذا الجزء لايحله الموت ولايطرأ عليه العدم وقال سهل بن عمار رأيت يزيد بن هرون فى المنام بعد موته فقلت مافعل الله بك فقال انه أتانى فى قبرى ملكان فظان غليظان فقالا مادينك ومن نبيك فأخذت بلحيتى البيضاء وقلت ألمثلى يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا وقالا أكتبت عن جرير بن عثمان قلت نعم فقالا انه كان يبغض عثمان فابغضه ﴿قلت﴾ قال الجوزى فى الصفوة وعن عاصم بن على قال كان يزيد بن هرون اذا صلى العتمة لايزال قائما حتى يصلى الغداة بذلك الوضوء نيفا وأربعين سنة وعن نافع ابن بنت يزيد بن هرون قال كنت عند أحمد بن حنبل وعنده رجلان فقال أحدهما ياأباعبد الله رأيت يزيد بن هرون فى المنام فقلت له أبا خالد مافعل الله بك فقال غفرلى وشفعنى وعاتبنى قلت غفرلك وشفعك قد عرفت ففيم عاتبك قال قال لى يايزيد أتحدث عن جرير بن عثمان قال قلت يارب ماعلمت الاخيرا قال يايزيد انه كان يبغض أبا الحسن على بن أبى طالب قال وقال الآخر وأنا رأيت يزيد بن هرون فى المنام فقلت هل أتاك منكر ونكير قال أى والله وسألانى من ربك ومادينك ومن نبيك قال فقلت ألمثلى يقال هذا وأنا كنت أعلم الناس هذا فى الدنيا فقالا لى نم نومة العروس لابأس عليك قال الجوزى وعن حوثرة بن محمد قال رأيت يزيد بن هرون فى المنام بعد موته بأربع ليال فقلت مافعل الله بك فقال تقبل منى الحسنات وتجاوز عنى السيئات ووهب لى التباعات قلت وما كان بعد ذلك قال وهل يكون من الكريم الاالكرم غفرلى ذنوبى وأدخلنى الجنة قلت بم قال بمجالس الذكر وقولى الحق وصدقى فى الحديث وطول قيامى فى الصلاة وصبرى على الفقر قلت منكر ونكير حق قال أى والله الذى لااله الاهو لقد أقعدانى وسألانى من ربك ومادينك ومن نبيك فجعلت أنفض لحيتى البيضاء من التراب فقلت مثلى يسئل أنا يزيد بن هرون الواسطى وكنت فى دار الدنيا ستين سنة أعلم الناس فقال أحدهما صدق هو يزيد بن هرون نم نومة العروس فلاروعة عليك بعد اليوم فقال أحدهما كتبت عن جرير بن عثمان قلت نعم وكان ثقة فى الحديث قال ثقة ولكنه كان يبغض عليا أبغضه الله ﴿قلت﴾ فما حكاه القرطبى انه يبغض عثمان يحتمل ان يكون تصحيفا من النساخ والله سبحانه أعلم

﴿فصل﴾ منه وذكر الغزالى رحمه الله تعالى فى الدرة الفاخرة فى كشف علوم الآخرة من

حديث يذكره عن ابن مسعود رضي الله عنه وفي بعض النسخ عن ابن عباس انه قال يارسول الله ماأول مايلقى الميت اذا أدخل قبره فقال ياابن مسعود لقد سألتني عن شئ ماسألني عنه أحد الا أنت فأول مايناديه ملك اسمه رومان يجوس خلال المقابر فيقول له ياعبدالله اكتب عملك فيقول ليس معي قرطاس ولادواة فيقول هيهات كفنك قرطاسك ومدادك ريقك وقلمك أصبعك فيقطع له قطعة من كفنه ثم يجعل العبد يكتب وان كان غير كاتب في الدنيا و يتذكر حينئذ حسناته وسيآته كيوم واحد ثم يطوى الملك تلك القطعة و يعلقها في عنقه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه أي عمله فاذا فرغ من ذلك دخل عليه فتانا القبر وهما ملكان أسودان أزرقان يخرقان الارض بأنيابهما لهما شعور مسدولة يجرانها على الارض كلامهما كالرعد القاصف وأعينهما كالبرق الخاطف ونفسهما كالريح العاصف بيد كل واحد منهما مقمع من حديد لواجتمع عليه الثقلان مارفعاه ولوضرب به أعظم جبل لجعله دكا فاذا أبصرتهما النفس رعبت وولت هاربة فتدخل في منخر الميت فيحيا الميت من الصدر و يكون كهيئته عند الغرغرة ولايقدر على حراك غير انه يسمع و يبصر فيبتدئانه بعنف و ينتهرانه بجفاء وقد صار التراب له كالماء حيثما تحرك انفسح فيه ووجد فرجة فيقولان له من ربك ومادينك وماقبلتك فمن وفقه الله تعالى وثبته بالقول الثابت قال من وكلكما علي ومن أرسلكما الي وهذا لايقوله الاالعظماء الاخيار وفي نسخة الاالعلماء الاخيار فيقول أحدهما للآخر صدق واقدكفي شرنا ثم يضربان عليه القبر كالقبة العظيمة و يفتحان له بابا الى الجنة من تلقاء يمينه ثم يفرشان له من حريرها و رياحينها و يدخل عليه من نسيمها وروحها وريحانها ويأتيه عمله في صورة أحب الاشخاص اليه فيحدثه ويؤنسه و يملا قبره نورا ولايزال في فرح وسرور مابقيت الدنيا حتى تقوم الساعة فليس شئ أحب اليه من قيامها ودونه في المنزلة المؤمن العامل الخير ليس معه حظ من العلم ولامن أسرار الملكوت يلج عليه عمله عقيب رومان في أحسن صورة طيب الريح حسن الشباب فيقول له أما تعرفني فيقول من أنت الذي من الله علي بك في غربتي فيقول أنا عملك الصالح لاتحزن ولاتوجل فعما قليل يلج عليك منكر ونكير يسألانك فلاتدهش ثم يلقنه حجته فبينما هو كذلك اذدخلا عليه فينتهرانه ويقعدانه مستندا و يقولان له من ربك نسق الاول فيقول الله ربي ومحمد نبيي والقرآن امامي والكعبة قبلتي وابراهيم أبي وملته ملتي غير مستعجم فيقولان له صدقت و يفعلان به كالاول الا انهما يفتحان له بابا الى النار فينظر الى حياتها وعقاربها وسلاسلها وأغلالها وحميمها و يحمومها وجميع غمومها فيفزع فيقولان له لاعليك سوء هذا موضعك قدأبدله الله تعالى لك بموضعك هذا في الجنة ويقولان له نم سعيدا ثم يغلقان عنه باب النار فلايدري مامر عليه من الشهور والاعوام والدهور ثم ذكر بقية الحديث فيمن أريد به الشقاء وقدمضى من ذلك مافيه موعظة لمن اهتم بخلاص نفسه اللهم بفضلك اجعلنا من السعداء ولاتجعلنا من الفجرة الاشقياء قال الثعلبي عند قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وهي شهادة أن لااله الا الله وفي الآخرة يعني القبر يلقنهم كلمة الحق عند سؤال الملكين وقيل في الحياة الدنيا في القبر عند السؤال وفي الآخرة اذا بعث قال مقاتل وذلك ان المؤمن اذامات بعث الله اليه ملكا يقال له رومان فيدخل قبره فيقول له انه يأتيك الآن ملكان أسودان فيسألانك من ربك ومن نبيك ومادينك فاجبهما بما كنت عليه في حياتك ثم يخرج و يدخل الملكان وهما منكر ونكير أسودان أزرقان فظان غليظان أعينهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف معهما مرزبة من حديد فيقعدانه ويسألانه ولا يشعران بدخول رومان فيقول ربي الله ونبيي محمد وديني الاسلام فيقولان له عشت سعيدا ومت شهيدا ثم يقولان اللهم ارضه

كما أرضاك ويفتح له في قبره باب من الجنة تأتيه منه التحف فاذا انصرفا عنه قالا نم نومة العروس فهذا هو التثبيت ويضل الله الظالمين يعني لا يلقنهم ثم ذكر ما يفعل بالظالم من النكال وما يلقاه من عظيم الاهوال وقال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية ان المؤمن اذا حضره الموت شهدته الملائكة فسلموا عليه وبشروه بالجنة فاذا مات مشوا مع جنازته ثم صلوا عليه مع الناس فاذا دفن أجلس في قبره فيقال له من ربك فيقول ربي الله ويقال له من رسولك فيقول محمد فيقال له ماشهادتك فيقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فيوسع له في قبره مد بصره وقال أبو هريرة رضي الله عنه ان الميت ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه مدبرين فاذا كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصيام عن يساره وفعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان الى الناس عند رجليه فيؤتى من عند رأسه فتقول الصلاة ماقبلي مدخل فيؤتى من عند رجليه فيقول فعل الخيرات ماقبلي مدخل فيقال له اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس قد دنت للغروب فيقال له اخبرنا عما نسألك عنه فيقول وعم تسألوني فيقال أرأيت هذا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه وماذا تشهد عليه فيقول أمحمد فيقال له نعم فيقول أشهد أنه رسول الله وانه جاء بالبينات من عند الله فصدقناه فيقال له على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث ان شاء الله ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا وينور له فيه ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال له انظر الى ما أعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسرورا ثم يفتح له باب الى النار فيقال له انظر الى ما صرف الله عنك فيزداد غبطة وسرورا ثم تجعل نسمته في النسيم الطيب وهي طير تعلق بشجر الجنة

﴿فصل﴾ قال صاحب التذكرة جاء في حديث البخاري ومسلم سؤال الملكين وكذلك في الترمذي ونص على اسميهما وجاء في حديث أبي داود سؤال ملك واحد وفي حديثه الآخر سؤال ملكين ولا تعارض في ذلك والحمد لله بل كل ذلك صحيح المعنى بالنسبة الى الاشخاص فرب شخص يأتيانه جميعا ويسألانه جميعا في حال واحدة عند انصراف الناس ليكون السؤال عليه أهول والفتنة في حقه أشد وأعظم وذلك بحسب مااقترف من الآثام واجترح من سيء الاعمال وآخر يأتيانه قبل انصراف الناس عنه وآخر يأتيه أحدهما على الانفراد فيكون ذلك أخف في السؤال وأقل في المراجعة والعتاب لما عمله من صالح الاعمال وقد يكون من الناس من يوقى فتنتهما ولا يأتيه واحد منهما على ما يأتي بيانه ان شاء الله تعالى واختلفت الاحاديث أيضا في كمية السؤال والجواب وذلك بحسب اختلاف أحوال الناس فمنهم من يقتصر على سؤاله عن بعض اعتقاداته ومنهم من يسئل عن كلها فلا تناقض أي وكذلك ماجاء في الاحاديث في سعة القبور ففي بعضها سبعون ذراعا في سبعين وفي بعضها مد بصره وفي بعضها أربعون ذراعا هو بحسب اختلاف أحوال الناس قال القرطبي سمعت بعض علمائنا يقول ان حفارا كان بقرافة مصر يحفر القبور فحفر ثلاثة أقبر فلما فرغ غشيه النعاس فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على أحد الأقبر فقال أحدهما لصاحبه اكتب فرسخا في فرسخ ووقفا على الثاني فقال أحدهما اكتب ميلا في ميل ثم وقفا على الثالث فقال اكتب فترا في فتر ثم انتبه فجيء برجل غريب لا يؤبه به فدفن في القبر الاول ثم جيء برجل آخر فدفن في القبر الثاني ثم جيء بامرأة مترفة من وجوه البلد حولها ناس كثير فدفنت في القبر الضيق الذي سعته فتر في فتر والفتر ما بين الابهام والسبابة نعوذ بالله من ضيق القبر وعذابه

﴿فصل﴾ قال عبد الحق والقرطبي ذكر أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتلدغه

حتى تقوم الساعة ولو ان تنينا منها نفخ فى الارض ما أنبتت خضراء وقد روى أبوهريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الكافر نحوه فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا أتدرون ما التنين تسع وتسعون حية لكل حية سبعة أروس ينفخن فى جسده ويلسعنه ويخدشنه الى يوم القيامة ويحشر فى قبره الى موقفه أعمى وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما موقوفا ثم يؤمر به يعنى الكافر فيضيق عليه قبره ويرسل عليه حيات كامثال عناق البخت فتأكل لحمه حتى لا تذر على عظمه لحما ويرسل عليه ملائكة صم عمى يضربونه بفطاطيس الحديث قال القرطبى رحمه الله واختلاف الاحاديث فى تنويع عذاب الكافر بحسب اختلاف أحوال الكفار أى فى طغيانهم ومعاصيهم المنضافة الى كفرهم قال فان قيل كيف تنقلب الاعمال أشخاصا وهى فى نفسها اعراض فالجواب ان الله سبحانه يخلق من ثواب الاعمال أشخاصا حسنة وقبيحة لا ان العرض نفسه ينقلب جوهرا وهذا هو الجواب عن كل ما ورد فى هذا الباب والله سبحانه أعلم وسيأتى ان شاء الله تعالى لهذا مزيد بيان ومن كتاب الاحياء قال الغزالى قال أبوهريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن فى قبره فى روضة خضراء ويرحب له فى قبره سبعين ذراعا ويضىء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيماذا أنزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر فى قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسع وتسعون حية لكل حية سبعة رؤس يخدشنه وينهشنه وينفخن فى جسمه الى يوم يبعثون قال أبو حامد ولا ينبغى أن تتعجب من هذا العدد فان أعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات المذمومة ثم قال وهذه الصفات هى المهلكات وهى بأعيانها تنقلب حيات وعقارب والقوى منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقارب وما بينهما يؤذى ايذاء الحيات وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها فامثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية فيجب التصديق بهذه الظواهر والتسليم فان قلت فنحن نشاهد الكافر فى قبره ونراه ولا نشاهد شيأ من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك مقامات فى التصديق بامثال هذا أحدها وهو الاظهر والاصح والاسلم بان تصدق بانها موجودة وهى تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت أما ترى الصحابة رضى الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل عليه السلام وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشاهده فان كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح أصل ايمانك بالملائكة عليهم السلام والوحى أهم عليك وان آمنت به وجوزت أن يشاهد النبى عليه الصلاة والسلام ما لا تشاهده الامة فكيف لا تجوز هذا فى الميت وكما أن الملائكة لا تشبه الآدميين فكذلك الحيات والعقارب التى تلدغ فى القبر ليست من حيات عالمنا بل هى جنس آخر وتدرك بحاسة أخرى ومثال ثان أن تتذكر أمر النائم وانه قد يرى فى نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه فى النوم يصيح ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وأنت تشاهده وترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواليه حية والحية موجودة فى حقه والعذاب حاصل له ولكنه فى حقك غير مشاهد واذا كان العذاب فى ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد قلت والمثال الاول هو المعول عليه وهو جواب أبى بكر الباقلانى رحمه الله تعالى وقد شوهدت حيات عيانا ودفنت مع الميت فى بعض الحكايات وسنذكر ان شاء الله من ذلك ما تيسر قال الغزالى رحمه الله تعالى فى الاحياء وقد علم على القطع أن العبد بعد الموت لا يخلو من عذاب

عظيم أو نعيم مقيم فينبغى ان يكون شغله الاستعداد لذلك فاما البحث عن كيفية ذلك ففضول وتضييع زمان بلا فائدة فان أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن أخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع أنفه فأخذ طول الليل يتفكر فى انه هل يقطعه بسيف أو بموسى أو بسكين وأهمل طريق الحيلة فى دفع أصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل وروى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسبوا الاموات فانهم قد أفضوا الى ماقدموا قال ابن أبى جمرة رضى الله عنه فى هذا الحديث دليل على ان من حين خروج الميت من هذه الدار يلقى عمله والمجازاة عليه خيرا كان أو ضده يؤخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم قد أفضوا الى ماقدموا كما نبهنا عليه فى الحديث قبل يعنى فى قوله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه أهله وماله ويبقى عمله قال وقد قال صلى الله عليه وسلم فى العمل ان كان صالحا لم يأنس الابه وان كان سيأ لم يستوحش الامنه وقد جاء ان العمل اذا كان صالحا دخل على المرء فى قبره فى صورة شخص حسن الصورة طيب الرائحة نوريا فيأنس به من وحشة القبر فيقول له من أنت الذى من الله على بك فيقول له أماتعرفنى فيقول له لاأعرفك فيقول له أنا عملك الصالح فى دار الدنيا لاأفارقك وان كان العمل سيأ دخل عليه فى صورة وحشة منتنة ذو ظلمة فيستوحش منه زيادة على ماعنده من وحشة وضيقة فيقول من أنت الذى روعتنى فيقول له أما تعرفنى فيقول له لاأعرفك فيقول له أنا عملك السيئ فى دار الدنيا لا أفارقك عافانا الله من سيئ الاعمال بمنه قال صاحب التذكرة وبالجملة فاحوال المقابر على خلاف عادات أهل الدنيا فى حياتهم فليس تنقاس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا وهذا مالاخلاف فيه ولولاخبر الصادق بذلك لم نعرف ماهنالك والذين جاؤا بهذه الاخبار هم الذين جاؤا بالصلوات الخمس وغيرها من الاحكام فكما وجب تصديقهم فيما نقلوه من الاحكام وجب تصديقهم فيما نقلوه من أمور الآخرة ولما تكلم ابن أبى جمرة رضى الله عنه على حديث الرؤيا المشتمل على أحوال الآخرة قال فيه من الفقه الايمان بالبعث بعد الموت وبكل ماورد من الاخبار فى ذلك اليوم العظيم والتصديق بذلك انه حق كما أخبر صلى الله عليه وسلم ولا يتعرض الى الكيفية فى كل ما جاء من أمر الساعة فانه أمر لاتسعه العقول وطلب الكيفية فيه ضعف فى الايمان فانما يجب الجزم بالتصديق كما أخبر صلى الله عليه وسلم

﴿باب ماجاء فى كلام القبر وضغطته وماينجى من ضغطته وفتنته﴾

روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم مصلاه فرأى اناسا يكتشرون فقال أمانكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى يعنى الموت فاكثروا ذكر هاذم اللذات الموت فانه لم يأت على القبر يوم الاتكلم فيه فيقول أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود فاذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا أما ان كنت لأحب من يمشى على ظهرى فاذ وليتك اليوم وصرت الى فسترى صنيعى بك فيتسع له مد بصره ويفتح له باب الى الجنة واذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لامرحبا ولاأهلا أما ان كنت لابغض من يمشى على ظهرى الى فاذ وليتك اليوم وصرت الى فسترى صنيعى بك قال فيلتئم عليه حتى يلتقى عليه وتختلف أضلاعه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصابعه فادخل بعضها فى جوف بعض قال ويقيض له تسعون تنينا أو قال تسعة وتسعون لو أن واحدا منها نفخ فى الارض ماأنبتت شيأ مابقيت

الدنيا

الدنيا فينهشنه حتى يفضى به الى الحساب قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما القبر روضة من رياض الجنة أوحفرة من حفر النار قال أبوعيسى هذا حديث حسن غريب وخرج هنادبن السرى قال حدثنا حسن الجعفى عن مالك بن مغول عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال يجعل الله للقبر لسانا ينطق به يقول ابن آدم كيف نسيتنى أما علمت انى بيت الا كلة وبيت الدود وبيت الوحدة قال وحدثنا وكيع عن مالك بن مغول عن عبدالله بن عبيد بن عمير قال ان القبر ليبكى يقول فى بكائه أنا بيت الوحشة أنا بيت الوحدة أنا بيت الدود وروى أبوعمر بن عبدالبر فى التمهيد بسنده عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن عبدالله بن عمرو بن العاص نحوه وفيه فان كان مؤمنا يوسع له قبره ويجعل منزله أخضر ويعرج بروحه الى السماء قال عبد الحق وروى أبوالحجاج الثمالى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت اذا وضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بى ألم تعلم انى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بى اذ كنت تمر بى فدادا قال فان كان مصلحا أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت ان كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قال فيقول القبر فانى اذا أعود عليه خضرا ويعود جسده نورا ويصعد روحه الى رب العالمين ذكر هذا الحديث أبو أحمد الحاكم فى كتاب الكنى وذكره أيضا قاسم ابن أصبغ قال قيل لابى الحجاج ما الفداد قال الذى يقدم رجلا ويؤخر رجلا يعنى الذى يمشى مشية المتبختر وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته تقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الوحشة وبيت الظلمة وبيت الغربة هذا ما أعددت لك يا ابن آدم فماذا أعددت لى وقال بعض العلماء أربعة أبحر لاربع الموت بحر الحياة والنفس بحر الشهوات والقبر بحر الندامات وعفو الله بحر الخطيآت قال القرطبى وذكر ابن المبارك قال أخبرنا داود بن ناقد قال سمعت عبدالله بن عبيد بن عمير يقول بلغنى ان الميت يقعد فى حفرته وهو يسمع وخط مشيعيه ولا يكلمه شئ أول من حفرته فتقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرتنى وحذرت ضيقى وظلماتى ونتنى وهولى هذا أعددت لك فما أعددت لى الوخط سرعة السير فى المشى وقال سفيان الثورى من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وروى عن الحسن البصرى أنه قال كنت خلف جنازة فاتبعتها حتى وصلوا بها الى حفرتها فنادت امرأة فقالت يا أهل القبور لو عرفتم ما نقل اليكم لاعززتموه قال الحسن فسمعت صوتا من الحفرة يقول قد والله نقل الينا باوزار كالجبال وقد أذن لى ان آكله حتى يعود رميما قال فاضطربت الجنازة فوق النعش وخر الحسن مغشيا عليه

﴿فصـــل﴾ روى النسائى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا الذى تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفا من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه قال النسائى يعنى سعد بن معاذ ومن حديث شعبة بن الحجاج باسناده الى عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ ولما ذكر السهيلى هذا الحديث قال وقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يا رسول الله ما انتفعت بشئ منذ سمعتك تذكر ضغطة القبر وضمته فقال لها يا عائشة ان ضغطة القبر على المؤمنين أو قال ضمة القبر على المؤمن كضمة الام الشفيقة يديها على رأس ابنها يشكو اليها الصداع وصوت منكر ونكير كالكحل فى العين ولكن يا عائشـــة ويل للشاكين أولئك الذين يضغطون فى قبورهم ضغطة البيض على الصخر ذكره أبوسعيد بن الاعرابى فى كتاب المعجم وروى من حديث أبى العلاء بن يزيد بن عبدالله ابن الشخير عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى يجيزوه الصراط قال

صاحب التذكرة هذا حديث حسن غريب من حديث يزيد تفرد به نصر بن حماد البجلي قلت وقد رواه أبو نعيم في حليته بهذه الالفاظ قلت وقد بين الله سبحانه على من يشاء من عباده فتضمه الارض ضم رحمة كما تضم الوالدة ولدها شفقة و رحمة كما قد ورد الاثر بذلك كما قدمنا قال ابن أبي حمزة رضي الله عنه وقد جاء عن الارض انها تضم المؤمن اذا جعل في قبره ضمة رحمة وتقول له ما أحب ما كنت فيك حين تمشي على ظهري فكيف اليوم وأنت في بطني والكافر بضد ذلك

باب ما يقال عند وضع الميت في قبره واستحباب الوقوف قليلا بعد الدفن والدعاء له بالتثبيت

روى مسلم عن عبد الرحمن بن شماسة المهدي قال حضرنا عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو في سياقة الموت الحديث وفيه فاذا دفنتموني فسنوا على التراب سنا ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وانظر ماذا أراجع به رسول ربي عز وجل قال عبد الحق قوله حتى أستأنس بكم يريد أن يستأنس بدعائهم و بذكرهم لله عز وجل وروى أبو داود عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسئل قلت ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال صحيح الاسناد وخرج أبو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الاصول له عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دفن ميتا وقف وسأل له التثبيت وكان يقول ما يستقبل المؤمن من هول الآخرة الا والقبر أفظع منه وخرجه أبو نعيم الحافظ عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على قبر رجل من أصحابه حين فرغ منه فقال انا لله وانا اليه راجعون اللهم انه نزل بك وأنت خير منزول به اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه واقبله منك بقبول حسن وثبت عند المسائل منطقه غريب من حديث عطاء الخراساني قلت وذكره صاحب سلاح المؤمن وقال رواه ابن أبي شيبة في مصنفه وفيه اللهم جاف الارض عن جنبيه الحديث قال القرطبي قال الآجري أبو بكر محمد بن الحسين في كتاب النصيحة له يستحب الوقوف بعد الدفن قليلا والدعاء للميت مستقبل وجهه بالثبات فيقال اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ولا نعلم منه الا خيرا وقد أجلسته لتسأله اللهم فثبته بالقول الثابت في الآخرة كما ثبته في الحياة الدنيا اللهم ارحمه وألحقه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تضلنا بعده ولا تحرمنا أجره وقال الترمذي الحكيم الوقوف على القبر وسؤال التثبيت في وقت دفنه مدد للميت بعد الصلاة لان الصلاة بجماعة المسلمين كالعسكر له قد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له والوقوف على القبر لسؤال التثبيت مدد للعسكر وتلك ساعة شغل الميت لانه يستقبله هول المطلع وسؤال وفتنة فتاني القبر

﴿فصل﴾ قال عطاء الخراساني أرحم ما يكون الرب بعبده اذا دخل قبره وتفرق الناس عنه وأهله وروى عن ابن عباس مرفوعا وروى أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه واللفظ لابي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع الميت في قبره قال بسم الله وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية وعلى ملة رسول الله وفي رواية ابن حبان واحدى رواية النسائي اذا وضعتم موتاكم في القبر فقولوا ورواه الحاكم في المستدرك من طريق آخر ولفظه الميت اذا وضع في قبره فليقل الذين يضعونه بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله وروى الحاكم في المستدرك عن أبي أمامة رضي الله عنه قال لما وضعت أم كلثوم بنت رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم فى القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى بسم الله فى سبيل الله وعلى ملة رسول الله فلما بنى عليها لحدها طفق صلى الله عليه وسلم يناولهم و يقول سدوا خلال اللبن ثم قال صلى الله عليه وسلم أما ان هذا ليس بشئ ولكنه يطيب نفس الحى وعن مجاهد رحمه الله انه كان يقول بسم الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله اللهم افسح له فى قبره ونور له فيه وألحقه بنبيه وأنت عنه راض غير غضبان وروى ابن أبى شيبة فى مصنفه عن خيثمة بن عبد الرحمن رضى الله عنه قال كانوا يستحبون اذا وضعوا الميت فى قبره أن يقولوا بسم الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله اللهم أجره من عذاب القبر وعذاب النار ومن شر الشياطين وخرج الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول عن سعيد بن المسيب قال حضرت ابن عمر رضى الله عنهما فى جنازة فلما وضعها فى اللحد قال بسم الله وفى سبيل الله فلما أخذ فى تسوية اللحد قال اللهم أجرها من الشيطان ومن عذاب القبر فلما سوى عليها قام الى جانب القبر ثم قال اللهم جاف الارض عن جنبها وصعد روحها ولقها منك رضوانا فقلت لابن عمر أشيأ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم شيأ قلته من رأيك قال انى اذا لقادر على القول بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجه ابن ماجه أيضا فى سننه وروى الترمذى الحكيم بسنده عن عمرو بن مرة قال كانوا يستحبون اذا وضعوا الميت فى اللحد أن يقولوا اللهم أعذه من الشيطان الرجيم وروى عن سفيان الثورى أنه قال اذا سئل الميت من ربك تزيا له الشيطان فى صورة فيشير الى نفسه انى أنا ربك قال الترمذى الحكيم فهذه فتنة عظيمة ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بالثبات فيقول اللهم ثبت عند المسئلة منطقه وافتح أبواب السماء لروحه فلو لم يكن للشيطان هنالك سبيل ما كان ليدعو له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال القرطبى فهذا تحقيق لما روى عن سفيان

﴿باب تلقين الميت بعد الدفن وذكر ماينجى من أهوال القبر وفتنته وعذابه﴾

قال عبد الحق روى عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات أحدكم فسويتم التراب عليه فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يافلان ابن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يافلان بن فلانة الثانية فانه يستوى قاعدا ثم ليقل يافلان بن فلانة فانه يقول ارشدنا رحمك الله ولكنكم لاتسمعون فيقول اذكر ماخرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا و بمحمد نبيا و بالقرآن اماما فان منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما و يقول انطلق بنا مايقعدنا عند هذا وقد لقن حجته و يكون الله حجيجهما دونه فقال رجل يارسول الله فان لم يعرف أمه قال ينسبه الى أمه حواء قال القرطبى هذا الحديث ذكره عبد الحق ولم يسنده كعادته وهذا والله أعلم نقله من احياء علوم الدين للغزالى وهو حديث غريب خرجه الثقفى وقد أنبأنا به الشيخ المسن الراوية أبو محمد عبد الوهاب المعروف بابن رواج والشيخ أبو الحسن على بن هبة الله الشافعى ثم ذكر سنده المتصل الى سعيد الازدى قال دخلت على أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه وهو فى النزع فقال لى ياسعيد اذا أنامت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نصنع بموتانا فقال اذا مات الرجل منكم فدفنتموه فليقم أحدكم عند رأسه فليقل يافلان بن فلانة فانه سيسمع فليقل يافلان بن فلانة سيقول أرشدنى رحمك الله فليقل اذكر ماخرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده و رسوله وأن الساعة آتية لاريب فيها وان الله باعث من فى القبور فان منكرا ونكيرا عند ذلك يأخذ كل واحد منهما بيد

صاحبه ويقول ماتصنع عند رجل لقن حجته فيكون الله حجيجهما دونه حديث أبي أمامة في النزع غريب من حديث حماد بن زيد ما كتبناه الا من حديث سعيد الازدي قال عبد الحق وقال شبيب بن شيبة أوصتني أمي عند موتها فقالت لي يابني اذا دفنتني فقم عند قبري وقل ياأم شيبة قولي لااله الا الله قال فلما دفنتها قمت عند قبرها فقلت ياأم شيبة قولي لااله الا الله ثم انصرفت فلما كان من الليل رأيتها في المنام فقالت لي يابني كدت ان أهلك لولا ان تداركتني لااله الا الله فلقد حفظت وصيتي يابني ويروى عن بعض الصالحين انه قال مات أخ لي فرأيته في النوم فقلت له ياأخي ما كان حالك حين وضعت في قبرك قال أتاني آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لي لهلكت قال القرطبي قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي رضي الله عنه ينبغي أن يرشد الميت في قبره حين وضعه الى جواب السؤال ويذكر بذلك فيقال له قل الله ربي والاسلام ديني ومحمد رسولي فانه عن ذلك يسئل كما جاءت به الاخبار وقد جرى العمل عندنا بقرطوبة كذلك فيقال قل هو محمد رسول الله وذلك عند هيل التراب وقد صح ان الميت يسمع مايقال وقد قال صلى الله عليه وسلم انه ليسمع قرع نعالهم ذكره البخاري وغيره (قلت) وقد قدمنا من كلام شاكر بن مسلم نحو هذا وقد نقله النووي من الشافعية أعني استحسان التلقين بعد الموت ونقل استحسانه عن ابن الصلاح قال وبه جرى العمل عندنا

﴿فصل﴾ ونقل القرطبي في تذكرته ان مما ينجي المؤمن من أهوال القبر وفتنته وعذابه خمسة أشياء الاول الرباط روى مسلم عن سلمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات أجرى عليه عمله الذي يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان قال القرطبي فالرباط من أفضل الاعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت كما في حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة الحديث خرجه مسلم وكذلك مارواه أبو نعيم عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع يجرى أجرها للعبد بعد موته وهو في قبره من علم علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته وخرجه ابن ماجه في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره أو ولدا صالحا تركه أو مصحفا ورثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا اجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحة تلحقه بعد موته وروى الترمذي عن فضالة بن عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا الذي مات مرابطا في سبيل الله فانه ينمو عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وخرجه أبو داود بمعناه وقال ويؤمن من فتاني القبر قال القرطبي وهذا العمل الذي يجرى عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الاعمال الصالحة وخرجه ابن ماجه باسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات مرابطا في سبيل الله أجرى الله عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان ويبعثه الله آمنا من الفزع قال القرطبي وفي هذا الحديث وحديث فضالة بن عبيد قيد ثان وهو الموت حالة الرباط والله سبحانه أعلم وروى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رابط ليلة في سبيل الله كانت له كألف ليلة صيامها وقيامها قلت ورواه أبو نعيم في الحلية ولفظه عن عثمان رضي الله عنه

قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول حرس ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها وروى عن أبي ابن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرباط يوم فى سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من غير شهر رمضان أعظم أجرا من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ورباط يوم فى سبيل الله من وراء عورة المسلمين من شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم أجرا أراه قال من عبادة ألفى سنة صيامها وقيامها فان رده الله الى أهله سالما لم تكتب عليه سيئة ألف سنة ويكتب له من الحسنات ويجرى له أجرا لرباط الى يوم القيامة فدل هذا الحديث على ان رباط يوم فى شهر رمضان يحصل له الثواب الدائم وان لم يمت مرابطا والله سبحانه أعلم الثانى الشهيد روى النسائى بسنده عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال يارسول الله مابال المؤمنين يفتنون فى قبورهم الا الشهيد قال كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة وخرج ابن ماجه فى سننه والترمذى فى جامعه وغيرهما عن المقدام بن معدى كرب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفرله فى أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من أقاربه هذا لفظ الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب وقال ابن ماجه يغفر له فى أول دفعة من دمه قال ويحلى حلة الايمان بدل ويوضع على رأسه تاج الوقار قال ابن ماجه حدثنا هشام بن عمار قال حدثنا اسماعيل بن عياش قال حدثنى محمد بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معدى كرب فذكره قال القرطبى ووقع فى جميع نسخ الترمذى وابن ماجه ست خصال وهى فى متن الحديث سبع وعلى ماذكر ابن ماجه ويحلى حلة الايمان تكون ثمانيا وكذا ذكره أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد بسنده عن المقدام بن معدى كرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ثمانى خصال الثالث قراءة تبارك الذى بيده الملك فقد روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ضرب رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لايحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ضربت خبائى على قبر وانا لاأحسبه انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر قال حديث حسن غريب وخرج الترمذى أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من قرأها كل ليلة جاءت تجادل عن صاحبها وروى انها المجادلة تجادل عن صاحبها فى القبر وروى ان من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لرجل الا أتحفك بحديث تفرح به فقال الرجل بلى ياابن عباس رحمك الله قال اقرأ تبارك الذى بيده الملك احفظها وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية المجادلة تجادل أوتخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له الى ربها ان ينجيه من عذاب النار اذا كانت فى جوفه وينجى الله بها صاحبها من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددت انها فى قلب كل انسان من أمتى وقد روى القرطبى هذا الحديث عن اشياخه من طريقين قال ابن عطية وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤها عند أخذ مضجعه رواه جماعة مرفوعا وروى انها تنجى من عذاب القبر وتجادل عن صاحبها حتى لايعذب قال وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وددت ان سورة تبارك الذى بيده الملك فى قلب كل مؤمن قلت وقد خرج مالك رحمه الله تعالى فى الموطأ انها تجادل عن صاحبها وقد خرج أبو داود

والترمذى والنسائى وأبو الحسن بن صخر وأبو ذر الهروى وغيرهم أحاديث فى فضل هذه السورة نحو ماتقدم وحدث الشيخ أبو الفتح محمد بن على بن همام فى كتابه سلاح المؤمن عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى تبارك الذى بيده الملك رواه أبو داود والترمذى والنسائى والحاكم فى المستدرك على الصحيحين وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى واللفظ له حديث حسن وقال الحاكم صحيح الاسناد (قلت) والاحاديث فى كونها تجادل عن صاحبها كثيرة وقد أطنب الغافقى فى سياق الاحاديث فيها بهذا المعنى وقد رأيت بركتها عيانا كنت فى صغرى ربما اعترانى الكابوس الذى يأخذ الانسان فى النوم فكنت اذا قرأتها عنعنى الله سبحانه منه وربما نسيت قراءتها عند النوم فاذا أحسست به وأنا نائم قرأتها فى قلبى فى تلك الحال فهرب عنى وقد تقدم ان قراءة الانسان قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه ينجى من فتنة القبر ومن ضغطته (قلت) ونقل صاحب نزهة الاسرار ولوامع الانوار فى فضل الصلاة على النبى المختار عن أبى القاسم بن بشكوال عن الشبلى رحمه الله انه قال مات رجل من جيرانى فرأيته فى المنام فسألته عن حاله فقال ياشبلى مرت بى أهوال عظيمة وذلك انه ارتج على عند السؤال فقلت فى نفسى من أين أتى على ألم أمت على الاسلام فنوديت هذه عقوبة اهمالك اسانك فى الدنيا فلما هم بى الملكان حال بينى وبينهما رجل جميل الشخص طيب الرائحة فذكرنى حجتى فذكرتها فقلت من أنت يرحمك الله فقال شخص خلقت من كثرة صلاتك على محمد صلى الله عليه وسلم وأمرت ان أنصرك فى كل كرب قال وذكر ابن بشكوال فى كتاب القربة عن محمد بن أبى سليمان قال رأيت أبى فى المنام فقلت ياأبت مافعل الله بك فقال غفرلى فقلت بماذا فقال بكتابتى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وقال أبو العباس الخياط رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال احضر مجلس ابن رشيق فانه يصلى على فيه كذا وكذا مرة ورئى ابن رشيق رحمه الله تعالى بعد موته فى المنام فى حالة حسنة فقيل له بما نلت هذا فقال بكثرة صلاتى على النبى صلى الله عليه وسلم ورئى أبو حفص الكاغدى بعد وفاته فى المنام وكان سيدا كبيرا فقيل له مافعل الله بك قال رحمنى وغفر لى وأدخلنى الجنة فقيل له بماذا قال لما أوقفنى سبحانه بين يديه أمر الملائكة فحسبوا ذنوبى وحسبوا صلاتى على المصطفى صلى الله عليه وسلم فوجدوها أكثر فقال لهم جلت قدرته حسبكم ياملائكتى لاتحاسبوه واذهبوا به الى الجنة وعن جعفر بن على قال سمعت خالى الحسين بن محمد يقول رأيت أحمد بن حنبل فى المنام فقال لى ياأبا على لورأيت صلاتنا على النبى صلى الله عليه وسلم فى الكتب كيف تزهر بين أيدينا وذكر ابن بشكوال فى كتاب القربة عن محمد بن الحسن النقاش عن بعض المتصوفة انه قال رأيت الملقب بمسطاح بعد وفاته فى المنام وكان رجلا ماجنا فى حياته فقلت مافعل الله بك قال غفرلى قلت بأى شئ قال استمليت على بعض المحدثين حديثا مسندا فصلى الشيخ على النبى صلى الله عليه وسلم فصليت أنا ورفعت صوتى فصلى أهل المجلس عليه فغفر لنا كلنا فى ذلك اليوم الرابع روى ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات مريضا مات شهيدا ووقى فتنة القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة (قلت) وفى الحلية لابى نعيم من مات مريضا فى سبيل الله مات شهيدا رواه عبد العزيز بن أبى رواه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية عن جابر من مات مريضا أو غريبا مات شهيدا وخرج النسائى عن جامع ابن شداد قال سمعت عبد الله بن يسار يقول كنت جالسا مع سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة فذكروا أن رجلا مات ببطنه فاذاهما يشتهيان ان يكونا شهدا جنازته فقال أحدهما للآخر ألم

يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقتله بطنه لم يعذب فى قبره وأخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده فقال حدثنا شعبة قال أخبرنى جامع بن شداد فذكره و زاد فقال الآخر بلى قال القرطبى قوله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا عام فى جميع الامراض لكن يقيد بقوله من يقتله بطنه أى صاحب الاسهال وقيل صاحب الاستسقاء (قلت) و بقاؤه على عمومه أصوب ان شاء الله لان الاصل العموم ولان فضل المولى عظيم وجوده عميم فيحمل على مايقتضى عموم الاحسان وقد نقل الغزالى هذا الحديث فى الاحياء ولم يقيده فقال قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا ووقى فتنة القبر وغدى و ريح عليه برزقه من الجنة ولما تكلم ابن أبى جمرة رضى الله عنه على قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأى أحدكم مايحب فلا يحدث بها الا من يحب الحديث أى اذ لعل من لايحب يعبرها على الوجه المكروه قال وأما أمره صلى الله عليه وسلم لمن يرى مايكره أن يتعوذ بالله من شرها وشر الشيطان ويتفل ثلاثا ولا يحدث بها فقد قال العلماء ان الرؤيا اذا كانت تدل على شر ولم تكن حلما وامتثل صاحبها السنة كما أخبر صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث انها لاتضره ببركة اتباعه السنة وهو الحق الذى لاغبار عليه لان الله عز وجل يقول وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وهذا لفظ عام باق على عمومه لان ذلك فضل من الله تعالى وما كان من طريق الربوبية يعتقد فيه أكمل وجوه الخير لان ذلك هو الاليق بجلاله سبحانه جعلنا الله ممن تمسك بالكتاب والسنة وتوفنا على ذلك مغفورا لنا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم انتهى كلام هذا الولى بلفظه أعاد الله علينا من بركاته و بركة أمثاله فافهم هذه القاعدة المباركة وبالله التوفيق الخامس روى الترمذى عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة الاوقاه الله فتنة القبر قال حديث حسن غريب وليس اسناده بمتصل لانا لانعرف لربيعة بن سيف سماعا من عبد الله بن عمرو قال القرطبى رحمه الله تعالى قد خرجه أبو عبد الله الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول متصلا عن ربيعة بن سيف الاسكندانى عن عياض بن عقبة الفهرى عن عبد الله بن عمرو ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقاه الله فتنة القبر وخرجه على بن معبد عن عبد الله بن عمرو قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقى فتنة القبر وأخرجه أبو نعيم الحافظ عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أجير من عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء غريب من حديث جابر

﴿فصل﴾ و روى أبو نعيم عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من وافق موته عند انقضاء رمضان دخل الجنة ومن وافق موته عند انقضاء صدقة دخل الجنة حديث غريب قال القرطبى رحمه الله تعالى اعلم رحمك الله ان هذا الباب الذى فرغنا منه الآن لايعارض ماتقدم من الابواب بل يخصها و يبين من لايسئل فى قبره ولايفتن فيه ممن يجرى عليه السؤال و يقاسى تلك الاهوال وهذا كله ليس فيه مدخل للقياس ولا مجال للنظر فيه ولله در العاملين بطاعة ربهم لقد حاز واخير الدارين وأنشدوا

أين الذين الى مولاهم هربوا * وكابدوا الليل والاحزان وانتحبوا
أين الذين تخلوا عن ديارهم * وخلفوا الاهل والاموال واغتربوا
أين الذين اذا جن الظلام بهم * قاموا بجد على الاقدام وانتصبوا

أين الذين اذا ماتوا بكى لهم * شمس النهار و بدر الليل والكوكب
أين الذين بكت صم الجبال لهم * عند الممات وسهل الارض والعشب
أين الذين حباذو العرش جنته * و زادهم من عطاء كل ما طلبوا
فاسكنوا أبدا فى الخلد منزلهم * فيها فواكه دار الخلد والعنب

و روى أبو نعيم فى الحلية عن زيد بن أسلم أنه قال من يكرم الله بطاعته يكرمه بجنته ومن يكرم الله تعالى بترك معصيته أكرمه الله بان لا يدخله النار

﴿باب ما جاء ان الميت يعرض عليه مقعده وعرض الاعمال على الموتى وفرحهم بالحسنات والاعمال الصالحات﴾

روى البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة و يروى عرض على مقعده قال القرطبى قيل هذا العرض انما هو على الروح وحده و يجوز أن يكون مع جزء من الجسد و يجوز أن يكون مع جميع الجسد فترد اليه الروح كما ترد عند المسائلة وجاء فى القرآن فى حق الكافرين النار يعرضون عليها غدوا وعشيا فاخبر سبحانه ان الكافرين يعرضون على النار كما ان أهل السعادة يعرضون على الجنان

﴿فصل﴾ وروى ابن المبارك عن أبى الدرداء رضى الله عنه انه كان يقول ان أعمالكم تعرض على موتاكم فيسرون ويساؤن قال يقول أبو الدرداء اللهم انى أعوذ بك ان أعمل عملا يخزى به عبد الله بن رواحة وفى رواية اللهم انى أعوذ بك من عمل يخزينى عند عبد الله بن رواحة وروى ابن المبارك من حديث أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه قال تعرض عليهم أعمالكم يعنى أعمال الاحياء قال فان رأوا حسنا فرحوا واستبشروا وقالوا اللهم هذه نعمتك على عبدك فاتمها وان رأوا شرا قالوا اللهم راجع بعبدك ولفظ الغزالى فى الاحياء قال قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتفضحوا أمواتكم بسيئ أعمالكم فانها تعرض على أوليائكم من أهل القبور ولذلك قال أبو الدرداء رضى الله عنه اللهم انى أعوذ بك ان أعمل عملا أخزى به عند عبد الله ابن رواحة وكان قد استشهد وهو خاله وعن سعيد بن جبير أنه قال مامن أحد له حميم الا و يأتيه أخبار أقاربه فان كان خيرا سربه وفرح وهنى به وان كان شرا ابتأس به وحزن حتى انهم ليسئلون عن الرجل اذا مات فيقال أولم يأتكم فيقولون لا خولف به الى أمه الهاوية وقال وهب بن منبه ان لله سبحانه فى السماء السابعة دارا يقال لها البيضاء يجتمع فيها أرواح المؤمنين فاذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الارواح فيسائلونه عن أخبار الدنيا كما يسائل الغائب أهله اذا قدم اليهم ذكره أبو نعيم وخرج الترمذى الحكيم عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى فان كان خيرا استبشروا وان كان غير ذلك قالوا اللهم لاتمتهم حتى تهديهم لما هديتنا وخرج بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تعرض الاعمال على الله سبحانه يوم الاثنين و يوم الخميس وتعرض على الانبياء وعلى الآباء يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا وشرقة فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم و روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان أرواحكم اذا مات أحدكم تعرض على عشائركم

فيقول بعضهم لبعض دعوه يستريح فانه كان فى كرب ثم يسألونه ماعمل فلان وما عملت فلانة فان ذكر خيرا حمدوا الله واستبشروا وان كان شرا قالوا اللهم أغفر له الحديث وقد تقدم هذا المعنى نسئل الله سبحانه أن يمن علينا باعمال مرضية يدخل بها السرور على أوليائنا بجوده وكرمه

﴿فصل﴾ قال ابن أبى جمرة فى قوله صلى الله عليه وسلم يعرض عليه مقعده أى موضعه قال رحمه الله وفيه بحث وهو أن يقال كيف قال صلى الله عليه وسلم بالغداة والعشى وليس فى الاخرة ليل ولا نهار والجواب والله أعلم أن يكون المراد قدر مابين الغداة والعشى فى هذه الدار كما قال تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال العلماء قدر مابين الغداة والعشى فى دار الدنيا

﴿باب جامع لاحوال الموتى وما يحكى فى ذلك من العجائب وتبشير الملائكة للعبد وما ينكشف له عقب الموت﴾

قال أبو الليث السمرقندى رحمه الله قال الحكيم يا ابن آدم لاعبادة لك بعد موتك فاغتنم أيام حياتك واستعد لقدوم الموت عليك وتذكره فى كل وقت فليس بغافل عنك قال وقال الحكيم من أراد أن ينجو من عذاب الله وعذاب القبر فليلتزم أربعة أشياء يلازم محافظة الصلوات الخمس والصدقات وقراءة القرآن وكثرة التسبيح فهذه الاشياء تضئ القبر وتوسعه ويجتنب أربعة أشياء الكذب والخيانة والنميمة ويتحرز من البول فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال تنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر من البول (قلت) وقد روى أبو بكر بن أبى شيبة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أكثر عذاب القبر فى البول وروى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال مر النبى صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله الحديث وفى سنن أبى داود لايستنزه من بوله وفى حديث هناد بن السرى لايستبرئ من البول وقال البخارى وما يعذبان فى كبير وانه لكبير أى وما يعذبان فى كبير تركه أو فى كبير بالنسبة الى الكفر ثم قال وانه لكبير أى لكبير فى نفسه وخرجه أبو داود الطيالسى وفيه انهما ليعذبان الآن انهما يعذبان فى الغيبة والبول الحديث مختصر وفى رواية أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس وأما الآخر فكان صاحب نميمة وروى الطحاوى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أمر بعبد من عباد الله أن يضرب فى قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله تعالى ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه أفاق فقال علىم جلدتنى قال انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره وقال أبو الليث ذكر عمرو بن دينار أن رجلا من أهل المدينة ماتت أخته فدفنها ثم ذكر انه سقط له كيس فى قبرها فرجع واستعان برجل من أصحابه فنبشا القبر فوجد الكيس ثم قال لصاحبه تنح عنى حتى أنظر الى أى حال صارت اليه أختى فرفع بعض ماعلى اللحد فاذا القبر مشتعل نارا فرده وسوى القبر وقال لامه أخبرينى عن حال أختى ما كانت تصنع فقالت له كانت تؤخر الصلاة ولا تصليها بطهارة تامة وتأتى أبواب الجيران فتلقى اذنها فتخرج حديثهم يعنى تمشى بالنميمة وهو أحد أسباب عذاب القبر قال أبو الليث فمن أراد أن ينجو من عذاب القبر فليحترز من النميمة ويترك سائر الذنوب لعله تسهل عليه مسائلة منكر ونكير (قلت) ونحو هذا ما ذكره القاضى أبو عبد الله محمد المقرى بتشديد القاف قال كان الشيخ العالم العامل أبو زرهون عبد العزيز الغزوى صاحبنا رحمه الله تعالى يحدثنا ان فقيرا مات بعد شهرهم فوجدوا عنده صرة دراهم فدفعوها الى مؤذن

المدشر حتى يفرغوا من أمره فسقطت من المؤذن فى قبره لما نزل لالحاده فلما واروه تذكر فاستصرخهم فى الكشف عنه لقرب الامر فوجدوها قد سمرت فى جسده وهى بادية فحاولوا قلع درهم منها فتحرك عن زيج منتنة فتركوه على حاله وانصرفوا عنه وكان الفقيه يذكر انه شاهد ذلك (قلت) وقد جاء فى الحديث فى الذى غل بردة ثم أصابه سهم فمات فقالوا هنيئا له الجنة فقال صلى الله عليه وسلم كلا ان البردة التى غلها من خيبر لتلتهب عليه نارا فكذلك الفقير الذى يسئل و يستكثر من أموال الناس ويكنزه وغال وقد حدثت ان شخصا كان مع الترك فى طريق الحج فمات فوجدوا عنده نحو الستين دينارا وعهد اليهم أن يدفنوه بها ففعلوا لانهم كانوا يعتقدونه فتخلف واحد ممن علم بالحال ونبش قبره فوجدها مسمرة فى لحمه فلم يستطع زوالها فقطع جانبا منه أظنه قال ذراعه وما والاه حتى أرى أصحابه ذلك وهذا الميت وان فرضنا ان ذهبه اجتمع من حلال فهو عاص بامره بدفنها معه لان الحق فيها للورثة أو لبيت المال نسئل الله العافية والستر فى الدارين وروى أبو داود عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم

﴿فصـــل﴾ ذكر الوائلى الحافظ فى كتاب الابانة له من حديث مالك بن مغول عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال بينا أنا أسير بجنبات بدر اذ خرج رجل من الارض فى عنقه سلسلة يمسك طرفها أسود فقال ياعبد الله اسقنى فقال ابن عمر لاأدرى أعرف اسمى أوكما يقول الرجل ياعبد الله فقال لى الاسود لاتسقه فانه كافر ثم اجتذبه فدخل الارض قال ابن عمر فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال أوقد رأيته ذاك عدو الله أبو جهل بن هشام وهو عذابه الى يوم القيامة وقد رواه أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد بسنده باكمل من هذا عن سالم بن عبدالله عن أبيه قال خرجت مرة فمررت بقبر من قبور الجاهلية فاذا رجل قد خرج من القبر يتأجج نارا فى عنقه سلسلة ومعى اداوة من ماء فلما رآنى قال ياعبد الله اسقنى قال فقلت عرفنى فدعانى باسمى أوكلمة تقولها العرب ياعبد الله اذ خرج على أثره رجل من القبر فقال ياعبدالله لاتسقه فانه كافر ثم أخذ السلسلة فاجتذبه فادخله القبر قال ثم اضافنى الليل الى بيت عجوز الى جانبها قبر فسمعت من القبر صوتا يقول بول وما بول شن وما شن فقلت للعجوز وما هذا قالت كان زوجا لى وكان اذا بال لم يتق البول وكنت أقول له ويحك ان الجمل اذا بال تفاج وكان يأبى فهو ينادى من يوم مات بول وما بول قلت فما الشن قالت جاء رجل عطشان فقال اسقنى فقال دونك الشن فاذا ليس فيه شئ فخر الرجل ميتا فهو ينادى منذ يوم مات شن وما شن فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته فنهى أن يسافر الرجل وحده قال أبو عمر هذا الحديث فى اسناده مجهولون ولم نروه للاحتجاج به ولكن للاعتبار وما لم يكن حكم فقد تسامح الناس فى روايته عن الضعفاء

﴿فصـــل﴾ فى بيان قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الآية قال الثعلبى تتنزل عليهم الملائكة أى عند الموت أن لاتخافوا ولاتحزنوا وأبشروا قال وكيع والبشرى فى ثلاثة مواطن عند الموت وفى القبر وعند البعث ونحوه عن سفيان وفى البخارى تتنزل عليهم الملائكة أى عند الموت قال ابن العربى فى أحكامه تتنزل عليهم الملائكة قال المفسرون عند الموت وأنا أقول كل يوم وآكد الايام يوم الموت وحين القبر ويوم الفزع الاكبر وفى ذلك آثار بيناها فى مواضعها قال ابن عطية قوله تعالى أن لاتخافوا ولاتحزنوا أمنة عامة فى كل هم مستأنف

وتسلية تامة عن كل فائت ماض وقال مجاهد المعنى لاتخافوا ماتقدمون عليه ولاتحزنوا على ماخلفتم من دنياكم وقوله سبحانه نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة المتكلم بنحن أولياؤكم هم الملائكة القائلون لاتخافوا ولا تحزنوا أى يقولون للمؤمن عند الموت وعند مشاهدة الحق نحن كنا أولياؤكم فى الدنيا ونحن هم أولياؤكم فى الآخرة قال السدى المعنى نحن حفظتكم فى الدنيا وأولياؤكم فى الآخرة وروى أبو نعيم فى حليته عن ثابت البنانى فى هذه الآية ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لاتخافوا ولاتحزنوا الى آخر الآية قال بلغنا انه اذا انشقت الارض يوم القيامة عن هام الرجال وعن هام النساء نظر المؤمن الى حافظيه قائمين على رأسه يقولون ياولى الله لاتخف اليوم ولاتحزن أبشر ياولى الله بالجنة التى كنت توعد نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة أبشر ياولى الله انك سترى اليوم أمرا لم ير مثله فلايهولنك فانما يراد بغيرك قال ثابت فما عظيمة تغشى الناس يوم القيامة الاوهى للمؤمن قرة عين بما هداه الله فى الدنيا وبما كان يعمله (قلت) ولله در العاملين روى أبو نعيم عن هشام الدستوانى قال قرأت فى كتاب بلغنى انه من كلام عيسى عليه السلام تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير العمل ولا تعملون للآخرة وأنتم لاترزقون فيها الابالعمل فاعمل رحمك الله وحسن ظنك بربك وابشر وقد روى أبو نعيم فى حليته عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل من أى أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من أدى دينا خفيا وقرأ فى دبر كل صلاة قل هو الله أحد عشر مرات وعفا عن قاتله قال أبو بكر أو احداهن يارسول الله قال أو احداهن

﴿فصل﴾ قال الغزالى فى الاحياء قال يزيد الرقاشى بلغنى ان الميت اذا وضع فى قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله عز وجل فقالت أيها العبد المنفرد فى حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا أنيس لك اليوم غيرنا ثم ذكر الغزالى والقرطبى عن كعب ان العبد الصالح اذا وضع فى قبره احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والصدقة قال فتجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلاسبيل لكم عليه فقد أطال بى القيام لله عز وجل فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لاسبيل لكم عليه فقد طال ظمأه لله عز وجل فى دار الدنيا فلا سبيل لكم اليه قال فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبى فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت فى يد الله عز وجل ابتغاء وجه الله تعالى فلا سبيل لكم اليه فيقال هنيئا لك طبت حيا وطبت ميتا قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة فيستضىء بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره (قلت) ومما أنشد فى العمل الباقى مع الميت فى قبره قول القائل

تزود قرينا من فعالك انما * قرين الفتى فى القبر ما كان يفعل
ولن يصحب الانسان من بعد موته * الى قبره غير الذى كان يعمل
الا انما الانسان ضيف لاهله * يقيم قليلا عندهم ثم يرحل

قال الغزالى رحمه الله تعالى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مامن ليلة الا ينادى مناد ياأهل القبور من تغبطون فاوانغبط أهل المساجد لانهم يصومون ولانصوم ويصلون ولا نصلى ويذكرون الله ولانذكر وروى أبو نعيم فى الحلية عن معروف الكرخى أنه قال توكل على الله حتى يكون هو معلك وأنيسك وموضع شكواك وليكن ذكر الموت جليسك لايفارقك واعلم ان الشفاء من كل بلاء ينزل بك كتمانه لان الناس لاينفعونك ولا يضرونك قال أبو بكر الخياط رأيت معروفا فقلت أبامحفوظ ماصنع بك ربك أولبس قدمت قال بلى ثم أنشأ يقول

موت التقي حياة لانفاد لها * قد مات قوم وهم في الناس احياء

(فصل) قال الغزالي واعلم ان الموقن ينكشف له عقب الموت من سعة الله سبحانه ماتكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف لايبلغ طرفاه فيه أنواع الاشجار والازهار والطيور والثمار فلا يشتهي العود الى السجن المظلم وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا لرجل مات فقال أصبح هذا مرتحلا من الدنيا وتركها لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره الرجوع الى الدنيا كما لايسر أحدكم ان يرجع الى بطن أمه فعرفك رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نسبة سعة الآخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم وقال صلى الله عليه وسلم ان مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذ رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع الى مكانه وكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا انتقل الى ربه سبحانه لم يحب أن يرجع الى الدنيا كما لايحب المولود أن يرجع الى بطن أمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا قد مات فقال مستريح أو مستراح منه أشار بالمستريح الى المؤمن وبالمستراح منه الى الفاجر اذ يستريح أهل الدنيا منه (قلت) وقدمنا هذا الحديث في الصحيح وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مامن عبد يموت له عند الله عز وجل خير يسره أن يرجع الى الدنيا وان الدنيا له ومافيها الا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فانه يسره ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وروى الترمذي ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وفي الباب عن عبد الله بن عمرو قال أبو عيسى واللفظ له هذا حديث حسن صحيح

(فصل) قال الغزالي رحمه الله تعالى قال عمر رضي الله عنه التؤدة في كل شئ خير الا في عمل الآخرة أي فتجب المبادرة قبل هجوم المنية وليحذر العبد آفة التأخير ويقصر أمله ولايطوله فيكسل عمله قال الغزالي واعلم ان من له أخوان غائبان ينتظر قدوم أحدهما في غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فانما يستعد لمن ينتظر قدومه في غد فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فافهم ومن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ماوراء المدة ثم يصبح كل يوم ينتظر السنة بكمالها لاينتقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبدا فافهم ومر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال له دعني انما أبادر خروج روحي واجتهد أبو موسى الاشعري رضي الله عنه قبل موته اجتهادا عظيما فقيل له لو أمسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا أرسلت فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ماعندها والذي بقي من أجلي أقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات قال عبد الحق في العاقبة اعلم ان أهل القبور انما يندمون على مايتركون ويفرحون بما يقدمون فما عليه أهل القبور يندمون أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وقال بعض الحكماء ماانتقصت ساعة من يومك الا بقطعة من عمرك ونصيب من جسمك وقال لقمان لابنه يابني أمر لاتدري متى يلقاك فاستعد له قبل أن يفجأك ويجب على من له عقل وتمييز أن يبادر بالتوبة ويجتهد في خلاص نفسه قبل حلول رمسه ويتأمل هذه الاخبار الواردة فيما يلقاها الميت مادام في قيد الحياة وقبل حصول الوفاة دخل جماعة من الفضلاء على شيخهم فاهتموا بأمر آخرتهم فقالوا لشيخهم وهو حبيب العجمي ليتنا لم نخلق فقال قد وقعتم فاحتالوا وفي هذا المعنى قيل

ماينفع المرء قول المرء من جزع * ليت ابن آدم لم يخلق ولم يكن
قد كان ذلك فاجهد في الخلاص عسى * تنجو غدا من عظيم الكرب والحزن

وروى

وروى أبونعيم فى حليته عن حماد بن زيد عن عاصم الاحول قال قال لى الفضيل بن زيد الرقاشى وكان غزا مع عمر رضى الله عنه سبع غزوات لايشغلنك كثرة الناس عن نفسك فان الامر يخلص اليك دونهم واياك ان يذهب نهارك بقطعه ههنا وههنا فانه محفوظ عليك وما رأيت شيأ قط أحسن طلبا ولا أسرع ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم وفى رواية سفيان عنه لايلهينك الناس عن ذات نفسك فان الامر يخلص اليك دونهم ولا تقطع النهار بكيت وكيت فانه محفوظ عليك ماقلت ولم نرشيأ أحسن طلبا ولا أسرع ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم

﴿فصل﴾ قال الشيخ ابن أبى جمرة رضى الله عنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاة الليل تنور القبر قال الغزالى رحمه الله تعالى وبالجملة فالمرضى عند العقلاء ان تقدر نفسك فى العالم وحدك مع الله عزوجل وبين يديك الموت والعرض والحساب فتشتغل بما يعنيك مما بين يديك وتدع عنك ماسواه ولله در من أقبل على مايعنيه واعتبر بمن مضى من اخوانه قال ابن اسحاق لما أخرج عمرو بن الحارث الجرهمى من مكة فانطلق هو ومن معه من جرهم الى اليمن فحزنوا على فراق مكة حزنا شديدا فقال عمرو بن الحارث

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا * صروف الليالى والجدود العواثر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نطوف بذاك البيت والخير ظاهر

قال ابن اسحاق وقال عمرو بن الحارث أيضا يذكر ساكنى مكة الذين خلفوا بها بعدهم

ياأيها الناس سيروا ان قصركم * ان تصبحوا ذات يوم لاتسيرونا
حثوا المطى وأرخوا من أزمتها * قبل الممات وقضوا ماتقضونا
كنا اناسا كما كنتم فغيرنا * دهر فأنتم كما كنا تكونونا

قال ابن هشام حدثنى بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الابيات أول شعر قيل فى العرب وانها وجدت مكتوبة فى حجر باليمن ولم يسم لى قائلها وروى الترمذى عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال ياأيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاءت الموت بما فيه الحديث قال أبو عيسى هذا حديث حسن قال أبو الليث السمرقندى روى عن ابراهيم بن أدهم رحمه الله انه قيل له لو جلست حتى نسمع منك شيأ فقال انى مشغول بأربعة أشياء لو تفرغت منها لجلست لكم قيل له وما هى قال انى تفكرت فى حين أخذ الله الميثاق من بنى آدم فقال سبحانه هؤلاء الى الجنة ولا أبالى وهؤلاء الى النار ولا أبالى فلم أدر من أى الفريقين كنت وتفكرت فى الولد حين ينفخ فيه الروح فى بطن أمه فيقول الملك يارب أشقى أم سعيد فلم أدر كيف خرج جوابى فى ذلك الوقت والثالث حين الموت لاأدرى حال الخاتمة والرابع تفكرت فى قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون فلا أدرى من أى الفريقين أكون جعلنا الله واياكم ممن ختم لنا بالسعادة وأنعم عليه بحسن الخاتمة آمين فتأمل رحمك الله ماتنتجه الفكرة المستقيمة وقد روى الحافظ أبو نعيم فى الحلية عن سفيان بن عيينة عن الثقة عنده ان النبى صلى الله عليه وسلم أوصى رجلا بثلاث فقال اكثر ذكر الموت يسلك عما سواه وعليك بالدعاء فانك لاتدرى متى يستجاب لك وعليك بالشكر فان الشكر زيادة وقال سفيان بن عيينة الفكرة نور تدخله قلبك وكان يتمثل بهذا البيت

اذا المرء كانت له فكرة * ففى كل شئ له عبرة

وقال التفكر مفتاح الرحمة الا ترى انه يتفكر فيتوب ولما فرغ الغزالي رحمه الله تعالى من الكلام في صفة جهنم واهوالها نجانا الله منها برحمته قال واعلم ان النار خلقها الله تعالى باهوالها وخلق لها أهلا لايزيدون ولا ينقصون وان هذا أمر قد قضى وفرغ منه والعجب منك كيف تضحك وتلهو ولست تدري ان القضاء بماذاسبق في حقك فان قلت فليت شعري الى ماذا مورد والى ماذا مآلي ومرجعي وما الذي سبق به القضاء في حقي فاعلم ان لك علامة تستأنس بها و يصدق رجاؤك بسببها وهو ان تنظر الى أحوالك وأعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن النار وان كنت لاتقصد خيرا الاوتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا الا وتتيسر لك أسبابه فاعلم انك مقضي عليك بها فان دلالة هذا الامر على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار وقد قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فاعرض نفسك على الايتين وقد عرفت مستقرك من الدارين

باب

روى البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال من رأى منكم الليلة رؤيا قال فان رأى أحد رؤيا قصها فيقول ماشاء الله فسألنا يوما فقال هل رأى أحد منكم رؤيا قلنا لا قال لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فاخذا بيدي فاخرجاني الى الارض المقدسة فاذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخل ذلك الكلوب في شدقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله قلت ماهذا قالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر أوصخرة فيشدخ بها رأسه فاذا ضربه تدهده الحجر فانطلق اليه ليأخذه فلايرجع الى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد اليه فضربه قلت ماهذا قالا انطلق فانطلقنا الى نقب مثل التنور اعلاه ضيق وأسفله واسع تتوقد تحته نار فاذا اقتربت ارتفعوا حتى كاد ان يخرجوا فاذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة فقلت ماهذا فقالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة فاقبل الرجل الذي في النهر فاذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان فقلت ماهذا فقالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا الى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي اصلها شيخ وصبيان واذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بي الشجرة فادخلاني دارا لم أرقط أحسن منها فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فادخلاني دارا هي احسن وأفضل فيها شيوخ وشباب قلت طوفتماني الليلة فاخبراني عما رأيت قالا نعم الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به الى يوم القيامة والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله تعالى القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به الى يوم القيامة وأما الذي رأيته في النقب فهم الزناة والذي رأيته في النهر آكل الربا والشيخ في أصل الشجرة ابراهيم والصبيان حوله فاولاد الناس والذي يوقد النار مالك خازن النار والدار الاولى التي دخلت الجنة دار عامة المؤمنين وأما هذه الدار فدار الشهداء وأنا جبريل وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسي فاذا فوقي مثل السحاب قالا ذاك منزلك فقلت دعاني أدخل منزلي فقالا انه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملته دخلت منزلك انتهى الحديث بكماله وكرره البخاري في كتاب الرؤيا وفيه أما الرجل

الاول الذى أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فانه رجل يأخذ القرآن فيرفضه و ينام عن الصلاة المكتوبة
قال ابن أبي جمرة رضى الله عنـه فى هذا الحديث من الفقه جواز جلوس الامام فى مصـلاه اذا أدار وجهه الى الجماعة وان هذا هو السنة لامايراه بعض من ينسب الى التشديد فى الدين من الأئمة حتى انه يقوم من حين فراغه من صلاته كانما ضرب بشئ يؤله ويجعل ذلك من الدين و يفوته بذلك خيران أحدهما استغفار الملائكة له مادام فى مصلاه الذى صلى فيه مالم يحدث يقولون اللهم اغفرله اللهم ارحمه والثانى مخالفته لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى هى نص فى الحديث حيث قال كان اذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه ليس الاول يذكر انه قام ولو قام لاخبر به لانهم رضى الله عنهم باقل من هذا من فعله يخبرون به وعلى هـذا أدركت بالاندلس كل من لقيت من الائمة المقتدى بهم فى غالب الامر يقبلون بوجوههـم على الجماعة من غير قيام (قلت) وهذا الذى قاله رضى الله عنـه هو الصواب الذى لامحيد عنه وعليه أدركنا الائمة فى الجوامع المعظمة وفى صحيح مسـلم عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقوم من مصلاه الذى يصلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس الحديث وهذا نص جلى موافق لما تقدم (قلت) وحديث سمرة بن جندب المتقدم ذكره جماعة وفى بعض طرقه زيادات فى طريق فانطلقت معهما فاتينا على رجل مستلق على قفاه واذا آخر عليه بكلوب من حديد واذا هو يأخذ أحد شقى وجهه فيشرشر شدقه الى قفاه وعينه الى قفاه ومنخره الى قفاه الحديث وفيه فانطلقت معهما فاتينا على بيت مبنى مثل بناء التنور اعلاه ضيق وأسفله واسع الحديث وفيـه فانطلقنا فاتينا على رجل كريه المرآى كأكره ماأنت رائى رجلا واذا هو عنـده نار يحشها و يسـعى حولها فقلت لهما ماهذا وفيه فانطلقنا فاتينا على روضة خضراء منعمة فيها من كل لون نور الربيع واذا شجرة عظيمة الحديث وفيه وأما الذى أتيت عليه يشرشر شدقه وعينه ومنخره الى قفاه فانه رجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة الحديث وفيه وأما الرجل الذى عند النار الكريه المرآى فانه مالك خازن النار وفيه قال فسما بصرى صـعدا فاذا قصر مثـل الربابة البيضـاء قالا لى هاهو ذا منزلك وأنا جبريل وهـذا ميكائيل فقلت بارك الله فيكما أدخل دارى فقالا انه قد بقى لك عمر لم تستكمله ولو استكملته دخلت دارك (قلت) والربابة السحابة قال الزبيدى والرباب السحاب واحدته ربابة

﴿ باب جامع فى أرواح الشهداء وغيرهم واختلاف أحوالهم بحسب اختلاف مقاماتهم عند الله سبحانه وكم عدد الشهداء ﴾

ولما تكلم ابن عطية على قوله سبحانه ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون الآية قال أخبر الله سبحانه عن الشهداء انهم فى الجنة احياء يرزقون وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله يطلع على الشهداء فيقول ياعبادى ماتشتهون فازيدكم فيقولون ياربنا لافوق ماأعطيتنا هـذه الجنة نأكل منها حيث نشاء لكنا نريد أن تردنا الى الدنيا فنقاتل فى سبيلك فنقتل مرة أخرى فيقول سبحانه قد سبق انكم لاتردون قال الفخر والروايات فى هذا الباب كانها بلغت حد التواتر ثم قال بعض المفسرين أرواح الشهداء أحياء وهى تركع وتسجد تحت العرش الى يوم القيامـة (قلت) والعقيدة ان الارواح كلها احياء لافرق بين الشهداء وغيرهـم الا ماخص الله به الشهداء من زيادة المزية والحياة التى ليست بكيفية وفى صحيح مسلم عن مسروق قال سألنا عبد الله ابن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون

قال أما انا قد سألنا عن ذلك يعنى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال أرواحهم فى جوف طير خضر لها
قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم
اطلاعة فقال هل تشتهون شيأ قالوا أى شئ نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث نشاء ففعل بهم ذلك
ثلاث مرات فلما رأوا انهم لن يتركوا من أن يسئلوا قالوا يارب نريد أن ترد أرواحنا فى اجسادنا
حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى فلما رأى ان ليس لهم حاجة تركوا وروى ابن وهب باسناده عن
ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الشهداء على بارق نهر بباب الجنة
يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا قال القرطبى قال علماؤنا الشهداء طبقات مختلفة ومنازل
متباينة يجمعهم انهم يرزقون وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا وغدى
وريح عليه برزقه وهذا نص فى أن الشهداء مختلفوا الحال وسيأتى كم الشهداء ان شاء الله وقد روى
ابن المبارك بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما قال أرواح المؤمنين فى صور طير
كالزرازير يتعارفون يرزقون فى الجنة وفى رواية عن عبد الله بن عمرو انه سئل عن أرواح المسلمين
أين هى حين يتوفون فقال انها صور طير بيض فى ظل العرش وأرواح الكافرين فى الارض السابعة
الحديث قال القرطبى فهذه حجة من قال ان أرواح المؤمنين كلهم فى الجنة وقد قال بعض العلماء ان
أرواح المؤمنين كلهم فى جنة المأوى وانما قيل لها جنة المأوى لانها تأوى اليها أرواح المؤمنين وهى
تحت العرش فيتنعمون بنعيمها ويتنسمون بطيب ريحها وهى فى الجنة تسرح وتأوى الى قناديل
من نور تحت العرش وقد تقدم ان درجات المنعمين مختلفة بحسب تفاوتهم فى الاعمال وللآخرة
أكبر درجات وأكبر تفضيلا

﴿فصل﴾ وأما عدد الشهداء فهو كما نذكره فقد روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم
والشهيد فى سبيل الله عز وجل وقال حديث حسن صحيح وروى النسائى عن جابر رضى الله عنه
عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الشهداء سبعة سوى القتل فى سبيل الله المطعون والمبطون
والغرق والحرق وصاحب ذات الجنب والذى يموت تحت الهدم والمرأة تموت بجمع قيل هى التى تموت
من الولادة وولدها فى بطنها قد تم خلقه وقيل اذا ماتت من النفاس فهى شهيدة سواء ألقت ولدها
أم لا وقيل التى تموت بكرا وروى الترمذى وأبو داود والنسائى عن سعيد بن زيد رضى الله عنه قال
سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد
ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح
وروى النسائى من حديث سويد بن مقرن رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم من قتل
دون مظلمته فهو شهيد وروى الآجرى وغيره عن أبى مالك الاشجعى رضى الله عنه قال قال النبى
صلى الله عليه وسلم من فصل فى سبيل الله فمات أو قتل فهو شهيد أو وقصه فرسه أو بعيره أو لدغته
هامة أو مات على فراشه بأى حتف شاء الله انه شهيد وان له الجنة وأخرجه أبو بكر بن أبى شيبة
بمعناه عن عبد الله بن عتيك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى ابن ماجه عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم موت غربة شهادة وأخرجه الدارقطنى ولفظه
موت الغريب شهادة وذكره أيضا من حديث ابن عمر رضى الله عنهما وصححه وأخرجه أبو بكر
الخرائطى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات
غريبا مات شهيدا وخرجه أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه

وسلم من مات غريبا مات شهيدا وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا وروى الترمذى عن معقل بن يسار رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى وان مات من يومه مات شهيدا ومن قرأها حين يمسى فكذلك قال حديث حسن غريب وذكر الثعلبى عن يزيد الرقاشى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ آخر سورة الحشر الى آخرها لو أنزلنا هذا القرآن على جبل فمات من ليلته مات شهيدا وروى الآجرى عن أنس رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم يا أنس ان استطعت أن تكون أبدا على وضوء فافعل فان ملك الموت اذا قبض روح العبد وهو على وضوء كتب له شهادة وروى الشعبى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صلى الضحى وصام ثلاثة أيام من كل شهر ولم يترك الوتر فى حضر ولا سفر كتب له أجر شهيد وخرجه أبو نعيم وروى أبو عمر بن عبد البر فى كتاب فضل العلم من حديث أبى هريرة وأبى ذر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا جاء الموت طالب العلم وهو على حاله مات شهيدا قال وبعضهم يقول ليس بينه وبين الانبياء الا درجة واحدة وروى مسلم من حديث أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولو لم تصبه قال وعن سهل بن حنيف رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه وخرج الترمذى الحكيم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ليس من أحد الا وله كرائم من ماله يأبى لهم الذبح وان لله خلقا من خلقه يأبى لهم الذبح أقوام يجعل موتهم على فرشهم ويقسم لهم أجور الشهداء وروت عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان فناء أمتى بالطعن والطاعون قالت فقلت أما الطعن فقد عرفناه فما الطاعون فقال غدة كغدة البعير تخرج من المراق والاباط من مات منها مات شهيدا خرجه أبو عمر فى التمهيد والاستذكار

﴿فصل﴾ ومن الاحاديث الصحيحة فى فضل الشهداء ما رواه مالك فى الموطأ انه بلغه ان عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الانصاريين ثم السلميين كانا قد حفر السيل قبرهما وكان قبرهما مما يلى السيل وكانا فى قبر واحد وهما ممن استشهد يوم أحد فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما فوجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالامس وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين أحد وبين يوم حفر عنهما ستة وأربعون سنة قال أبو عمر فى التمهيد حديث مالك هذا يتصل من وجوه صحاح بمعنى واحد متقارب وعبد الله بن عمرو هذا هو والد جابر بن عبد الله وعمرو بن الجموح هو ابن عمه ثم أسند أبو عمر عن جابر رضى الله عنهما قال لما أراد معاوية ان يجرى العين بأحد نودى بالمدينة من كان له قتيل فليأت قتيله قال جابر فأتيناهم فاخرجناهم رطابا يتثنون فاصابت المسحاة أصبع رجل منهم فانفطرت دما قال أبو سعيد الخدرى لاينكر بعد هذا منكر أبدا وفى رواية فاستخرجهم يعنى معاوية بعد ست وأربعين سنة لينة اجسادهم تتثنى اطرافهم قال أبو عمر الذى أصابت المسحاة أصبعه حمزة رضى الله عنه ثم أسند عن جابر قال رأيت الشهداء يخرجون على رقاب الرجال كانهم رجال نوم حتى اذا أصابت المسحاة قدم حمزة رضى الله عنه فانثعبت دما قال ابن عطية والشهادة ماحية لكل ذنب الا مظالم العباد وقد روى ان الله عز وجل يحمل عن الشهيد مظالم العباد ويجازيهم عنه اللهم اختم لنا بما ختمت به

الشهداء واجعلنا منهم بفضلك قال شاكر بن مسلم قال ابن حبيب قال مالك لما انهدم الجدار الذى فيه قبر النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضى الله عنهما فى مسجده وكانت رجل عمر رضى الله عنه قد انتهت الى رأس الجدار من ناحية الشرق فانكشفت رجله فلقد رأيت رجله صحيحة سالمة كما كانت اذ دفنت يستبين عليها أثر شراك النعل وذلك فى خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ثمان وثمانين من الهجرة وعمر بن عبد العزيز يومئذ أمير على المدينة

﴿ باب ماشوهد للموتى فى قبورهم ﴾

روى أبو هدبة ابراهيم بن هدبة قال حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم تبع جنازة فلما صلى عليها دعا بثوب فبسط على القبر وهو يقول لاتطلعوا فى القبر فانها امانة فلعسى يحل العقد فيرى حية سوداء متطوقة فى عنقه فانها امانة واهله يؤمن به فيسمع صوت السلسلة قال القرطبى ولقد أخبرنى صاحبنا أبو عبدالله محمد بن أحمد القصرى رحمه الله انه توفى بعض الولاة بقسطنطينية فحفر له فلما فرغوا من الحفر وأرادوا أن يدخلوا الميت القبر اذا بحية سوداء داخل القبر فهابوا ان يدخلوه فيه فحفروا له قبرا آخر فلما أرادوا ان يدخلوه اذا بتلك الحية فيه فلم يزالوا يحفرون له نحوا من ثلاثين قبرا واذا بتلك الحية تعترض لهم فى القبر الذى يريدون ان يدفنوه فيه فلما أعياهم ذلك سألوا مايصنعون فقيل لهم ادفنوه معها نسئل الله العافية والمعافاة فى الدين والدنيا والآخرة اللهم عاملنا بالستر فى الدارين وأجعلنا من خير الفريقين آمين (قلت) قال السمرقندى وروى عن عبد الحميد ابن محمود أنه قال كنت جالسا عند ابن عباس رضى الله عنهما اذ أتاه قوم فقالوا له خرجنا حجاجا ومعنا صاحب لنا حتى أتينا الى ذى الصفاح فمات فجهزناه جهاز الميت ثم انطلقنا نحفر له القبر فاذا نحن باسود قد ملأ اللحد يعنى حية فتركنا القبر وحفرنا له مكانا آخر فاذا نحن باسود قد ملأ القبر فتركناه وحفرنا له ثالثا فاذا نحن باسود قد ملأ القبر فتركناه وأتيناك فقال لهم ابن عباس ذلك الغل الذى يغل به انطلقوا به وأدفنوه فى بعضها فوالله لو حفرتم له الارض كلها لوجدتموه فيها وأخبروا قومه قالوا فانطلقنا الى أهله بعد مادفناه فى بعضها بمتاع كان له معنا فقلنا لامرأته ما كان عمل زوجك قالت كان يبيع الطعام تعنى الحنطة وكان يأخذ منه كل يوم قوته ويأخذ من الحثالة مثله فيلقيه فيه قال السمرقندى وفى هذا دليل على ان الخيانة أى والغش سبب لعذاب القبر

﴿ باب ماجاء ان البهائم تسمع عذاب القبر ﴾

وقد تقدم من قول النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنازة يسمع صوتها كل شئ الا الانسان ولو سمعه الانسان لصعق وفى صحيح مسلم بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى حائط لبنى النجار على بغلة له اذجادت به فكادت تلقيه واذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال من يعرف أصحاب هذه الاقبر فقال رجل انا قال فمتى مات هؤلاء قال ماتوا فى الاشراك فقال ان هذه الامة تبتلى فى قبورها فلولا ان لاتدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع ثم قال تعوذوا بالله من عذاب القبر الحديث وفيه أيضا من حديث عائشة رضى الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم ان أهل القبور يعذبون عذابا تسمعه البهائم قال عبد الحق حدثنى الفقيه أبو الحكم بن برجان وكان من أهل العلم والعمل رحمه الله انهم دفنوا ميتا بقريتهم من شرق أشبيلية فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريبا منهم واذا بالدابة أقبلت مسرعة الى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تستمع ثم ولت فارة ثم عادت الى القبر فجعلت أذنها عليه كانها تستمع ثم ولت فارة كذلك فعلت ذلك مرة بعد أخرى قال أبو الحكم رحمه الله

فذكرت

قد كرت عذاب القبر وقول النبي صلى الله عليه وسلم انهم ليعذبون عذابا تسمعه البهائم والله عز وجل أعلم بما كان من أمر ذلك الميت (قلت) وحدثني من أثق به عن بعض الطلبة الاخيار قال مات وزير من الوزراء فدفن في مدفن كان معدا للملوك ببناء المدرسة قال فلما كان في جوف الليل ونام الناس فاذا أنا أسمع بحس ضربه وهو يعوى كالكلب قال ثم أخرجوه بتابوته على وجه الارض وهم يضربونه وهو يعوى ويجرون التابوت قال وأنا أسمع وكاد عقلي يزايلني ثم انهم صعدوا بتابوته يجرونه في الدرج قال واذا بالحس يقرب فدق على الباب وقال لي قائل نم نم هذا فلان يعذب أوكما قال ثم رجعوا به وهم يضربونه قال فبت في فزع وكرب لايعلمه الا الله وماقدرت على النوم حتى أذن مؤذن الصبح وانتشر الناس للوضوء فمت الى أن تبين لي الضوء فقمت للصلاة فلما طلع النهار ومشيت الى شيخ صالح كان ساكنا معنا في المدرسة فدخلت عنده فشرعت في الكلام وقلت له ياسيدي بت في كرب فقال لي اسكت قضية فلان عرفتها أو كما قال نسئل الله سبحانه النجاة من هذه الآفات ومن ارتكاب السيآت الموجبات لهذه العقوبات قال أبو محمد عبد الحق وروى ان بعض النباشين نبش ذات ليلة قبرا فلما كشف عن الميت فاذا بنار تحرق الميت فأهوت اليه منها شرارة فهرب وتاب الى الله عز وجل وروى عن أبي بكر بن أبي الدنيا عن بعض أصحابه أنه قال لنباش بعد توبته ماسبب توبتك ورجوعك الى الله عز وجل قال نبشت انسانا فوجدته قد سمر بمسامير في جميع جسده ومسمار كبير في رأسه وآخر في رجليه وقيل لآخر ما كان سبب توبتك فقال رأيت جمجمة انسان قد صب فيها الرصاص وقد جاء في الصحيح من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون أوهم يفرون به منه صب في أذنه الانك يوم القيامة رواه البخاري ولعل هذا ممن كان يفعل ذلك (قلت) حدثني بعض الاخوان وكان مسنا فقلت له اخبرني عن أغرب مارأيت في عمرك من أحوال الآخرة فقال لي اغرب مارأيت بارض النوبة انادفنا انسانا فلما فرغنا من دفنه وانقلبنا عنه واذا نحن بالنار قد خرجت على وجه القبر نجانا الله من عذابه عنه

﴿ باب ماجاء في زيارة القبور والسلام على أهلها وقراءة القرآن والدعاء لهم والصدقة عليهم وان ذلك كله يصل اليهم وان الميت يعرف من زاره و يستأنس به ﴾

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله وقال استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الموت وروى ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة وزيارة القبور للرجال متفق عليه وأما النساء فيباح للقواعد منهن ويحرم على الشواب اللواتي يخشى منهن الفتنة قال العلماء رحمهم الله تعالى عليهم ليس للقلوب أنفع من تذكار الموت وزيارة القبور وقيل لبعض الزهاد ماأبلغ العظات فقال النظر الى محلة الاموات قال الغزالي في الاحياء قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب بارا وعن ابن سيرين قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين وقال صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وقال من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة ويروى ان عائشة رضي الله عنها شكت اليها امرأة قسوة قلبها فقالت لها اكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت ذلك فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة ومن زار

القبور فليكف لسانه عن الفضول وقد روى النسائي عن بريدة بن حصيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن يزور قبرا فليزره ولاتقولوا هجرا قال الغزالي ولاينبغي أن يتمسك بالامر بزيارة القبور فيؤذن للنساء في الخروج الى المقابر فانهن يكثرن الهجر على رؤس المقابر فلايفي خير زيارتهن بشرهن ولا يخلون في الطريق عن تكشف وتبرج فهذه عظائم والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لاجلها نعم لابأس بخروج المرأة في ثياب بذلة ترد أعين الرجال الناظرين عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر (قلت) وما قاله الغزالي رحمه الله تعالى هو عين الصواب لا ينبغي ان يختلف فيه قال الغزالي وقال أبو ذر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر بها الآخرة وصل على الجنائز لعل ذلك ان يحزنك فان الحزين في ظل الله سبحانه الحديث وروى أبو نعيم في حليته عن يونس بن ميسرة أنه قال مكتوب في اللوح المحفوظ بين يدى الله تعالى انى أنا الله لا اله الا أنا الرحمن الرحيم أرحم وأترحم سبقت رحمتي غضبي وعفوي عقوبتي وآذنت لمن جاء بواحدة من اثنتين وثلاثمائة شريعة ان أدخله جنتي قال أبو نعيم وكان يونس بن ميسرة يمر على المقابر يوم الجمعة ثم يبكى فسمع قائلا يقول هذا يونس قد هجر تحجون وتعتمرون كل شهر وتصلون كل يوم خمس صلوات أنتم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل قال فالتفت يونس فسلم فلم يردوا عليه فقال سبحان الله أسمع كلامكم وأسلم فلا تردون قالوا قد سمعنا كلامك ولكنها حسنة وقد حيل بيننا وبين الحسنات والسيئات

﴿فصل﴾ وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه أن رجلا قال يارسول الله أين أبي قال في النار فلما قفى دعاه قال أبي وأبوك في النار وفي حديث مسلمة بن يزيد الجعفي فلما رأى مادخل علينا قال وأمي مع أمكما قال القرطبي وقد خرج أبو بكر الخطيب في كتاب السابق واللاحق وأبو حفص عمر ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ له حديثا باسناد لهما عن عائشة رضى الله عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه نزل فقال ياحميرا استمسكي فاستندت الى جنب البعير فمكث طويلا مليا ثم انه عاد الي صلى الله عليه وسلم وهو فرح متبسم فقلت له بأبي وأمي يارسول الله نزلت من عندى وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك يارسول الله ثم انك عدت الي وأنت فرح متبسم فعم ذا يارسول الله فقال ذهبت بقبر آمنة أمي فسألت الله ربي أن يحييها فأحياها فآمنت بي أوقال فآمنت وردها الله عز وجل وهذا لفظ الخطيب وقد ذكر السهيلي في الروض الانف باسناد فيه مجهولون ان الله تعالى أحيا له أباه وأمه وآمنا به قال القرطبي ولا تعارض والحمد لله بين هذا وبين ماتقدم لمسلم لان حديث احيائهما متأخر بدليل حديث عائشة ان ذلك في حجة الوداع وكذلك جعله ابن شاهين ناسخا لما تقدمه من الاخبار وذلك ان فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتتابع الى حين مماته صلى الله عليه وسلم فيكون هذا مما فضله الله تعالى به وأكرمه وليس احياؤهما وايمانهما به بممتنع عقلا ولا شرعا فقد ورد في القرآن والاثر احياء قتيل بني اسرائيل واخباره بقاتله وكان عيسى صلى الله على نبينا وعليه يحيي الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أحيي الله تعالى له على يديه جماعة من الموتى واذا ثبت فما يمنع من ايمانهما بعد احيائهما زيادة في كرامته وفضيلته مع ماورد من الخبر في ذلك وقد قبل الله سبحانه ايمان قوم يونس وتوبتهم مع تلبسهم بالعذاب فيما ذكر في بعض الاقوال وهو ظاهر القرآن

﴿فصل﴾ قال القرطبي ينبغي لمن عزم على زيارة القبور ان يتأدب بآدابها ويحضر قلبه في

اتيانها ولايكون حظه منها التطواف على الاجداث فقط فان هذه حالة تشاركه فيها البهيمة بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى واصلاح قلبه ونفع الميت بدعائه وما يتلوعليه من القرآن على ماسيأتى ان شاء الله تعالى وسلم اذا دخل المقابر ويخاطبهم خطاب الحاضرين فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون رواه أبو داود وكذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول وكنى بالدار عن عمارها واذا وصل الى قبر ميته الذى كان يعرفه سلم عليه أيضا ويأتيه من تلقاء وجهه ثم يعتبر بمن صارتحت التراب وانقطع عن الاهل والاحباب قال أبو محمد عبد الحق روى أبو عمر بن عبد البر عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مامن رجل مر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام ويروى هذا أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه موقوفا فان لم يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام ويروى من حديث عائشة رضى الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده الا استأنس به حتى يقوم وكل ماجاء من الاحاديث بالسلام على الموتى تدل على ان الميت يعرف سلام من سلم عليه ودعاء من دعا له (قلت) رأيت حكاية لبعضهم وهى فى الاحياء للغزالى قال أبو حامد قال رجل من آل عاصم الجحدرى رأيت عاصما فى منامى بعد موته بسنين فقلت له أليس قدمت قال بلى فقلت مافعل الله بك وأين أنت فقال لى أنا والله فى روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبدالله المزنى فنتلاقى كما يتلاقى أحياؤكم وفى رواية فنتلقى أخباركم فقلت له أجسامكم ام ارواحكم فقال هيهات بليت الاجساد وانما تتلقى الارواح فقلت هل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعلم بها عشية الخميس ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون الايام كلها قال لفضل الجمعة وعظمها وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو أخرت الى الاثنين فقال بلغنى ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك من زارقبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل له وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة انتهى كلام الغزالى قال القرطبى وقد قيل ان الارواح تزور قبورها كل جمعة على الدوام ولذلك يستحب زيارة القبور ليلة الجمعة ويوم الجمعة وبكرة السبت فيما ذكر العلماء قال ابن رشد فى البيان والتحصيل وقد جاء فى الارواح انها بافنية القبور وانها تطلع رموسها وان أكثر اطلاعها يوم الخميس وليله الجمعه وليلة السبت (قلت) والحكايات فى هذا الباب كثيرة ومما وقع ببجاية فى عام أربعة وثمانمائة وكنت اذ ذاك بها ان رجلا من الاكابر توفى واسمه سعيد العلمى فحدثنى من أثق به عشية دفنه أنه قال له يوما يافلان خرجت من باب السور ومررت بقبر أخيك فسلمت عليه فأجابنى وقال لى عليكم السلام ياسعيد ياعلمى ومن كرامات هذا الرجل ماحدثنى عنه الثقة أنه قال له كنت ضيفا بالبادية فصليت المغرب وجلست أتلو سورة يس وبازائى قبر فاذا صاحب القبر قد خرج من قبره وجلس بازائى يستمع قراءتى قال فبقى كذلك يستمع قراءتى الى أن صاح بى صاحب المنزل للطعام فلما سمع الصياح رجع الى قبره والحكايات كثيرة فى هذا الباب واياك ان تنكر شيأ من حكايات أولياء الله سبحانه فتجمع بين افلاسك منها والتكذيب لها

﴿فصل﴾ قال القرطبى وروى من حديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل المقابر فقرأ بسورة يس خفف عنهم وكان له بعدد من فيهم حسنات فاجتهد رحمك الله قبل الموت وأنشدوا

أمر على المقابر كل حين * ولا أدرى باى الارض قبرى

وأفرح بالغنا ان زادمالي * ولاأبكي على نقصان عمري

قال عبد الحق روى النسائي عن معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اقرؤا يس عند موتاكم وهذا يحتمل ان تكون هذه القراءة عند الموت في حال موته ويحتمل أن تكون عند قبره ويروى عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه أمر ان يقرأ عند قبره سورة البقرة وقد روى اباحة قراءة القرآن عند القبر عن العلاء بن عبد الرحمن ويروى أيضا ان أحمد بن حنبل رجع الى هذا بعد ما كان ينكره قال الغزالي وقال أحمد بن حنبل اذا دخلتم المقابر فاقرؤا فاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم قال القرطبي وقد خرج السلفي من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مر على المقابر وقرأ قل هو الله أحد احدى عشرة مرة ثم وهب أجره للاموات أعطى من الاجر بعدد الاموات وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال خير الناس وخير من يمشي على جديد الارض المعلمون كلما خلق الدين جددوه اعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم فان المعلم اذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة للمعلم وبراءة لابويه من النار ذكره الثعلبي قال القرطبي أصل هذا الباب الصدقة التي لااختلاف فيها فكما يصل للميت ثوابها فكذلك يصل اليه قراءة القرآن والدعاء والاستغفار اذ كل صدقة فان الصدقة لاتختص بالمال وقد قال صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصر الصلاة حالة الامن انها صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وقال صلى الله عليه وسلم يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى ولهذا استحب العلماء زيارة القبور لان القراءة تحفة للميت من زائره (قلت) وقد ألف الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن قاسم بن علي الجذامي تأليفا حسنا في أن ثواب القرآن وغيره كالصوم والحج يصل الى الموتى قال وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه رواه مسلم وغيره وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل خرجه مسلم وغيره وذكر ابن الاعرابي من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الناس أنفعهم للناس واسناده حسن وأحق الناس وأحوجهم الى منفعة أخيه ومعونته من قد مات لانه عاين ماوصل اليه من تفريطه فلو أمكنه الرجوع لاصلاح حاله واستدراك مافاته لرجع ولذلك ورد في الخبر المعروف الذي رواه الترمذي وغيره أنه ليس من أحد يموت الا ويندم فالمحسن يندم ان لم يكن زاد في احسانه والمسيء يندم على اساءته وهذه الاخبار وان كانت عموما في الميت والحي فالميت أحق لاحتياجه لمنفعة أخيه اياه وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الآيات من تأليفه باسناد صحيح ان ثابتا البناني دخل هو ورجل آخر على مطرف بن عبد الله بن الشخير يعودانه فوجداه مغمى عليه قال ثابت فسطع ثلاثة أنوار أولها من رأسه وأوسطها من وسطه وآخرها من رجليه قال فهالنا ذلك قال فلما أفاق قلنا له كيف أنت يا أبا عبد الله لقد رأينا شيأ هالنا قال وما هو فاخبرناه قال ورأيتم ذلك قلنا نعم قال تلك تنزيل السجدة وهي تسع وعشرون آية سطع أولها من رأسي وأوسطها من وسطي وآخرها من رجلي قد صعدت تشفع لي وهذه سورة تبارك تحرسني قال فمات رحمه الله وذكر أيضا نحو ذلك عن مورق العجلي قال عدنا رجلا قد أغمي عليه فخرج نور من رأسه حتى أتى السقف فخرقه فمضى ثم خرج نور من سرته حتى فعل مثل ذلك وآخر من رجليه ثم أفاق فقلنا له هل علمت بما كان منك قال نعم أما النور

الذى خرج من رأسى فاربع عشرة آية من أول الم تنزيل السجدة وأما النور الذى خرج من سرتى فا آية السجدة وأما النور الذى خرج من رجلى فانه آخر سورة السجدة ذهبن يشفعن لى و بقيت تبارك عندى تحرسنى وكنت أقرأهما كل ليلة قال محمد بن قاسم وهذا وان كان فى حق من قرأهما لنفسه فقد أخبرنا الشارع أنه لافرق بين ماينفع به المرء نفسه أو غيره اذا قصد نفعه وسواء فى ذلك الدعاء والقراءة وغير ذلك أو يفعل المؤمن من ذلك مايفعل ثم يهب ماوعده الله تعالى عليه من الاجور لمن شاء وقد قال بالقراءة على الميت علماء جلة كعمر بن الخطاب رضى الله عنه أجازها وأوصى بها فى حق نفسه ان تفعل عليه وكذلك العلاء بن الحلاج وأمر بها أحمد بن حنبل وأجازها أيضا أبو سليمان الخطابى ولا اعلم لمن منع منها حجة الا قوله تعالى وأن ليس للانسان الا ماسعى ولاحجة له فيها وقد اختلف الناس فى هذه الآية هل هى منسوخة أو محكمة فقال ابن عباس رضى الله عنهما هى منسوخة بقوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم قال فادخل الله سبحانه الابناء بصلاح الآباء الجنة رواه أبو داود فى ناسخ القرآن ومنسوخه باسناد حسن عنه وحكاه عنه أيضا مكى فى الهداية بنحوه قال وهو اختيار الطبرى وقد روى أبو نعيم حديث ابن عباس فى حلية الاولياء بنحوه واتبع هذا القول هبة الله فى الناسخ والمنسوخ من تأليفه وذكر نسخها بقوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الآية وزاد ولولا هذه الآية لبطلت الشفاعة وقال قوم هى محكمة ثم اختلفوا فمنهم من زعم أنها مخصوصة فى رجل كافر يريد انها فى عمل الكافر وليست فى عمل المسلم فى الخير وقال آخرون بل هى عامة وهى فى الاعمال السيئة أى ان الاعمال السيئة هى التى يجازى عليها بغير زيادة ويكون المعنى وان ليس على الانسان مثل قوله تعالى وان أسأتم فلها وهذا حسن ووجه آخر أن الآية يجوز أن تكون خبرا عن شريعة ابراهيم وموسى وانه سبحانه أخبر أن تلك الامم ليس لهم الا ماسعوا فيه وخصت هذه الامة بوصول النفع اليهم من سعى غيرهم تفضلا من الله سبحانه وفى الآية تأويلات غير ماذكر

﴿فصل﴾ قال القرطبى قال الحسن من دخل المقابر فقال اللهم رب هذه الاجساد البالية والعظام النخرة خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحا منك وسلاما منى الا كتب له بعددهم حسنات وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ماالميت فى قبره الا كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديق له فاذا لحقته كانت أحب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الاحياء للاموات الدعاء والاستغفار وقد حكى ان امرأة جاءت الى الحسن البصرى رحمه الله فقالت ان ابنتى ماتت وقد أحببت ان أراها فى المنام فعلمنى صلاة أصليها لعلى أراها فعلمها صلاة فرأت ابنتها وعليها لباس القطران والغل فى عنقها والقيد فى رجلها فارتاعت لذلك فاخبرت الحسن فاغتم عليها فلم تمض مدة حتى رآها الحسن فى المنام وهى فى الجنة على سرير وعليها تاج فقالت له ياشيخ أما تعرفنى قال لا قالت أنا تلك المرأة التى علمت أمى الصلاة فرأتنى فى المنام قال فما سبب أمرك قالت مر بمقبرتنا رجل فصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وكان فى المقبرة خمسمائة وستون انسانا فى العذاب فنودوا ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل وقال بعضهم مات أخ لى فرأيته فى المنام فقلت ما كان حالك حين وضعت فى قبرك قال أتانى آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لى لرأيت انه سيضرب بى به والحكايات عن الصالحين بهذا المعنى كثيرة وقد ذكر فى هذا المعنى أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة فى كتاب عيون الاخبار له حكاية فيها طول رأينا ذكرها لاشتمالها على وعظ وتذكير وتخويف وتحذير وتضرع وابتهال ودعاء بالموت والانتقال قال روى عن الحارث بن نبهان أنه قال كنت أخرج

الى الجبانات أترحم على أهل القبور وأتفكر وأعتبر وأنظر اليهم سكوتا لايتكلمون وقد صار لهم
من بطن الارض وطاء ومن ظهرها غطاء وأنادى ياأهل القبور محيت من الدنيا آثاركم وما محيت
عنكم أو زاركم وسكنتم دار البلى فتورمت أقدامكم قال و يبكى بكاء شديدا ثم يميل الى قبة فيها قبر
فينام فى ظلها قال فبينما أنا نائم الى جانب القبر اذا أنا بحس مقمعة يضرب بها صاحب القبر وأنا
أنظر اليه والسلسلة فى عنقه وقد از رقت عيناه واسود و جهه وهو يقول ياو يلى ماذا حل بى لو رآنى
أهل الدنيا ماركبوا معاصى الله أبدا طولبت والله باللذات فأو بقتنى وبالخطايا فاغرقتنى فهل من شافع
أو مخبر أهلى بامرى قال الحارث فاستوقظت مرعو با وكاد أن يخرج قلبى من هول مارأيت فمضيت
الى دارى و بت ليلتى وأنا متفكر فيما رأيت فلما أصبحت قلت دعنى أعود الى الموضع لعلى أجد به
أحدا من ز وار القبور فاعلمه بالذى رأيت قال فمضيت الى المكان الذى كنت به بالامس فلم أر أحدا
فاخذنى النوم فنمت فاذا أنا بصاحب القبر وهو يسحب على و جهه و يقول ياو يلتاه ماذا حل بى
ساء فى الدنيا عملى وطال فيها أملى حتى غضب على رب الار باب فالويل لى ان لم يرحمنى ربى قال
الحارث فاستيقظت وقد توله عقلى مما رأيت وسمعت فمشيت الى دارى وبت ليلتى فلما أصبحت أتيت
القبر لعلى أجد أحدا من ز وار القبور فاعلمه بما رأيت ثم نمت فاذا أنا بصاحب القبر قد قرن بين
قدميه وهو يقول ماأغفل أهل الدنيا عنى ضوعف على العذاب وتقطعت عن الحيل والاسباب وغضب
على رب الار باب وغلق فى وجهى كل باب فالو يل لى ان لم يرحمنى ربى العز يز الوهاب قال الحارث
فاستيقظت من منامى مرعوبا وهممت بالانصراف فاذا أنا بثلاث جوار قد أقبلن فتباعدت لهن عن
القبر وتواريت لكى أسمع كلامهن فتقدمت الصغرى و وقفت على القبر وقالت السلام عليك ياأبتاه
كيف هدوك فى مضجعك وكيف قرارك فى موضعك ذهبت عنا بوجهك وانقطع عنا سؤالك فما أشد
حزننا عليك ثم بكت بكاء شديدا ثم تقدمت الاثنتان فسلمتا على القبر ثم قالتا هذا قبر أبينا الشفيق
علينا والرحيم بنا نسأل الله بملائكة رحمته وصرف عنك عذابه ونقمته ياأبانا جرت بعدك أمور لو
عاينتها لاوهمتك ولو اطلعت عليها لاحزنتك كشف الرجال وجوهنا وقد كنت أنت سترتها قال الحارث
فبكيت لما سمعت كلامهن ثم قمت مسرعا اليهن فسلمت عليهن وقلت لهن أيها الجوارى ان الاعمال
ربما قبلت و ربما ردت على صاحبها فما كان عمل أبيكن الخلد فى هذا القبر الذى عاينت من أمره
ماأحزننى واطلعت من حاله على ماألمنى قال الحارث فلما سمعن كلامى كشفن وجوههن وقلنا أيها
العبد الصالح وما الذى رأيت قلت لهن لى ثلاثة أيام وأنا أختلف الى هذا القبر أسمع صوت المقمعة
والسلسلة فيه قال فلما سمعن ذلك منى قلن بشارة ماأضرها ومصيبة ماأحزنها نحن نقضى الاوطار
ونعمر الديار وابونا يحرق بالنار فوالله لاقر بنا قرار ولا ضمنا لذة العيش دار ونتضرع للجبار فلعله
أن يعتق أبانا و ينقذه من النار ثم مضين يعسرن فى اذيالهن قال الحارث فمضيت الى دارى و بت
ليلتى فلما أصبحت أتيت القبر فجلست عنده فغلبنى النوم فنمت فاذا أنا بصاحب القبر له حسن وجمال
وفى رجليه نعلان من ذهب ومعه حور وغلمان قال الحارث فسلمت عليه وقلت له رحمك الله من أنت
فقال أنا الرجل الذى عاينت من أمرى ماأحزنك وأطلعت منه على ماأفجعك فجزاك الله خيرا فما أيمن
طلعتك على فقلت له وكيف حالك فقال لى لما اطلعت على وأخبرت بناتى بالامس بحالى أعرين
أبدانهن وأسبلن شعورهن وتضرعن لمولاهن ومرغن خدودهن فى التراب وأهملن دموعهن
بالانسكاب واستوهبننى من العز يز الوهاب فغفرلى الذنوب والاو زار وأنقذنى من النار وأسكننى دار
القرار بجوار محمد المختار فاذا رأيت بناتى فاعلمهن بامرى وما كان من قصتى ليزول عنهن روعهن و يفارقن

حزنهن وتعلمهن انى قد صرت الى جنات وحور ومسك وكافور وعندى غلمان وسرور وقد عفا عنى العزيز الغفور قال الحارث فاستيقظت فرحا مسرورا بما رأيت وسمعت ثم مضيت الى دارى وبت ليلتى فلما أصبحت أتيت القبر فوجدتهن حافيات الاقدام فسلمت عليهن وقلت أبشرن قد رأيت أباكن فى خير عظيم وملك عظيم وقد أعلمنى ان الله أجاب دعاءكن ولم يخيب مسعاكن وقد وهب لكن أباكن فاشكرنه على ما أولاكن قال فقالت الصغرى اللهم يامؤنس القلوب ويا ساتر العيوب ويا كاشف الكروب ويا غافر الذنوب ويا عالم الغيوب ويا مبلغ الامل المطلوب قد علمت ما كان من مسئلتى ورغبتى واعتذارى فى خلوتى واستقالتى من زلتى وتنصلى من خطيئتى وأنت اللهم تعلم همتى والمطلع على نيتى والعالم بطويتى ومالك رقبتى والآخذ بناصيتى وغايتى فى طلبتى ورجائى عند شدتى ومؤنسى فى وحدتى وراحم عبرتى ومقيل عثرتى ومجيب دعوتى فان كنت قصرت عما أمرتنى وركنت الى ما عنه نهيتنى فحلمك حلنى وبسترك سترتنى فبأى لسان أذكرك وعلى أى نعمة أشكرك ضاق بكثرتها ذرعى فيا أكرم الاكرمين ومنتهى غاية الطالبين ومالك يوم الدين الذى يعلم ما أخفى فى الضمير ويدبر أمر الصغير والكبير فان كنت قضيت الحاجة بفضلك وشفعتنى فى عبدك فاقبضنى اليك انك على كل شئ قدير ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا رحمة الله عليها قال ثم قامت الثانية فنادت بأعلى صوتها يارب يارب فرج كربتى وخلص من الشك قلبى يامن أقامنى من صرعتى وأقالنى من عثرتى ودلنى من حيرتى وأعاننى فى شدتى ان كنت قبلت دعوتى وقضيت حاجتى وأنجحت طلبتى فالحقنى بأختى ثم صاحت صيحة فارقت الدنيا رحمة الله عليها قال ثم قامت الثالثة فنادت بأعلى صوتها ياأيها الجبار الاعظم والملك الاكرم والعالم بمن سكت وتكلم لك الفضل العظيم والملك القديم والوجه الكريم فالعزيز من أعززته والذليل من أذللته والشريف من شرفته والسعيد من أسعدته والشقى من أشقيته والقريب من أدنيته والبعيد من أبعدته والمحروم من أحرمته والرابح من أوهبته والخاسر من عذبته أسئلك باسمك العظيم ووجهك الكريم وعلمك المكنون الذى بعد عن ادراك الافهام وغمض عن مناولة الاوهام وباسمك الذى جعلته على الليل فدجا وعلى النهار فاضاء وعلى الجبال فتدكدكت وعلى الرياح فتناشرت وعلى السموات فارتفعت وعلى الاصوات فخشعت وعلى الملائكة فسجدت اللهم انى أسئلك ان كنت قضيت حاجتى وأنجحت طلبتى فالحقنى بصواحباتى ثم صاحت صيحة فارقت الدنيا رحمة الله عليها وعلى جميع المسلمين

﴿فصل﴾ قال أبو محمد عبد الحق حدثنى أبو الوليد اسماعيل بن أحمد عرف بابن فرقد وكان هو وأبوه صالحين معروفين قال لى أبو الوليد مات أبى رحمه الله فحدثنى بعض اخوانه ممن يوثق بحديثه قال لى زرت قبر أبيك فقرأت عليه حزبا من القرآن ثم قلت له يافلان هذا قد أهديته لك فماذا لى قال فهبت على نفحة مسك غشيتنى وأقامت معى ساعة ثم انصرفت وهى معى فما فارقتنى الا وقد مشيت نصف الطريق وقال القرطبى رحمه الله ولا يبعد فى كرم الله أن يلحق الميت ثواب القراءة والاستماع جميعا ويلحقه ثواب ما يهدى اليه من قراءة القرآن وان لم يسمعه كالصدقة والدعاء والاستغفار لان القرآن دعاء واستغفار وتضرع وابتهال وما تقرب المتقربون الى الله سبحانه بشئ مثل القرآن وأما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فقيل عن ابن عباس انها منسوخة وقال الربيع بن أنس وان ليس للانسان الا ما سعى يعنى الكافر وأما المؤمن فله ما سعى وما يسعى له غيره قال القرطبى وكثير من الاحاديث تدل على هذا القول وتشهد له وان المؤمن يصل اليه ثواب العمل الصالح وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم من مات وعليه صيام صام عنه وليه وقال صلى الله عليه وسلم

الذى حج عن غيره قبل أن يحج عن نفسه حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة و روى ان عائشة رضى الله عنها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن بعد موته وأعتقت عنه وقال سعد للنبى صلى الله عليه وسلم ان أمى توفيت أفأ أتصدق عنها قال نعم قال فأى الصدقة أفضل قال سقى الماء وفى الموطأ عن عبد الله بن أبى بكر عن عمته انها حدثته عن جدته انها جعلت على نفسها مشيا الى مسجد قبا فماتت ولم تقضه فافتى عبد الله بن عباس أن تمشى عنها وقد ذكر الخرائطى قال سنة فى الانصار اذا حملوا الميت ان يقرؤا معه سورة البقرة ولقد أحسن من قال

زر والديك وقف على قبريهما * فكأننى بك قد حملت اليهما
وقرأت من آى الكتاب بقدرما * تسطيعه وبعثت ذاك اليهما

قال القرطبى وانما أطلت النفس فى هذا الباب لان الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام كان يرى انه لا يصل الى الميت مايقرأ محتجا بالآية المقدمة وان ليس للانسان الا ماسعى فلما توفى رحمه الله رآه بعض أصحابه فقال له انك كنت تقول انه لا يصل الى الميت ثواب القراءة فكيف الامر فقال له كنت أقول ذلك فى دار الدنيا والآن قد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله فى ذلك وانه يصل اليه ذلك وقد قدمنا فى الفصل قبل هذا فى وصول ثواب القرآن وغيره مافيه كفاية والذى أدركنا عليه مشايخنا بتونس والديار المصرية استحباب قراءة القرآن على الموتى وعلى القبور وحدثنا شيخنا أبو عبد الله الابى ان شيخه ابن عرفة ختم على زوجه ليلة ماتت قريبا من ختمة ونصف أو أزيد قال وكنا نقرأ عليها معه قال وكان يصلى عنها وذكر غيره انه كان له مولى صالحا يصلى عنه مجاورا لمكة وقد شاهدنا أحباسه على القراء بجامع الزيتونة

﴿فصل﴾ فى الصدقة قد تقدم انه لا خلاف فى وصول ثواب الصدقة الى الميت وروى أبو نعيم فى الحلية عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تصدقوا فان الصدقة فكاككم من النار وقد قدمنا عن أبى نعيم انه أسند الى أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال سبع يجرى أجرهما للعبد بعد موته وهو فى قبره من علم علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أوغرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته وتقدم انه خرجه ابن ماجه من حديث الزهرى انه قال حدثنى أبو عبد الله الاغر عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره أو ولدا صالحا تركه أو مصحفا ورثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله فى صحة تلحقه بعد موته (قلت) وقد تكلم أبو عبد الله محمد بن قاسم الجذامى على هذا الحديث وزاده وضوحا فقال قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة أشياء من صدقة جارية أو علم كان يبثه ينتفع به أو ولد صالح يدعو له قال وألحقنا به حديث ابن شهاب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يلحق الله بالميت ثمانية من العمل فذكر الثلاثة وأضاف اليها خمسة أحدها رجل أورث كتاب الله فله مثل أجر من قرأ به أى كتب مصحفا أو استأجر عليه أو اشتراه ثم خلفه من بعده قاصدا ان يقرأ فيه فله الاجر سواء حبسه أم لا ويدخل فى ذلك من أورث سنة النبى صلى الله عليه وسلم والثانى قوله ورجل أجرى نهرا أو أنبط عينا فله مثل أجر من ورد عليه يعنى له أجر فى شرب من شرب منه أو توضأ منه أو اغتسل أو غير ذلك من منافع الماء والثالث قوله ورجل غرس غرسا لا يصيب الطير ولا السباع ولا الذر ولا الدباب ولا ابن السبيل من ثماره شيأ الا كتب الله له به صدقة وفى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم

قال مامن مسلم يغرس غرسا الا كان ماأكل منه له صدقة وما سرق له منه صدقة وما أكل السبع فهوله صدقة وفى رواية مامن مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا الحديث الرابع قوله من بنى مسجدا فله مثل أجر من ذكر الله وصلى وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من بنى لله مسجدا بنى الله له مثله فى الجنة وروى من بنى مسجدا ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة الخامس رجل بنى بيتا لابن السبيل فله مثل أجور من سكن فيه فهذا يسوغ ان يقال فيه لما بناه لابن السبيل صار بمنزلة من حبسه فهو كحديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسيأتى ان شاء الله تعالى ومعنى قوله أجرى صدقة أى جعلت الصدقة فى أصل يتصدق من علته أو غره وخرج الطحاوى من حديث سهل بن معاذ أن من بنى بيتا فى غير ظلم ولا اعتداء أوغرس غرسا فى غير ظلم ولا اعتداء كان أجره جاريا ماانتفع به أحد من خلق الرحمن عز وجل ولم يذكر فى هذا الحديث انه قصد ببنيانه ابن السبيل ولا غيرهم الا انه بناه لانتفاعه به على ماشرط فكل من انتفع بشئ من ذلك فلصاحبه أجره حيا وميتا مادام ذلك ينتفع به وذكر أبو نعيم فى حليته عن الاوزاعى قال سألت محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم عن قوله عز وجل يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب فقال نعم حدثنيه أبى عن جده على بن أبى طالب قال سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا أبشرك بها ياعلى فبشر بها أمتى من بعدى الصدقة على وجهها واصطناع المعروف وبر الوالدين وصلة الرحم يحول الشقاء سعادة و يزيد فى العمر ويقى مصارع السوء وروى أبو نعيم عن بشر بن الحارث الحافى أنه كان يقول الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد ثم قال ذاك يركب و يرجع و يراه الناس وهذا يعطى سرا لايراه الا الله عز وجل وقد ذكر بعض العلماء وهو أبو الحسن بن سلمون انه قال من كثرت ذنوبه فعليه بكسب الضياع يعنى ان صاحب الضيعة لايخلو من أجور تدخل عليه باختياره وعلمه وقد تدخل بعلمه بغير اختياره وقد تدخل لا باختياره ولا بعلمه وأيضا فانها باقية الزمان الطويل فياعجبا وياسعادة لهذه الاحوال الميت اشلاء ممزعة فى قبره والاجور تترادف عليه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولئن شكرتم لازيدنكم نسئل الله ان يوزعنا شكر هذه النعم علينا وعلى جميع المسلمين ولنذكر حديث عمر رضى الله عنه الذى وعدنا به وقد روى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال قال عمر للنبى صلى الله عليه وسلم ان المائة سهم التى لى بخيبر لم أصب قط مالا أعجب الى منها قد أردت ان أتصدق بها وفى رواية قد أردت ان أتقرب بها الى الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حبس أصلها وسبل ثمرتها وورد مفسرا كيف يعمل فيه من حديث ابن عمر أيضا قال أصاب عمر أرضا فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أصبت مالا بخيبر لم أصب قط مالا أنفس عندى منه فكيف به قال ان شئت حبست أصلها وتصدقت بها فتصدق بها عمر انها لايباع اصلها ولا يوهب ولا يورث تصدق بها فى الفقراء والغزى والرقاب وفى سبيل الله وابن السبيل والضيف لاجناح على من وليها ان يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غير متمول فيه ويروى غير متأثل مالا وكتب عمر ابن الخطاب فى ذلك بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماأوصى به عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ان حدث به حدث أن ثمغا وصرمة بن الاكوع والعبد الذى فيه والمائة السهم التى بخيبر ورقيقه الذى فيه والمائة التى أطعمه محمد صلى الله عليه وسلم بالوادى تليه حفصة ماعاشت ثم تليه ذا الرأى من أهلها ان لايباع ولا يشترى بنفقة من وليه حيث يرى من السائل والمحروم وذى القربى ولا حرج على من وليه ان أكل أو آكل أو يشترى رقبة منه وهذا خبر صحيح فى قصة عمر رضى الله

عنه خرجه البخارى ومسلم وغيرهما ممن يخرج الصحيح مطولا ومختصرا اخترنا أحسن الفاظه وفيه الارض والرقيق والفرس ولا يبعد أن يكون فيه الديار للسكنى والزرع والدواب وغير ذلك وقال الترمذى عند تخريجه لهذا الحديث العمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لانعلم بين المتقدمين منهم فى ذلك اختلافا فى اجازة وقف الدور والارضين وغير ذلك انتهى مانقلناه من كتاب الاعلام بفضل الله على عباده لابن عبد الله محمد بن قاسم ونقل أبونعيم فى حليته عن طاوس اليمانى أنه قال ان الموتى يفتنون فى قبورهم سبعا فكانوا يستحبون أن يطعم عندهم تلك الايام

﴿فصل﴾ قال القرطبى وروى أبوهدبة ابراهيم بن هدبة قال حدثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتتصدق عن ميتك صدقة فيجيء بها ملك من الملائكة فى اطباق من نور فيقوم على رأس القبر فينادى ياصاحب القبر الغريب أهلك قد أهدوا لك هذه الهدية فاقبلها قال فيدخلها اليه فى قبره ويفسح له فى مداخله وينورله فيه فيقول جزى الله أهلى عنى خيرا فيقول لزيق ذلك القبر أنا لم أخلف لى ولدا ولا أحدا يذكرنى بشئ فهو مهموم والآخر يفرح بالصدقة وقال بشار بن غالب رأيت ربيعة العدوية فى المنام وكنت كثير الدعاء لها فقالت لى يابشار هديتك تأتينا فى اطباق من نور عليها مناديل الحرير وهكذا يابشار دعاء المؤمنين الاحياء اذا دعوا لاخوانهم الموتى فاستجيب لهم يقال هذه هدية فلان اليك وقال اسماعيل بن رافع مامن ذى رحم أوصل لذى رحمه من رجل اتبع ذارحم بحج أوعتق أوصدقة قال أبومحمد عبد الحق اعلم ان الميت كالحى فيما يعطاه ويهدى اليه بل الميت أكثر وأكثر لان الحى قد يستقل مايهدى اليه ويستحقر مايتحف به والميت لايستحقر من ذلك شيأ ولو كان مقدار جناح بعوضة أو وزن مثقال ذرة لانه يعلم قيمته وكان يقدر عليه فضيعه وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالسلام على أهل القبور والدعاء لهم وما ذلك الا لكون ذلك الدعاء لهم والسلام عليهم يصل اليهم ويأتيهم والله سبحانه أعلم قال واعلم ان زيارة قبور الصالحين لاتخلو من بركة وان زائرها والمسلم عليها والقارئ عندها والداعى لمن فيها لاينقلب الا بخير ولايرجع الا باجر وقد يوجد لذلك أمارة وتبدو منها له بشارة حدثنى أبو محمد عبد الله البكرى ويعرف بالمغاور وكان من الصالحين مشهورا بالصدق والخير قال زرت قبر الزبير ابن العوام رضى الله عنه بالبصرة قال فبينما أنا عند قبره اذ رأيتنى قد صب على ماء ورد من الجو حتى بل مرقعتى رأيت ذلك وأنا حاضر الذهن مفتوح العين وروى يحيى بن سعيد عن شعبة بن الحجاج قال فتن الناس بعبدالله بن غالب كان يوجد منه ريح المسك وقال مالك بن دينار ذهبت الى قبر عبدالله بن غالب فأخذت من ترابه فاذا مسك أوكأنه مسك وقال حماد بن زيد حدثنى سعيد ابن زيد قال أدخلت يدى فى قبر عبدالله بن غالب الى المرفق فاخرجت منه ترابا فاذا ريحه ريح المسك وقصة هذا القبر صحيحة مشهورة ولما خيف على الناس منه الفتنة سوى (قلت) ورأيت قبور الشهداء بالمهدية على شاطئ البحر عام عشرة وثمانمائة فوجدت لها رائحة عظيمة عطرة فعددت القبور فاذا هى نحو ثمانية وعشرين قبرا ورائحتهم رائحة واحدة الا انهم يتفاوتون فى قوة الرائحة فاما قبران مما يلى المدينة فرائحتهما فى غاية القوة وهذه القبور بقرب موجة البحر ووجدت على هذه القبور بنيانا داثرا بقى أثره ثم انى سافرت الى المشرق وبقيت نحو ثمان سنين ورجعت فوجدت على هذه القبور بنيانا جديدا وبابا مغلقا ففتح لى الباب فوجدت القبرين اللذين هما شديدى الرائحة قد جصص عليهما ووجدت فى أحدهما موضعا تدخل منه أصابعى فاخرجت شيأ من ترابه

وشممته

وشممته فاذا الرائحة الحسنة التي عهدت لم تتغير فحصلت لي عبرة واكتسبت من ذلك موعظة جديدة قال صاحب كتاب الاعلام ذكر البخاري ومسلم في صحيحهما ومالك في الموطأ عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان أمي أفلتت نفسها وأراها لو تكلمت تصدقت أفأتصدق عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وفي بعض الطرق أفلها أجر ان تصدقت عنها قال نعم وروى النسائي عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قلت يارسول الله ان أمي ماتت أفأتصدق عنها قال نعم قلت فاي الصدقة أفضل قال سقي الماء زاد في رواية فتلك سقاية سعد بالمدينة ورواه أبو داود أيضا وزاد في بعض طرقه فحفر سعد بئرا وقال هذه لام سعد ورواه الدارقطني وفيه أينفع أمي ان أتصدق عنها وقد ماتت قال نعم قال فماذا تأمرني قال أسق الماء وروى الطبري في تهذيب الآثار عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عطية فبكيت فقال مايبكيك فقلت يارسول الله كان لامي من عطائي نصيب تتصدق به وتقدمه لآخرتها وانها ماتت ولم توص بشئ قال فلا تبك فقد عينك يامعاذ أتريد أن تؤجر أمك في قبرها قلت نعم يارسول الله قال فانظر الذي كان يصيبها من عطائك فامضه عنها وقل اللهم تقبل من أم معاذ وفي بعض التصانيف وهو في مسند بقي بن مخلد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ماعلى أحد اذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شئ قال وحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قد اختلف في صحته والذي يعول عليه من ذلك أن الراوي عن عمرو اذا كان ثقة فالحديث صحيح لاتصال سماع بعضهم من بعض وثقتهم وقد عزم على هذا من يعول عليه من الأئمة والراوي عنه في هذا الحديث هو الاوزاعي فالحديث صحيح

باب جامع

روى أبو نعيم عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم وذكره ابن العربي في سراج المريدين وقال فيه صحيح حسن قال القرطبي انما كان الموت كفارة لما يلقاه الميت في مرضه من الآلام والاوجاع وقد قال صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الاحط الله به سيآته كما تحط الشجرة ورقها خرجه مسلم وفي الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وفي الخبر المأثور يقول الله تعالى انى لا أخرج أحدا من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقما في جسده ومصيبة في أهله وولده وضيقا في معيشته واقتارا في رزقه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فان بقي عليه شئ شددت عليه الموت حتى يفضى الى كيوم ولدته أمه وعزتي وجلالي لاأخرج عبدا من الدنيا أريد أن أعذبه حتى أوفيه كل حسنة عملها بصحة في جسده وسعة في رزقه ورغد في عيشه وأمن في سربه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فان بقي له شئ هونت عليه الموت حتى يفضى الى وليس له حسنة يتقي بها النار وروى أبو نعيم في حليته عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وفي رواية أبي ذر الدنيا سجن المؤمن والقبر أمنه والجنة مصيره وان الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره

﴿فصــل﴾ روى مسلم عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه وروى الوائلي في كتاب الابانة له عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أحسنوا أكفان موتاكم فانهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم وقال ابن المبارك أحب الى أن يكفن في ثيابه التى كان يصلى فيها (قلت) وقد أول العلماء قوله صلى الله عليه وسلم فانهم يتباهون وانه ليس على ظاهره لان المباهات هنالك انما تكون بالاعمال الصالحة وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا مات لاحدكم الميت فحسنوا كفنه وعجلوا انجاز وصيته واعمقوا له في قبره وجنبوه جار السوء قيل يارسول الله هل ينفع الصالح في الآخرة قال هل ينفع في الدنيا قالوا نعم قال كذلك ينفع في الآخرة وقد خرج أبو نعيم الحافظ باسناده من حديث مالك عن عمه نافع بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادفنوا موتاكم بين قوم صالحين فان الميت يتأذى بالجار السوء وروى اسحاق بن ابراهيم الختلي في كتاب الديباج له عن طاوس اليماني انه قدم حاجا فقربالابطح عند المقابر مع رفقائه قال فبينما أنا أصلي في جوف الليل وعلى برد أخذته باليمن بسبعين دينارا وقبر قريب مني محفور اذ رأيت شمعا قد أقبل به مع جنازة فاذا قائل يقول في قبر قريب من القبر المحفور اللهم انى أعوذبك من الجار السوء قال فركعت ثم سجدت وسلمت ثم خرجت حتى لقيت أصحاب الجنازة فسلمت عليهم وقلت لاتقربونا وتنحو عنا عافاكم الله قالوا مانستطيع ذلك وقد حفرنا قبرنا هـذا ولا نستطيع أن نذهب الى غيره فقلت من أولى بالجنازة فقالوا هـذا ابنه فقلت له هل لك ان تنحى عنا وتناولنى ثوبك هـذا الذى عليك فالبسه وأعطيك بردى هذا فانى قد أخذته باليمن بسبعين دينارا وهو ههنا خير من سبعين فان كان على أبيك دين قضيته عنه وان لم يكن انتفع بذلك الورثة وتكف عنا مانكره قال فانكر القوم قولى ان يكون على برد ثمنه سبعون دينارا فاحتجت الى أن أخبرهم من أنا فقلت لهم تعرفون طاوس اليماني قالوا نعم قلت فانا طاوس اليماني وما قلت لكم في البرد الا حقا فناولني الرجل رداءه وأخذ ردائى وانصرف عنا وأقبلت حتى وقفت على صاحب القبر فقلت ما كان ليجاورك جار تكرهه وأنا أستطيع رده ثم عدت الى صلاتى قال أبو محمد عبد الحق ويستحب لك أن تقصد بميتك قبور الصالحين ومدافن أهل الخير وان تجنب به قبور من سواهم ممن يخاف التأذى بمجاورته والتألم بمشاهدة حاله فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الميت ليتأذى بالجار السوء كما يتأذى به الحى (قلت) قال الجوزى رحمه الله تعالى قال بعض السلف ماتت لى ابنة فدفنتها فرأيتها في المنام فقالت ياأبت قد مهد لرجل عندى قبر وهو من أهل النار فسلهم أن ينحوه عنى فلما أصبح أتيت الحفار وهو يحفر فمنعته فقال تمنعنى من مقابر المسلمين فاخبرته بما رأيت فاغتم أهل الميت فلما كان الليل رأيت ابنتى في المنام فقالت ياأبت كذا أمرتك ان تهتك ستر رجل من المسلمين أما ان الله قد رحمه بهتكك اياه

﴿فصــل﴾ فائدة ينفع الله بها من استعملها قال الغزالى رحمه الله تعالى في كتاب العزلة وليكن العبد كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه بالوحدة وليتحقق ان من لم يحصل في قلبه من ذكر الله سبحانه ومعرفته ما يأنس به انه لايطيق وحشة الوحدة بعد الموت فان من أنس بذكر الله تعالى ومعرفتـه فلا يزيل الموت أنسـه اذ لايهدم الموت محل الانس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفتـه وأنسـه فرحا بفضل الله تعالى عليه كما قال تعالى في الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله وكل متجرد لله سبحانه في جهاد

نفسه فهو شهيد مهما أدركه الموت فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه كما صرح به النبي صلى الله عليه وسلم والجهاد الاكبر جهاد النفس كما قالت الصحابة رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فعليك رحمك الله بحمل النفس على التزود للمعاد والاعراض عن الدنيا وما قدر لك منها لايفوتك روى أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا مايبقى على مايفنى (قلت) قال ابن اسحاق زعم ليث بن أبي سليم انهم وجدوا حجرا فى الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم باربعين سنة مكتوبا فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة تعملون السيآت وتجزون الحسنات أجل كما يجنى من الشوك العنب

﴿فصــــل﴾ روى أبو هدبة ابراهيم بن هدبة قال حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنــه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مشيعي الجنازة قد وكل بهم ملك فهم مهتمون محزونون حتى اذا أسلموه فى ذلك القبر ورجعوا راجعين أخــذ كفا من تراب فرمى به وهو يقول ارجعوا أنساكم الله موتاكم وينسون ميتهم ويأخذون فى شرائهم وبيعهم كأنهم لم يكونوا منه ولم يكن منهم

﴿فصــــل﴾ روى أبو نعيم بسنده عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان ابن آدم لفى غفلة مما خلقه الله عز وجل ان الله لااله غيره اذا أراد خلقه قال للملك اكتب رزقه وأثره وأجله وأكتب شقيا أوسعيدا ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله ملــكا آخر فيحفظه حتى يدرك ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسيآته فاذا جاءه الموت ارتفع ذانك الملكان ثم جاءه ملك الموت عليه السلام فيقبض روحه فاذا أدخل حفرته رد الروح فى جسده ثم يرتفع ملك الموت ثم جاءه ملــكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فاذا قامت الساعة انحط عنــه ملك الحسنات وملك السيآت فانشطا كتابا معقودا فى عنقه ثم حضرا معه واحد سائق والآخر شهيد ثم قال قال الله عز وجل لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن طبقا عن طبق قال حالا بعد حال ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قدامكم أمرا عظيما فاستعينوا بالله العظيم قال أبو نعيم هذا حديث غريب ﴿تنبيه﴾ ذكر أبو نعيم فى الحلية عن سفيان الثورى أنه قال ان الملكين يجد ان ريح الحسنات والسيآت اذا عقد القلب (قلت) فرحم الله عبدا أعرض عن العرض الفانى واشتغل باخذ الزاد ليوم المعاد واتكل على مولاه فى الرزق المضمون واستعد لآخرته قبل أن يفاجئه المنون وروى أبو نعيم فى حليته عن شعبة ابن الحجاج عن عمرو بن مرة عن شقيق بن مسـلمة عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم مابال أقوام يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين ويعملون بالقرآن ماوافق أهواءهم وما خالف أهواءهم تركوه فعنــد ذلك يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك بغير سعى من القدر المقدور والاجل المكتوب والرزق المقسوم ولا يسعون فيما لايدرك الا بالسعى من الجزاء الموفور والسعى المشكور والتجارة التى لاتبور مما نقله أبو نعيم من أنشاد ذى النون قوله فى حب الله تعالى

أموت وماماتت اليك صبابتى * ولاقضيت من صدق حبك أوطارى
مناى المنا كل المنا أنت لى المنا * وأنت الغنا كل الغنا عند اقتارى
وأنت الذى أرجو وغاية رغبتى * وموضع شكوائى ومكنون اضمارى
فنلنى بعفو منك أحيي بقربه * وغثني بيسر منـــك يطرد اعسارى

ألست دليل الركب ان هم تحيروا * ومنقذ من أشفى على جرف هار
أنرت الهدى للمتقين ولم يكن * من النور فى أيديهم عشر معشار

وبعض هذه الابيات انا أصلحته قال أبو نعيم قال بعض الحكماء من نظر الى الدنيا بعين المحبة انطمس من بصر قلبه بقدر تلك النظرة ومن أنار الله قلبه بضوء مصابيح العبر لم يمل من الفكر ومن لم يملها لم تطف مصابيح عبره وكان يقول احذر ايثار الدعة والميل الى الهوينا وقد اجتمع عمال الدنيا وعمال الآخرة على بذل المجهود وترك الدعة ليظفروا بمطلوبهم ويستريحوا من تعبهم وان أولى الفريقين بك ان تقتدى بعمال الآخرة لتظفر بالراحة الابدية والعيشة الهنية المرضية والحياة السرمدية مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ياهذا أين الذى جمعته من الاموال وأعددته للشدائد والاهوال لقد أصبحت كفك منه عند الموت خالية صفرا وبدلت من بعد غناك وعزك ذلا وفقرا فكيف أصبحت يارهين أوزاره ويامن سلب من أهله وداره أما علمت انه لابد لك من الارتحال فى يوم شديد الاهوال وليس ينفعك ثم قيل ولا قال بل يعد عليك بين يدى الملك الديان مابطشت به اليدان ومشت فيه القدمان وكل مانطق به اللسان وعملته الجوارح والاركان فان رحمك سبحانه نعمت فى الجنان وان كانت الاخرى أصليت حر النيران ياغافلا عن هذه الاحوال الى كم هذه الغفلة والتوان جد رحمك الله فى أخذ الزاد ليوم المعاد

لله در عصابة مازرتهم * الاشجانى منهم ماأسمع
قوم اذا غسق الظلام حسبتهم * عودا تحن الى الفصال وتنزع
حسروا الاكف وشمروا عن سوقهم * وغدت بهم همم تخب وتسرع
يازارع التفريط فى غفلاته * مهلا فانك حاصد ماتزرع
ماحسرتى الالانى حاصد * زرعى وليس يفوتنى ماأزرع
فالحول حولك سيدى ومدبرى * تعطى الفضائل من تشاء وتمنع
ان لم أكن لحلول فضلك موضعا * ربى فانت لكل فضل موضع

قال أحمد بن حرب ياعجبا لمن يعلم ان الجنة تزين فوق رأسه والنار تسعر تحته كيف ينام بينهما

أخلصت قوم فنالوا منك ماطلبوا * ولم يشب جدهم لهو ولا لعب
شدوا اليك مطايا عزمهم فمضوا * مكابدين على الاقدام واقتربوا
فالليل ألفهم والحزن أنسهم * والدمع ماؤهم لو انهم شربوا
لكنهم رفضوا الدنيا وزخرفها * فمالهم راحة الا اذا تعبوا
وأسبلوا دمعة من نار أفئدة * تكاد عند اشتعال الحزن تلتهب
ألبابهم بلباب الذكر طاعمة * وقوت أجسامهم فى عيشها العشب

﴿ غيره ﴾

رعى الله أقواما رعوا حق ربهم * فما أخلفوا وعدا ولا نقضوا عهدا
فما صحبوا الايام الا تعففا * وما وجدوا من حب سيدهم بدا
أفاضل صديقين أهل ولاية * الى سيد السادات قد جعلوا القصدا
هم قطعوا حبل التوانى بعزمهم * وقاموا على الاقدام واستعملوا الكدا
وصاموا نهارا دائما ثم أفطروا * على بلغ الاقوات واستقربوا البعدا
تحلل عقد الصبر من كل صابر * وماحلت الايام من عقدهم عقدا

اللهم اختم بالسعادة آجالنا وأقرن بالعافية غدونا وآصالنا واجعل الى جنتك مصيرنا ومآلنا واجبر برحمتك أحوالنا واجعل بطاعتك اشتغالنا الهنا قطرة من بحار جودك تكفينا وغرفة من بحار فضلك واحسانك تغنينا هانحن اسراء الذنوب بباب فضلك واقفون وعلى ماوعدتنا من وابل فضلك واحسانك معولون وأنشدوا

أسير الخطايا عند بابك واقف * على وجل مما به أنت عارف
يخاف ذنوبا لم يغب عنك غيبها * ويرجوك فيها فهو راج وخائف
ومن ذا الذي يرجى سواك ويتقى * ومالك في فصل القضاء مخالف
فيا مالكي لاتخزني في صحيفتي * اذا نشرت يوم الحساب الصحائف
وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما * يصد ذوو ود ويجفو الموالف
لئن ضاق عني عفوك الواسع الذي * أرجى لافلاسي فاني لتالف
وحاشاك يامولاي تقطع راجيا * على بابك المأمول قلبه واقف

يامقيدا بقيود العصيان يامغلولا بسلاسل الحرمان يامن رضي لنفسه بالذل والهوان أما تخشى ويحك على بضاعة عمرك الخسران قد آن أوان الرحيل ان كنت وسنان أما كان لك عبرة بمن مضى من الاخوان أماتحدث نفسك بسلوك طريق أهل العرفان أما يهزك شوق الى ساكن الجنان أماتخشى ويحك على نفسك من لهب النيران فان أردت النجاة فشمر عن ساق الجد من غير توان الهي أشكو اليك تخلفي عن الرفاق الهي فاتني القوم في السباق الهي هل أطمع في اللحاق الهي ان أوزاري قد أوثقتني بوثاق الهي شوقي الى الحضرة دائم باق الهي بك علقت أملي وعلى جودك وفضلك متكلي الهي قد قرب مني الرحيل وما الى التخلف عنه من سبيل الهي اليك أشكو مالايخفى عليك فارحم ذلي يوم وقوفي بين يديك الهي لما دنى أجلي ضعفت في عملي الهي حالي لايخفى عليك منك أطلب الوصول اليك * روى أبو نعيم في حليته عن سليمان بن داود عن محمد بن يوسف الاصبهاني قال قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عنوان صحيفة المؤمن يوم القيامة الثناء الحسن وقال محمد بن يوسف لبعض أصحابه اغتنم ساعتك فانك ان اغتنمتها اشتغلت عن غيرها كان محمد بن يوسف عروس الزاهدين ومن أئمة المتقين قال سليمان بن داود وقف محمد بن يوسف على قاص يجيد فجعل محمد بن يوسف يتغير لونه ويردد دموعه جهده فقلت ياأبا عبدالله لو أرسلت قال هذا أدوم للحزن قال فرجعت الى يحيي بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي فقالا لي أي شئ استفدت اليوم فاخبرتهما بمقالة محمد بن يوسف فقالا لي لولم تستفد الا هذا لكفاك وكان محمد بن يوسف كثيرا مما ينشد

اذا كنت في دار الهوان فانما * يخبيك من دار الهوان اجتنابها

وكتب محمد بن يوسف الى بعض اخوانه تزود لآخرتك وتجافى عن دنياك واستعد للموت وبادر الفوت واعلم ان أمامك أهوالا وانزاعا قد رعبت منها الانبياء والرسل وكتب أيضا الى بعض اخوانه أما بعد فانى محذرك تحولك من دار مهلتك الى دار اقامتك وجزاء أعمالك فتصير في باطن الارض بعد ظاهرها فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فان يكن الله معك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة وان يكن غير ذلك فأعاذنا الله واياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تتبعك صيحة النفخ في الصور وبروز الخلق والوقوف بين يدي الجبار تعالى لفصل القضاء فخلت الارض من أهلها والسموات من سكانها وبرزت الاسرار وسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم

بالحق وهم لايظلمون فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك ومثبور وكم من معذب ومرحوم فياليت شعري ماحالي وحالك يومئذ ففي هذا ماهدم اللذات وسلى عن الشهوات وقصر الامل وبعث على العمل وأيقظ النائمين وحذر الغافلين أعاننا الله وإياك على هذا الخطر العظيم وأوقع الآخرة من قلبي وقلبك موقعها من قلوب المتقين فانما نحن به وله وقال رحمه الله لو أن رجلا سمع برجل أطوع لله منه أو عرفه كان ينبغي له أن يحزنه ذلك وقال غيره لو أن رجلا سمع برجل أو عرفه أطوع لله منه فانصدع قلبه لم يكن ذلك بعجيب وقال اذا كان يحزنك مانزل بك من نفسك فقلبك حي بعد

تمر الليالي بنفسي ومالي * فياقوم مالي عن الموت سالي
نهاري جدال وليلي انجدال * وحولي رجال على مثل حالي
يبيعون رشدا بصحابغي * فبؤسا وسحقا لهم من رجال
قطعت لعمري بساعات عمري * بزيد وعمرو وقيل وقال
فياصاح مهلا أأسلك جهلا * واتبع غيا سبيل الضلال
أفي الموت ريب أيجمل عيب * لمن لاح شيب له في القذال
شبابي يفر وشيبي يكر * وما أن تمر المنون يبالي
طريقي طويل وزادي قليل * وحملي ثقيل فكيف احتيالي
أرى عظم ذنبي فيشتد كربي * ولكن ربي عظيم النوال
فياذا الجلال ويا ذا الجمال * ويا ذا المعالي عليك اتكالي
فكن عند ظني ولا تسلمني * ولا تخذلني بسوء فعالي
فانت الرجاء ومنا الجفاء * ومنك العطاء فهب لي سؤالي

ويجب على العاقل أن يبادر الى طاعة ربه مشتغلا بنفسه مراعيا لخطراته مستأنسا بخلواته مستغرقا في ذكر ربه راجيا لثوابه ومشفقا من عذابه من غير قنوط من رحمته ذكر أبو نعيم في حليته عن الفضيل بن عياض أنه قال مامن ليلة الا نادى الجليل جل جلاله من أعظم مني جودا والخلائق لي عاصون وأنا لهم مراقب أكلؤهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوني وأتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا فيما بيني وبينهم أجود بالفضل على العاصي وأتفضل على المسيء من ذا الذي دعاني فلم أجبه ومن ذا الذي سألني فلم أعطه أم من ذا الذي أناخ ببابي فنحيته أنا المفضل ومني الفضل وأنا الجواد ومني الجود وأنا الكريم ومني الكرم ومن كرمي اني أغفر للعاصي بعد المعاصي ومن كرمي اني أعطي العبد ماسألني ومالم يسألني ومن كرمي اني أعطي التائب كأنه لم يعصني فاين عني يهرب الخلائق وأين عن بابي يتنحى العاصون وزاد في طريق فيابؤس القانطين من رحمتي ويا شقوة من عصاني وتعدى حدودي وقال حسين بن زياد أخذ الفضيل بن عياض بيدي وقال ياحسين ينزل الله تبارك وتعالى الى سماء الدنيا في كل ليلة يقول سبحانه كذب من ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام عني أليس كل حبيب يحب خلوة حبيبه ها أنا ذا مطلع على أحبائي اذا جنهم الليل مثلت نفسي بين أعينهم يخاطبوني على المشاهدة وكلموني على حضور غدا أقر أعين أحبائي في جناتي وذكر أبو نعيم عن بعض أصحاب منصور بن عمار قال اشتريت من الله عز وجل حوراء على صداق ثلاثين ختمة فختمت منها تسعا وعشرين ختمة فأنا في الثلاثين اذ حملتني عيناي فرأيت كأن حوراء قد خرجت علي من المحراب فلما رأتني أنظر اليها انشأت تقول برخيم صوتها

اتخطب مثلي وعني تنام * ونوم المحبين عني حرام

لانا خلقنا لكل امرئ * كثير الصلاة براه الصيام

فانتبهت وأنا مذعور يا أخى لا يبيع الباقى بالفانى الا من هو فى بيعه خاسر اياك والانس بما ترحل عنه فتبقى فى بحر الندامة حائر رافق ويحك من يؤنسك فى المقابر رفيق التقوى معين ورفيق البطالة غادر مهر الآخرة يسير قلب مخلص ولسان ذاكر ومهر الدنيا ذبح بالشهوات وطعن فى الحناجر

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

فكروا فيها فلما علموا * انها ليست لحى وطنا

جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

فسبحان من اختار أولياءه لخدمته واصطفاهم لمناجاته وسلك بهم سبيل مرضاته خلع عليهم خلع الرضى فكانوا أهل حضرته شغلهم بعبادته فكانوا أهل صفوته متع أسرارهم بذكره فما رضى لهم دارا سوى جنته نهارهم صيام وليلهم قيام فأهلا بهم من سادة والخيرة من خلقه اذا أقبل الليل نصبوا أقدامهم وعفروا فى التراب جباههم كل منهم مسبل لعبرته والمحروم المسكين غافل عن حفرته متردد فى دياجى غفلته تائه فى تيه أمانه وأودية حيرته فسبحان من قسمهم قسمين وجعلهم فريقين فهذا يسعى لسعادته وهذا مضرم لنار شقوته

يا أيها الذى قد غره الامل * ودون ما يأمل التنقيص والاجل

ألا ترى انما الدنيا وزينتها * كمنزل الركب حلوا ثمت ارتحلوا

حتوفها نكد وعيشها نكد * وصفوها كدر وملكها دول

تظل تفزع بالروعات ساكنها * فما يسوغ له لين ولا جذل

كأنه للمنايا والردى غرض * تظل فيه بنات الدهر تنتضل

والنفس هاربة والموت يتبعها * وكل عثرة رجل عندها زلل

باب ما رئى من عجائب الموتى ورفع بعضهم الى السماء وكلامهم واخبارهم بما أنعم الله سبحانه به عليهم

قال ابن اسحاق رحمه الله تعالى لما أصيب من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ببير معونة كان فيمن أصيب عامر بن فهيرة رضى الله عنه فكان عامر بن الطفيل الكافر يقول من رجل لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء دونه قالوا هو عامر بن فهيرة قال السهيلى فى الروض الانف هذه رواية البكائى عن ابن اسحاق وروى يونس بن بكير عنه بهذا الاسناد ان عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك فقال للنبى صلى الله عليه وسلم من رجل يا محمد لما طعنته رفع الى السماء فقال هو عامر بن فهيرة وروى عبد الرزاق وابن المبارك ان عامر بن فهيرة التمس فى القتلى يومئذ ففقد فيرون ان الملائكة رفعته أو دفنته وذكر أبو سعيد النيسابورى ان عامر بن الطفيل قال لعمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه هل تعرف أصحابك قال نعم فطاف فيهم يعنى فى القتلى وجعل يسئله عن أنسابهم فقال هل تفقد من أحد قال نفقد مولى لابى بكر رضى الله عنه يقال له عامر بن فهيرة قال كيف كان فيكم قال قلت كان من أفضلنا وأول أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبرك خبره وأشار له الى رجل وقال هذا طعنه برمح ثم انتزع رمحه فذهب بالرجل علوا فى السماء حتى والله ما أراه قال عمرو فقلت له ذلك عامر بن فهيرة وكان الذى قتله رجل من كلاب يقال له جبار بن سلمى ثم أسلم جبار بن سلمى وقال دعانى الى الاسلام ما رأيته من

مقتل عامر بن فهيرة ورفعه الى السماء قال عياض فى الشفاء وروى عن عبد الله بن عبيد الله الانصارى رضى الله عنه قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس رضى الله عنه وكان قتل باليمامة فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت (قلت) وكذلك ذكره ابن القطان والحديث ذكره يعقوب بن شيبة قال عياض وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه ان زيد بن خارجة خر ميتا فى بعض أزقة المدينة فرفع وسجى اذ سمعوه بين العشاءين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبى الامى وخاتم النبيين كان ذلك فى الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر أبا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان (قلت) هكذا ذكره عياض رحمه الله تعالى مختصرا وذكره ابن القطان والسهيلى وغيرهما مطولا قال ابن القطان روى عن سعيد بن المسيب ان زيد بن خارجة الانصارى ثم من بنى الحارث بن الخزرج توفى زمان عثمان رضى الله عنه فسجى بثوب ثم انهم سمعوا جلجلة فى صدره ثم انه تكلم فقال أحمد أحمد فى الكتاب الاول صدق صدق وأبو بكر الضعيف فى جسمه القوى فى أمر الله فى الكتاب الاول صدق صدق عمر بن الخطاب القوى فى أمر الله الامين فى الكتاب الاول صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجهم مضت أربع وبقيت سنتان أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم خبر بئراريس وما بئراريس قال سعيد بن المسيب هلك رجل من بنى خطمة فسجى بثوب فسمعت جلجلة فى صدره ثم تكلم فقال ان أخا بنى الحارث بن الخزرج صدق صدق قال السهيلى وهذا الحديث رواه ثقات المحدثين لايختلفون فى ذلك (قلت) وقد روى أصل الحديث ابن عبد البر وغيره وقصة بئراريس ان عثمان بن عفان رضى الله عنه كان جالسا فى بعض الايام فى زمان خلافته على شفة بئراريس وكان فى يده خاتم النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يتداوله الخلفاء قبله أعنى كان بيد النبى صلى الله عليه وسلم ثم بيد أبى بكر رضى الله عنه ثم بيد عمر رضى الله عنه ثم بيد عثمان رضى الله عنه فجعل عثمان وهو على شفا البئر يحرك الخاتم فى أصبعه وربما أخذ ينقله من أصبع الى آخر ونحو هذا فوقع له فى بئراريس فأمر بالنزول اليه واستهون أمر الماء فنزحوا الماء فغلبهم حتى أعجزهم فبقى الخاتم هنالك ثم كان من أمر عثمان رضى الله عنه ما كان من هيجان الفتنة ولم يذكر ابن القطان هنا أبا بكر كما ذكره عياض وغيره قال ابن القطان وقد روى مثل هذه القصة لاخى ربعى بن حراش أيضا أعنى انه تكلم بعد الموت وفى كلامه من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماينعطف آية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان فى كلامه المذكور انه قال اسرعوا بى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أقسم أن لايبرح حتى أدركه وألحقه فان كلام ميت بذكره وذكر ماينتظره والامر بقضاء بغيته صلى الله عليه وسلم أمر خارق للعادة فى حقه صلى الله عليه وسلم (قلت) وقد ذكر هذه الحكاية الغزالى رحمه الله تعالى فى كتاب الرجاء من احياء علوم الدين ولفظه وفى حديث ربعى بن حراش عن أخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات أخى سجى بثوبه وألقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا فقال انى لقيت ربى عز وجل فحيانى بروح وريحان وهو عنى غير غضبان وانى رأيت الامر أيسر مما تظنون ولا تغتروا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرنى وأصحابه حتى أرجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكأنها حصاة وقعت فى طست فحملناه ودفناه قال أبو سعيد النيسابورى روى النعمان بن بشير رضى الله عنه قال توفى اسامة بن زيد بن حارثة رضى الله عنهما فكان الناس ينتظرون

عثمان

عثمان ليصلى عليه قال فقمت أصلى ركعتين فكشف الثوب عن وجهه والقوم يتكلمون فقال سلام عليكم فقلت سبحان الله سبحان الله فقال انصتوا انصتوا محمد رسول الله صدق صدق أبو بكر الصديق ضعيف فى جسده قوى فى أمر الله كان ذلك فى الكتاب الاول صدق صدق هكذا ذكره النيسابورى أسامة بن زيد والله أعلم وما قدمناه عن عياض وابن القطان هو الصواب لان اسامة ابن زيد عاش بعد عثمان واعتزل الفتنة وما ذكرناه عن ابن القطان والغزالى ذكره السهيلى ولفظه قال وقد عرض مثل هذه القصة لربيع بن حراش أخى ربعى بن حراش قال ربعى مات أخى فسجيناه وجلسنا عنده فبينما نحن كذلك اذ كشف عن وجهه ثم قال السلام عليكم قلت سبحان الله أبعد الموت قال انى لقيت ربى فتلقانى بروح وريحان وهو غير غضبان وكسانى ثيابا خضرا من سندس واستبرق وأسرعوا بى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قد أقسم أن لايبرح حتى أدركه أو آتيه وان الامر أهون مما تذهبون اليه فلا تغتروا ثم والله لكأنما كانت نفسه حصاة ألقيت فى طست ومن هذا الباب ماذكره أبو الفضل عياض وابن القطان ولفظهما سواء قال أتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم فذكر انه طرح بنية له فى وادى كذا فانطلق معه النبى صلى الله عليه وسلم الى الوادى وناداها باسمها يافلانة أجيبى باذن الله فخرجت وهى تقول لبيك وسعديك فقال لها ان أبويك قد أسلما فان أحببت أن أردك عليهما قالت لاحاجة لى فيهما وجدت الله خيرا لى منهما وعن أنس رضى الله عنه ان شابا من الانصار توفى وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابنى قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم انى هاجرت اليك والى نبيك رجاء أن يعيننى على كل شدة فلا تحملن على هذه المصيبة فما برحنا أن كشف عن وجهه فطعم وطعمنا وعاش بعد ذلك ذكر هذه الحكاية عياض وابن القطان قال ابن القطان وروى أيضا عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للغريبة ان ابنك ابراهيم قد مات قالت ومات يارسول الله قال نعم فقالت الحمد لله اللهم انك تعلم انى هاجرت اليك والى نبيك وذكر بقية الحديث قال فأحياه الله تعالى عند ذلك فأكل وطعم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابراهيم بن نبيط (قلت) وذكر أبو عمر بن عبد البر فى كتابه قال روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرجنا مع العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه حين خرج الى البحرين قال فبينما نحن فى سفرنا اذ عطش الناس فأخبروه فقال هل عندكم من ماء أتوضأ به قال فأوتى بماء قليل فتوضأ وصلى ركعتين ثم دعا فقال ياعلى ياعظيم ياحكيم ياحليم ياعليم أغثنا واسقنا فاذا نحن بسحابة قد نشأت ثم صبت فشربت أصحابه وسقوا دوابهم قال ثم انتهينا الى خليج فطلب السفن لنعبر الى عدونا فلم نقدر عليها فتوضأ ثم صلى ثم دعا مثل دعائه الاول ثم قال لتأخذوا بروس دوابكم فأخذنا ثم مضينا على البحر فجاوزناه وما جاوز الماء حوافر الدواب قال وما خيض ذلك البحر قبل يومئذ قال ثم ان العلاء مرض فمرضناه ثم مات فدفناه وقلنا أرض رملة ولم نعمق قبره فكشفنا عنه التراب فطلبناه فلم نجده فى قبره فما ندرى أى أموره أعجب رحمه الله أى أمره فى السحابة أم فى البحر أم فى قبره حيث لم نجده فيه (قلت) وأما الحكايات عن الموتى فى هذا الباب فكثيرة وسأذكر منها ماتيسر فمن ذلك قصة عمر بن الفارض دخل يوما بعض مدارس مصر فوجد شيخا يتوضأ ويقدم ويؤخر فى أعضاء وضوئه فأنكر عليه وقال له ياشيخ تكون فى هذا السن ولا تحسن أمر دينك فرفع اليه رأسه وقال له مكاشفا ياعمر لايفتح عليك هنا وانما يفتح عليك بمكة فسر اليها فعلم عمر انه من أولياء الله وانما خلط فى وضوءه سترا لحاله قال عمر فقلت ياسيدى كيف أسير الى مكة وليس هنا مسافرون ونحو

هـذا من الكلام قال فأشار لي الى مكة فرأيتها من مصر وجعلت أمشي حتى دخلتها ثم ان عمر ابن الفارض بقي بمكة زمانا فحضرت الوفاة الشيخ البقال قال فناداني من مصر وقال احضر وفاتي قال فجئته فقال اذا مت فادفني هناك وأشار الى الجبل المقطب فرأيت المكان الذى أشار اليه قال فلما مات وحملته الى قبره ووضعته فاذا أنا برجل من أولياء الله تعالى فقال لي تقدم ياعمر وصل بنا قال ونزلت طيور وفيها طير كبير قال فتقدمت وصليت قال فجاء الطير الكبير الى الشيخ البقال فالتقمه حتى صار في حوصلته ثم طار وطارت تلك الطيور خلفه فالتفت الى الولي الذى صلى معي فقلت ياسيدي ماهذا فقال ياعمر أما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم أرواح الشهداء في حواصل طير خضر أولئك شهداء السيوف وأما شهداء المحبة فهم بأرواحهم وأجسادهم وهذا الشيخ منهم وقد كنت ياعمر بلغت هذه المنزلة ثم زللت زلة فانزلت عن هذه المنزلة وأنا أرجو من الله سبحانه الرجوع اليها وفي قبر هذا الشيخ البقال دفن عمر بن الفارض وهو معلوم مزاره نقلت هذه الحكاية بالمعنى وفي كتاب الصفوة للجوزي قال ومنهم أحمد بن نصر الخزاعي رحمه الله تعالى كان من كبار العلماء والآمرين بالمعروف سمع الحديث من مالك بن أنس وحماد بن زيد وهشيم وغيرهم وامتحنه الواثق بالقرآن فأبى أن يقول مخلوق فقتله في رمضان سنة احدى وثلاثين ومائتين بسر من رأى وصلب جسده هناك وأنفذ رأسه الى بغداد وعن أحمد بن حنبل وذكر أحمد بن نصر فقال رحمه الله ما كان أسخاه لقد جاد بنفسه وعن ابراهيم بن اسماعيل بن خلف قال كان أحمد خالي فلما قتل في المحنة وصلب رأسه أخبرت ان الرأس يقرأ القرآن فمضيت فبت بقرب من الرأس مشرفا عليه وكان عنده رجالة وفرسان يحفظونه فلما هدأت العيون سمعت الرأس يقرأ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون فاقشعر جلدي ثم رأيته بعد ذلك في المنام وعليه السندس والاستبرق وعلى رأسه تاج فقلت مافعل الله بك ياأخي قال غفر لي وأدخلني الجنة الا اني كنت مغموما ثلاثة ايام قلت ولم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بي فلما بلغ خشبتي حول وجهه عني فقلت له بعد ذلك يارسول الله قتلت على الحق أو على الباطل فقال أنت على الحق ولكن قتلك رجل من أهل بيتي فاذا بلغت اليك استحي منك قال الشيخ أبو محمد في العاقبة ويروى عن عمرو بن عثمان بن شعبة قال رأيت في بعض الليالي في المنام كأن قائلا يقول لي اذا كان غدا فات مصلي خولان تصلي عن ولي لنا قال فخرجت قبل طلوع الفجر خوف أن يفوتني ثم قعدت الى قريب من غروب الشمس فلم يؤت بميت الى ذلك المصلى قال فانصرفت فبينما أنا بين الاكام فاذا بميت على رأس حمال على فرد باب وعليه عباءة فقال لي الحمال ياهذا ان هذا الميت رجل غريب فهل لك أن تصلي عليه فقلت في نفسي أنا قاعد منذ اليوم من أجله قال فصليت عليه ثم قال لي الحمال ادخل معي حتى نواريه فنزلت في قبره فصوبه علي فأضجعته وحللت العقدة عن رأسه فالتفت الميت الي بوجهه متبسما وقال سوف أشكرك عنده غدا أبا عمرو ثم عاد كما كان قال ويروى عن ابن علي الروذبارى قال قدم علينا فقير فمات فدفنته فكشفت عن خده فجعلته على التراب ليرحم الله غربته ففتح عينيه وقال ياأبا علي أتذلني بين يدى من لايذلني فقلت ياسيدي أحياة بعد الموت فقال بلى أنا محب لله وكل محب لله فهو حي ياروذباري لانصرنك غدا بجاهي وقال أبو سعيد الخراز كنت بمكة فمررت بباب بني شيبة فرأيت به شابا حسن الوجه ميتا فنظرت في وجهه فتبسم في وجهي وقال لي ياأبا سعيد أما علمت ان الاحباء أحياء وان ماتوا وانما ينقلون من دار الى دار قال الشيخ عبد الحق حدثني الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن يحيي القرشي رحمة

الله تعالى عليه قال لما مات أبى غسله المقرئ أبو الحسن بن عظيمة فقال لى أبو الحسن لما كشفت
الثوب عن وجهه لاغسله ضحك فى وجهى لاأشك فى ذلك ولا ارتاب قال صاحب التشوف الى
رجال التصوف وهو يوسف بن يحيى التادلى ومنهم أبو بكر التوجى من أهل سجلماسة من أكابر
الاولياء ثم ذكر عنه عظيم الكرامات وانه اذا خرج بالليل من البلد تنفتح له الابواب الى غير ذلك
قال صاحب التشوف حدثنى الثقة ان أبا بكر التوجى بات فى مسجد بباب صنهاجة فاصبح فيه
ميتا رحمه الله تعالى فذهبوا لينظروا فى تجهيزه الى قبره فطلبوه فلم يجدوه فضجوا وأعولوا وقالوا لو
أراد الله بنا خيرا لتولينا تجهيز هذا العبد الصالح الى قبره قال صاحب التشوف وحدثنى على بن
عيسى عن شيوخ أخبروه عن رجل صالح كان بتامسورت وكان له باغمات وريكة صديقان يعرف
أحدهما بابن الواتى ويعرف الثانى بابن الفقيه فماتا فدفنا قبلى مدينة اغمات فلما احتضر هذا
الرجل الصالح أوصى أن يدفن بجوار قبرى صديقيه فلما مات تنازع الناس فى دفنه قال قوم انما
ندفنه عندنا لننال من بركاته وقال آخرون انما ندفنه حيث أوصى أن يدفن وهم الفريقان بالقتال
على ذلك فمكث ثلاثة أيام لم يدفن وهو فى البيت فدخلت بين الرجال امرأة وجعلت على ظهرها
أثوابا وأوهمتهم ان ذلك ولدها على ظهرها وخرجت به وهم يظنون ان الذى على ظهرها ولدها
فحمله أصحابه ليدفنوه فى مقابر اغمات جوار قبرى صديقيه فكانوا اذا وضعوه بالارض يسمعون حوله
كدوى النحل يرفعون أصواتهم بالتهليل فيشير هو معهم بسبابته الى التوحيد فيعجبون من ذلك
وذكر أبو نعيم فى حليته ان خالد بن معدان كان يسبح فى اليوم أربعين ألف تسبيحة سوى مايقرأ
من القرآن فلما مات وضع على سريره ليغسل فجعل يحرك أصبعيه يعنى بالتسبيح وبلت وهو صائم
قال صاحب التشوف وسمعت داود بن عبد الخالق يقول سمعت غير واحد من أصحاب الفقيه
يغمور بن خالد يقول جاءنى أبو مهدى وكان من أولياء الله الكبار فقال لى يايغمور اذهب معى الى
زيارة شابة هسكورية لم تبلغ الحلم وهى من الاولياء فذهبنا الى كهف بجبل دون فوجدناها قد
انقطعت عن الناس فخاضت معى فى علوم لا أعرفها وكانت مريضة فانصرفنا عنها ثم مررنا يوما
آخر لنزورها فلما قربنا من الكهف قال لى أبو مهدى ان تلك الشابة فى النزع فرأيت نورا يسطع
من الكهف الذى كانت فيه فدخلنا عليها فوجدناها تجود بنفسها فقالت لابى مهدى اذا أنا مت
فاسترنى بهذا الثوب الخلق الذى على واذهب الى أبوى بمكان كذا واقرأ عليهما سلامى وأعلمهما بالحال
ثم ماتت وفعلنا ماأمرتنا به فلما خرجنا من الكهف رأيناها تحمل فى الهواء فسألنا عن اسم أبويها
فلما دخلنا عليهما قالت لنا أمها أظنكما قريبى العهد من ابنتى فاعلمناهما بوفاتها وعزيناهما
وانصرفنا ومن تأليف الشيخ الحافظ أبى القاسم هبة الله بن الحسين الطبرى فى الكرامات حدث
رحمه الله بسنده عن حماد بن سلمة قال ان ثابتا البنانى رفع من قبره ولم نر له أثرا فى القبور وكان
ثابت يدعو ويقول اللهم ان كنت رفعت أقواما من عبادك فاجعلنى منهم وقال أبو الفرج الجوزى
فى كتابه المسمى بسلوة الاحزان قال بعض أصحاب ثابت البنانى والله الذى لا اله الا هو لقد أدخلت
ثابتا لحده ومعى فلان فلما سوينا عليه اللبن سقطت لبنة فاذا هو يصلى فى قبره وكان يقول يارب
ان أعطيت أحدا أن يصلى فى قبره فاعطنى ذلك وقال الذين ينقلون الجص كنا اذا مررنا بجنبات قبر
ثابت سمعنا قراءة القرآن وقال أبو نعيم فى حليته قال طاوس لابنه اذا أقبرتنى فانظر فى قبرى فان لم
تجدنى فاحمد الله وان وجدتنى فانا لله وانا اليه راجعون فنظر ابنه فى قبره فلم يجد شيأ فرأى فى
وجهه السمر وروى من كتاب مطالع الاهلة ليحيى بن محمد قال وعن ذى النون المصرى رضى الله عنه

قال رأيت فتى فى فناء الكعبة جالسا يبكى فقلت له يافتى مايبكيك فقال أنا الغريب المطلوب فعرفت معنى كلامه فجلست أبكى معه وهو يجود بنفسه فلم أزل معه حتى قضى نحبه فخرجت فاشتريت له كفنا ثم عدت فلم أره فقلت سبحان الله ومن سبقنى بحظى من ثوابه فاذا هاتف يهتف بى ياذاالنون هذا الغريب الذى طلبه ابليس فى الدنيا فلم يره وطلبه منكر ونكير فلم يرياه وطلبه رضوان خازن الجنة فلم يره قلت فاين هو ياسيدى قال فى مقعد صدق عند مليك مقتدر قال وحكى عن ابن السماك رحمه الله تعالى انه قال وصف لى رجل من الخائفين ببعض جبال الشام فاتيته زائرا فقال لى ماالذى أتى بك الى هذا المكان فقلت له سمعت بامرك فاردت أن أزاك فقال غرك من أخبرك أنا أعرف بنفسى فاقمت عنده أياما فلما أردت الرجوع الى أهلى قلت له هل لك من حاجة تشرفنى بها فقال لى ياابن السماك من حبس نفسه فى هذا المكان لم تبق له حاجة فى مكان فهل لك أنت من حاجة قلت نعم حاجتى أن تخبرنى بما تحب من أمر الدنيا والآخرة فبكى وقال لى ياأخى وما سؤالك عن هذا فقلت أردت أن أسمع منك شيأ أنتفع به فقال لى ياأخى أما ماأحب من أمر الدنيا فامكان قوة على الطاعة والعمل ونفس بعيدة عن اللهو والكسل والامل وقلب حشوه الخوف والوجل وأما الذى أحبه من أمر الآخرة فسماعى لقوله عز وجل اذهب فقد غفرت لك وعفوت عنك ثم أعود رمادا تمجه أنفس الخلائق يوم لاينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون ثم سقط الى الارض فاذا هو ميت رحمة الله عليه فاشتد ذلك على واستوحشت من موته وتحيرت فى دفنه فهتف بى هاتف من بين الجبال أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول ياهذا هون عليك فليس أمره اليك ان الله تبارك وتعالى وعده أن تتولى الملائكة أمره ثم حيل بينى وبينه فلم أره ومن رسالة الشيخ الصالح أبى عبد الله محمد بن مالك الانطاكى قال رحمه الله تعالى دخلت عبادان وكنت أعرف بها رجلا يعرف بالبدوى فسألت عنه فقيل لى توفى رحمه الله وكان بعبادان رجل يحفر القبور للسبيل قال لى لما مات البدوى قمت أحفرله القبر فلما بلغت اللحد أردت أن ألحد له فسقطت لبنة من قبل اللحد الى قبر أمامه فنظرت الى القبر الذى سقطت منه اللبنة فاذا أنا بشيخ جالس فى القبر عليه ثياب بيض تتقعقع وفى حجره مصحف من ذهب مكتوب بالذهب وهو يقرأ فيه فرفع رأسه الى وقال لى قد قامت القيامة رحمك الله قلت لا قال رد اللبنة عافاك الله فرددتها ومضيت ومن كتاب التحف والطرف للقاضى أبى عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرى بفتح الميم وبفتح القاف المشددة قال رحمه الله حدثنى خطيب الحضرة المتوكلية الشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن عباد الرندى انه حضر برندة جنازة قريب له قال فنزلت فى قبره فلما جعلنا الالواح على اللحد ولم نجعل التراب فى الحفرة بعد رأيته من شق مابين اللوحين كأنه جلس وجعل ينفض التراب عن وفرته بتحريكه رأسه يمينا وشمالا فطلعت من الحفرة وأخبرت والدى بذلك فقال لى ذلك أمر قد خيل لك ففهمت أنه يريد صرف التوهم عنى خوفا على واشفاقا لان يصيبنى أمر قال وأنا لاأشك فى كون مارأيت من ذلك كما رأيت ومن كتاب الصفوة للجوزى قال رحمه الله وعن غيلان صاحب سرى السقطى قال كان لسرى تلميذة وكان لها ولد عند المعلم فبعث به المعلم الى الرحى فنزل الصبى فى الماء فغرق فجاء المعلم الى سرى فاخبره بذلك فقال سرى قوموا بنا نمضى الى أمه فجلسوا عندها وتكلم سرى فى علم الصبر ثم تكلم فى علم الرضى فقالت له ياأستاذ وأى شئ تريد بهذا فقال لها ان ابنك غرق فقالت ابنى ابنى قال لها نعم فقالت ان ربى عز وجل مافعل هذا ثم عاد سرى فى كلام الصبر والرضى فقالت قوموا بنا فقاموا معها حتى انتهوا الى النهر فقالت أين غرق فقالوا ههنا فصاحت ابنى محمد فأجابها لبيك ياأماه

فنزلت

فنزلت فأخـذت بيده ومضت به الى منزلها قال غلمان فالتفت سرى الى الجنيد وقال أى شئ هذا
هذا فقال الجنيد أتأذن لى أن أقول قال قل قال ان المرأة مراعية لما لله عز وجـل عليها وحكم من
كان مراعيا لما لله عز وجل عليه أن لايحدث الله عز وجل حادثة حتى يعلمه بذلك فلما لم تكن
حادثة لم يعلمها بذلك فانكرت وقالت ان ربى عز وجل مافعل ذلك (قلت) وهذا جواب حسن
ويحتمل وهو الاظهر أن تكون الجواب مايفهم الآن من جواب ابراهيم الخواص وذلك انه سألته
امرأة من المتعبدات عن تغير وجدته فى حالها فقال لها عليك بالتفقد فقالت قد تفقدت فما رأيت
شيأ فاطرق الخواص ساعة ثم رفع رأسـه وقال أما تذكرين ليلة المشعل فقالت بلى فقال هذا التغير
من ذلك فقالت نعم كنت أغزل فوق السطح فانقطع خيطى فرمشعل السـلطان فغزلت فى ضوئه
خيطا ثم أدخلت ذلك الخيط فى غزل ونسجت منـه قميصا ولبسته ثم قامت الى ناحيـة ونزعت
القميص وقالت ياابراهيم ان أنا بعته وتصدقت بثمنه يرجع قلبى الى الصـفا قال ان شاء ووجه
الشاهد من هذا ان المرأة الاولى لم تحدث حدثا يوجب تغير حالها أنكرت غرق ولدها ان الله لايغير
مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم (قلت) وقد تقدم حديث جابر رضى الله عنه فى الشهداء قال رأيت
الشهداء يخرجون على رقاب الرجال كأنهـم رجال نوم وذلك بعـد ست وأربعين سـنة وان المسحاة
أصابت قدم حمزة رضى الله عنه فانبعثت دما وفى رواية فانفطرت دما فقال أبو سعيد الخدرى لاينكر
بعد هذا منكر أبدا وتقدم ان بعضهم جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت يده
عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين أحد وبين يوم حفر عنهم ست وأربعون سنة رواه
مالك فى الموطأ ورواه غيره وقد تقدم ماحكيناه عن الولى الصالح العلمى انه قال كنت ضيفا بالبادية
فصليت المغرب وجلست أتلو سورة يس وبازائى قبر فاذا صاحب القبر قد خرج من قبره و جلس
بازائى يسـتمع قراءتى قال فبقى كذلك يستمع قراءتى الى ان صاح بى صاحب المنزل للطعام فلما سمع
الصياح رجـع الى قبره قال هذا الشيخ أعاد الله علينا من بركاته كنت يوما خارج بجاية فاقبلت الى
المدينـة عشـية فوجـدت باب السور مغلقا فرجعت الى مسجد هنالك عند رأس السـاقيـة بقرب
جبانة الشيخ العالم الربانى سـيدى عبد الرحمن الوغليسى رحمـه الله تعالى قال فبت فى المسجد فلما
ذهب بعض الليل قمت الى الوضوء فنظرت الى الجبانة فاذا أنا بالشيخ سيدى عبد الرحمن الوغليسى
وجماعة من أصحابه الموتى جلوس يتذاكرون العلم كما كانوا فى الدنيا (قلت) وهذا الرجـل كان
صاحب كرامات وانما يطلع على مثـل هـذه العجائب أولياء الله سبحانه لانهم مع الخلق بأجسادهم
ومع الله سبحانه بقلوبهم وانما حظ من لم يصل درجتهم الايمان والتصـديق بما نقل عنهم وحدثنى
الثقة الصدوق عن الفقيه الصالح عمر بن موسى الرجراجى انه كتب الى الشيخ الولى محمد الهوارى
يخبره عن شيخ كبير كثير التلاوة للقرآن اسمه على بن عمر انه دخل مكة لزيارة امام المقام أبى عبد الله
الطبرى قال فوجدناه فى حال النزع فقال لنا أنا أحدثكم بحديث فلولا انى فى هذا الحال ماحدثت
به مات عندنا غريب فاخرجناه الى باب المعلى حيث المقبرة فوضعناه لاصلاح القبر وجلسنا ثم انه
استوى جالسا فقلنا يافلان ألست قدمت قال بلى ولكن رجعت لاحدثكم وأبشركم أنفع ماعندنا
صحبة الصالحين وموالاتهم ثم رجع ميتا فقال لنا الطبرى الله حسيبى ان كذبت عليه وقال لى على
ابن عمر الله حسيبى ان كذبت على الطبرى قال الرجراجى وأنا الله حسيبى ان كذبت على على بن
عمر حدثنى به غير ما مرة

﴿باب ذكر حكايات فى الشهداء﴾

ومن كتاب روضة الحقائق المنسوب للفقيه أبي عبد الله بن الخلال قال رحمه الله وعن شهر بن حوشب أنه قال كنت فى غزوة واذا برجل يبكى أشد البكاء وهو يقول يا أهلاه فقمت اليه فقلت له يا عبد الله انك تقفل الى أهلك غدا فاتق الله واصبر فقال لى لست أبكى على أهلى الذين فارقت فى فى الدنيا ولكنني أتيت آنفا فى المنام فقيل لى انطلق الى زوجتك العيناء فانطلقت فدفعت الى أرض لم أر أحسن منها واذا بجوار لم أر أحسن منهن ولا من ثيابهن فسلمت عليهن فرددن على السلام فقلت أفيكن العيناء فقلن لا ولكن نحن خدمها وهى فى تلك القبة فاذا هى من درة بيضاء واذا هى جالسة على كرسى من ياقوتة حمراء وفضول عجيزتها خارجة من السرير فسلمت عليها فردت على وجلست اليها فحدثتنى وحدثتها ثم ذهبت لانهض فاخرجت معصما لها كما شاء الله لا يقدر على وصفه ثم قالت ما أنت بمفارقنا حتى تعاهدنا الله ان تبيت عندنا هذه الليلة القابلة فعاهدتها على ذلك ثم انتبهت فعليها أبكى ثم أخذ فى البكاء ونودى فى الخيل ففزع الناس الى خيولهم وسلاحهم وقتال عدوهم فكان أول قتيل قتل منا قال شهر بن حوشب لقد بات تلك الليلة عند زوجته العيناء وعن عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى قال بلغنا ان قوما من المسلمين ناهضوا حصنا من حصون العدو فوقعت صخرة من المنجنيق على صخرة فطارت منها شظية فصادفت ركبة رجل يقال له نجيح فاغمى عليه فرئى يضحك حتى بدت نواجذه ثم بكى حتى سالت دموعه ثم فتح عينيه فسئل عن ذلك فقال رأيت قد انطلق بى الى غرفة من ياقوتة حمراء فاذا امرأة عجبت من نورها وجمالها وبهائها وحسنها فقالت مرحبا بالجائى الذى لم يكن يسئلنا من الله تعالى انى لست كفلانة زوجتك فى الدنيا التى تفعل بك كذا وكذا فجعلت تذكرنى كلما فعلت بى زوجتى فى الدنيا فضحكت من ذلك فمددت يدى اليها فقالت تأتنا غدا عند صلاة الظهر فبكيت لما حرمت منها فقتل عند الظهر ولحق بها وروى عن اسماعيل بن حيان انه قال كنا محاصرين حصنا من حصون فخرج منا رجلان الى الحصن فقال أحدهما للآخر هل لك أن نغتسل لعل الله يهب لنا الشهادة فقال له صاحبه ما أريد ان أغتسل فاغتسل الآخر فلما فرغ من غسله أتاه حجر من الحصن فاصابه فخر صاعقا فمررت به وهم يحملونه الى خبائه فسألت عن شأنه فاخبرونى فانصرفت الى أصحابى فقصصت عليهم شأنه ثم رجعت اليهم وهم يشكون فيه هل مات أو بقيت فيه بقية من روح فبينما نحن كذلك اذ ضحك فقلنا والله انه لحى ثم مكثنا مليا فضحك أخرى ثم مكثنا مليا ثم بكى وفتح عينيه فقلنا ابشر يا فلان فلا بأس عليك ثم قلنا له لقد رأينا منك عجبا نحن نظن انك قدمت فرأيناك تضحك ثم مكثنا مليا ثم ضحكت ثم مكثنا مليا ثم بكيت فقال انى لما أصابنى ما أصابنى أتانى رجل فاخذ بيدى فمضى بى الى قصر من ياقوت فوقف بى على الباب فخرج الى غلمان متشمرين لم أر مثلهم قط فقالوا مرحبا بسيدنا وأهلا فقلت من أنتم بارك الله فيكم فقالوا نحن خلقنا الله سبحانه لك ثم مضى بى حتى أتا بى الى قصر آخر فخرج الى منه غلمان أحسن من الاولين فقالوا مرحبا وأهلا بسيدنا فقلت من أنتم بارك الله فيكم فقالوا نحن خلقنا الله لك ثم مضى بى حتى وقف بى على بيت لا أدرى أمن ياقوت هو أم من زمرد أم من لؤلؤ فخرج الى منه غلمان متشمرين أنسونى الذين كانوا من قبلهم فقالوا مرحبا وأهلا وسهلا بسيدنا فقلت من أنتم فقالوا نحن خلقنا الله لك ثم مضى بى حتى وقف بى على بيت مبسوط ببساط عليه فرش مرفوعة بعضها فوق بعض ونمارق مصفوفة سماطين فادخلنى فى البيت وفيه

بابان باب عن يميني وباب عن يساري فالقيت نفسي على النمارق فقال لي أقسمت عليك الا ماألقيت نفسك على هذه الفرش فانك قد تعبت في يومك هذا فالقيت نفسي على تلك الفرش فما وضعت جنبي على مثلها قط فبينما أنا كذلك اذ سمعت حسا من أحد ذينك البابين فنظرت فاذا بامرأة لم أر مثلها جمالا ولا مثل لباسها فاقبلت حتى وقفت على فسلمت فرددت عليها السلام فقلت من أنت بارك الله فيك قالت أنا زوجتك من الحور العين قال فضحكت فرحا بها فاقبلت تحدثني وتذكرني نساء الدنيا كأن ذلك معها في كتاب فبينما أنا كذلك اذ سمعت حسا من الباب الآخر فاذا بامرأة أحسن من الاولى فاقبلت حتى وقفت على فنحو مافعلت الاولى فاقبلت عليها وتركتني الاخرى لها فددت يدي الى احداهما فقالت كما أنت ان ذلك لم يأن لك ان ذلك مع صلاة الظهر ثم ذهبتا عني فلذلك بكيت قال ابن حبان فوالله ماصلينا الظهر حتى مات ولحق بهما في الجنة قال أبو نعيم في الحلية ومن الاولياء الديلي الأسور قال الوليد بن مسلم غزا المسلمون غزوة فيهم الديلي رحمه الله فاسرته الروم فصلبوه على الدقل يعني صاري المركب فلما رآه المسلمون مصلوبا حملوا على الروم حملة وأخذوا المركب الذي فيه الشيخ فانزلوه من الدقل فقال اعطوني ماء أصبه علي قالوا لم تصب عليك الماء قال نعست نعسة فرأيت نفسي كأني على نهر فيه وصائف فددت يدي الى واحدة منهن فافترعتها فاصابتني جنابة وذكر الجوزي في الصفوة قال قال عبد الرحمن بن زيد حرضت الناس على الغزو فقرأ القارئ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فقام غلام له تقدير خمس عشرة سنة وقد مات أبوه وورث منه مالا كثيرا فقال ياعبد الرحمن اني أشهدك اني قد بعت نفسي ومالي بأن لي الجنة وأخذ من جميع ماله فرسا ورمحا وآلة حرب ونفقة الغزو وتصدق بالباقي وخرج يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا فلما وصلنا الى بلاد الروم أقبل يوما يقول واشوقاه الى العيناء المرضية فقلنا ماالخبر فقال رأيت في المنام كأني في روضة فيها نهر من ماء واذا على شاطئ النهر جوار عليهن من الحلي والحلل مالايقدر قدره فلما رأينني استبشرن وقلن هذا زوج العيناء المرضية وقلن نحن خدمها امض امامك فاذا نهر جار من عسل مصفى وحوالية من النور ماأنساني ماخلفي وهناك جوار فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية فقلن ياولي الله نحن خدمها تقدم أمامك فتقدمت فرفعت لي خيمة من درة مجوفة وعلى باب الخيمة جارية عليها من الحلي والحلل مالاأحسن وصفه فلما رأتني استبشرت ونادت أيتها العيناء المرضية هذا بعلك فدخلت عليها وهي على سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت فقالت لي مرحبا ياولي الله قد دنا قدومك علينا فدنوت منها فقالت مهلا فان فيك روح الحياة والليلة تفطر عندنا ان شاء الله ثم انتبهت قال عبد الرحمن بن زيد فما فرغ من كلامه حتى أقبلت الينا سرية من العدو فحملنا عليها فقتل الغلام منهم تسعة ثم قتل فمررت به وهو يضحك الى ان خرجت روحه اللهم من علينا بخير الدارين بلا محنة بفضلك كما يليق بفضلك والزيادة من فضلك كما يليق بفضلك في عافية بلا محنة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ياأخي تأمل حال القوم فان كنت تحب ان تنال من خير مانالوا فاسلك سبيلهم واياك ان تتمنى اللحوق بالابرار وأنت تتخلق باخلاق الفجار

تبغي اللحوق بلا زاد تقدمه * ان الحقين لما شمروا وصلوا
لا تركنن الى الدنيا وزخرفها * فانت عن عاجل الدنيا ستنتقل
أصبحت ترجو غدا يأتي وبعد غد * ورب ذي أمل قد خانه الامل
عش ماشتهيت أليس الموت آخرها * ترجو ولابد أن يأتي لك الاجل

هذا شبابك قد زالت بشاشته * ما بعد شيبك لا لهو ولا جذل
ضيعت عمرك فيما لا بقاء له * وفي انتهاز المنايا للفتى شغل
كم قد مضى سلف في اثره خلف * وكم غدت دول في اثرها دول
قضوا لبانتهم حتى اذا انقرضوا * لم يبق الا حديث سار أو مثل
ماذا التعلل بالدنيا وقد نشرت * لاهلها صحفا في طيها علل
شرورها دائم بشبانها خرب * وأمنها عارض يعتاده وجل
لا تستقيم على حال لطالبها * ولا لحادثها ان صارمت مهل
فاندب حياتك يا رهين الممات فقد * بدا بفوديك شيب تحته الوجل

قال أبو نعيم في حليته قال عبد الواحد بن زيد كنا في غزاة لنا فنزلنا منزلا فنام أصحابي وقمت اقرأ حزبي فجعلت عيناي تغالباني وأغالبهما حتى استتممت حزبي ثم قلت في نفسي لو نمت كما نام أصحابي كان أروح لبدني فاذا أصبحت قرأت حزبي قال ثم نمت فرأيت في منامي شابا جميلا بيده ورقة بيضاء كأنها الفضة فقلت يافتى ماهذه الورقة قال فدفعها الي فاذا فيها مكتوب

ينام من شاء على غفلة * والنوم كالموت لا تتكل
تقطع الاعمال فيه كما * تقطع الدنيا عن المنتقل

قال وكان عبد الواحد يردد هذا الكلام كثيرا ويبكي وقال عبد الواحد الاجابة مقرونة بالاخلاص لافرقة بينهما قال مسمع بن عاصم قال لي عبد الرحمن بن زيد من نوى الصبر على طاعة الله صبره الله عليها وقواه لها ومن عزم على الصبر عن معاصي الله أعانه الله على ذلك وعصمه منها وقال يا أبا يسار أتراك تصبر فيخيب مولاك صبرك لقد ساء ظنك بمولاك قال أبو عبد الله محمد بن مالك الانطاكي في رسالته حدثني علي المصري قال كنت ببلاد الروم فصحبنا رجل لا يأكل ولا يشرب فقلت له مارأيتك تأكل شيأ من القوت وانما الناس يقيمون اليوم واليومين والثلاثة أو سبعة أيام وأنت لك احد عشر يوما ما أكلت ولا شربت قال اذا دنا فراقي منكم حدثتكم بحديثي فلما سرنا الى سد الحوارث قلت له حدثنا ماوعدتنا قال نعم كنت مع جماعة في غزوة نحوا من أربعمائة رجل فخرج علينا العدو فاصابنا كلنا وجرحت أنا فكنت بين القتلى فلما كان وقت غروب الشمس حسست برائحة لينة في الهواء ففتحت عيني فاذا أنا بجوار عليهن ثياب مارأيت مثلهن وفي أيديهن كاسات يصببن منها في أفواه القتلى فغمضت عيني حتى وصلن الي فقالت واحدة منهن صبوا في حلق هذا واعجلوا قبل أن تغلق أبواب السماء فنبقى في الارض فقالت احداهن أنسقيه وفيه رمق قالت الاخرى لا بأس عليه يا أختي فصبت في حلقي فانا منذ شربت ذلك الشراب لا أحتاج الى طعام ولا الى شراب وذكر الفقيه شاكر بن مسلم عن ابن حبيب عن ابن الماجشون عن أبيه عن الدراوردي ان رجلا من أهل الشام كان قائما في اندرله يعالجه ومعه زوجته وكان لهما ابن صالح كان مات شهيدا قبل ذلك بقريب فنظر الرجل الى ناحية غير بعيد فرأى فارسا مقبلا نحوه فقال لامرأته ألا تنظرين الى هذا الفارس ماأشبهه بابننا فلان فقالت له يرحمك الله اخز الشيطان وكيف يكون ذلك وابنك قد مات فاقبل الرجل على شغله فما لبث ان وقف عليهما وسلم عليهما فنظرا اليه وردا عليه السلام فتأملاه فاذا هو ابنهما فقاما اليه خجلين من الفزع باهتين من السرور متعجبين من الامر فقال لهما مكانكما لست لكما ولستما لي ولا جئت اليكما وانما جئت الى غيركما فمررت على طريقكما فزرتكما وذلك ان عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين مات

فاستاذن

فاستأذن الشهداء ربهم سبحانه فى حضور جنازته فاذن لهم وأنا منهم ثم جعل يسئلهما عن حالهما ويعظهما و يعدهما من الله بجميل ثم دعا لهما وسلم عليهما فبذلك عرف أهل تلك البلد موت عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى

﴿ باب ماجاء ان الميت يعذب ببكاء أهله عليه ﴾

وفى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت ليعذب ببكاء أهله عليه و روى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الميت ليعذب ببعض بكاء أهله عليه و روى مسلم عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من نيح عليه فانه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة وروى مسلم من حديث أبى مالك الاشعرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب قال القرطبي قال بعض العلماء أو أكثرهم وانما يعذب الميت ببكاء الحي عليه اذا كان البكاء من سنة الميت أو اختياره أو أوصى به قال القرطبي وقد روى مايدل على ان الميت يصيبه عذاب ماوان لم يكن من سنته ولامن اختيازه ولا ماأوصى به وقد روى أبو هدبة قال حدثنا أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان العبد الميت اذا وضع فى قبره وأقعد قال يقول أهله واسيداه واشريفاه وا أميراه قال يقول الملك اسمع مايقولون أنت كنت سيدا أنت كنت اميرا أنت كنت شريفا قال يقول الميت ياليتهم يسكتون قال فيضغط ضغطة تختلف فيها أضلاعه ومن حديث قيلة بنت مخرمة انها بكت على ولدها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيغلب أحيدكم ان يصاحب صويحبة فى الدنيا معروفا فاذا حال بينه و بينه من هو أولى به منه استرجع ثم قال اللهم آسنى فيما أمضيت وأعنى على ماأبقيت فوالذى نفس محمد بيده ان أحيدكم ليبكى فيستعبر له صويحبه ياعباد الله لاتعذبوا موتاكم رواه ابن أبى خيثمة وأبو بكر بن أبى شيبة وغيرهما وهو حديث معروف وفى الباب أحاديث تدل على هذا المعنى تركناها طلبا للاختصار (قلت) فينبغى لمن يخاف أن يبكى عليه أن ينهى أولياءه عن البكاء عليه ليسلم من هذا العذاب كما فعل عمر رضى الله عنه ففى صحيح مسلم لما أصيب عمر رضى الله عنه جاء صهيب وهو يقول وا أخاه واصاحباه فقال عمر أم تعلم أولم تسمع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت ليعذب ببعض بكاء أهله عليه وفى رواية ياصهيب أتبكى على وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث قال الشيخ أبو محمد عبد الحق ان الميت يتأذى ببكاء أهله عليه كما تقدم وربما تأذى كذلك ببكاء غير أهله ويروى عن أبى بكر بن اللباد قال حدثتنى عائشة الاندلسية وكانت من الصالحات قالت توفى لى ولد بمصر فقدمت القيروان فكنت أخرج الى المقابر فى باب سلم فاجلس عند قبر وأبكى فرأيت ذات ليلة كأنى خرجت الى باب سلم على عادتى واذا أهل القبور قعود على أفنية قبورهم الرجال والنساء والصبيان فلما أقبلت الى الموضع الذى كنت أبكى عنده سمعت أهل القبور يقولون قد جاءت هذه المرأة ألها عندنا قبر تبكى عليه قالوا لا قالوا فلم تؤذينا ببكائها قالت ثم لطمنى منهم ميت فى خدى الايمن قالت فقلت لهم أتلطمون خدى وقد مسست به الركن والحجر الاسود فقالوا لى قبرك بمصر وتؤذينا أنت ههنا قالت فانتبهت وأثر اللطمة فى خدى قال أبو بكر فكشفت لى عن خدها فرأيت أثر سواد أقام نحوا من أربعين يوما ثم تقشر فذهب

﴿ باب ذكر منامات رئيت لبعض الصالحين تدل على ماهم فيه من الخير ﴾

قال صالح بن بشر رأيت عطاء السلمى فى النوم بعد موته فقلت له يرحمك الله لقد كنت طويل الحزن فى الدنيا فقال أما والله لقد أعقبنى ذلك فرحا طويلا وسرورا دائما فقلت فى أى الدرجات أنت فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين قال أبو نعيم فى الحلية قال عبد العزيز بن محمد رأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول من يحضر من يحضر فأتيته فقال ماتريد قلت سمعتك تقول من يحضر من يحضر فأتيتك أسألك عن معنى كلامك فقال لى أما ترى القائم الذى يخطب للناس ويخبرهم عن أعلى مراتب الاولياء فادرك فلعلك تلحق وتسمع كلامه قال فأتيته واذا الناس حوله وهو يقول

مانال عبد من الرحمن منزلة * أعلى من الشوق وان الشوق محمود

قال ثم سلم ونزل فقلت لرجل الى جنبى من هذا قال أما تعرفه هذا داود الطائى فعجبت فى منامى منه فقال أتعجب مما رأيت والله الذى لداود عند الله من الزلفى أكثر من هذا وأكثر ولما مات سفيان الثورى رئى فى المنام فقيل له مافعل الله بك قال وضعت أول قدمى على الصراط والثانى فى الجنة وقال صخر بن راشد رأيت عبد الله بن المبارك فى النوم بعد موته فقلت أليس قدمت قال بلى قلت فما صنع الله بك قال غفر لى مغفرة أحاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثورى قال بخ بخ ذاك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وعن قبيصة ابن سفيان قال رأيت سفيان الثورى فى المنام بعد موته فقلت له مافعل الله بك فقال لى

نظرت الى ربى عيانا فقال لى * هنيئا رضاى عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما اذا الليل قد دجا * بعبرة محزون وقلب عميد
فدونك فاختر أى قصر تريده * وزرنى فانى منك غير بعيد

وعن أبى عيينة قال رأيت سفيان الثورى وقد مات كأنه يطير فى الجنة من شجرة الى نخلة ومن نخلة الى شجرة وهو يقول لمثل هذا فليعمل العاملون قيل له بم أدخلت الجنة قال بالورع والورع قيل له فما فعل على بن عاصم قال مانراه الامثل الكوكب وكان شعبة بن الحجاج ومسعر بن كدام رجلين فاضلين جليلين وكانا من ثقاة المحدثين وحفاظهم قال أبو أحمد اليزيدى فرأيتهما فى النوم وكنت الى شعبة أميل منى الى مسعر فقلت له ياأبا بسطام مافعل الله بك فقال وفقك الله يابنى احفظ ماأقول ثم أنشأ يقول

حبانى الهى فى الجنان بقبة * لها ألف باب من لجين وجوهرا
وقال لى الجبار ياشعبة الذى * تبحر فى جمع العلوم وأكثرا
تمتع بقربى اننى عنك ذو رضى * وعن عبدى القوام فى الليل مسعرا
كفى مسعرا عزا بان سيزورنى * وأكشف عن وجهى ويدنو لينظرا
وهذا فعالى بالذين تنسكوا * ولم يألفوا فى سالف الدهر منكرا

قال أبو نعيم فى الحلية قال ابن السماك رأيت مسعرا فى المنام فقلت ألست قدمت قال بلى قلت فاى العمل وجدت أنفع قال ذكر الله وروى أبو نعيم عن سفيان بن عيينة عن مسعر انه قال ان الجنة والنار لقمتا السمع من بنى آدم فاذا قال العبد اللهم انى أسألك الجنة قالت الجنة اللهم بلغه واذا قال اللهم انى أعوذ بك من النار قالت النار اللهم أعذه فاذا لم يذكرهما قالت الملائكة أغفل

العظيمتين وقال أبو جعفر السقاء رأيت بشر بن الحارث فى النوم بعد موته فقلت له أبا نصر مافعل الله بك فقال الطفنى ورحمنى وقال لى يابشر لو سجدت لى فى الدنيا على الجمر ماأديت شكر ماحشوت قلوب عبادى منك وأباح لى نصف الجنة فاسرح فيها حيث شئت ووعدنى أن يغفر لمن حضر جنازتى فقلت مافعل أبو نصر التمار قال ذاك فوق الناس لصبره على بنياته وفقره قال عبد الحق لعله أراد بقوله أباح لى نصف الجنة يريد نصف نعيم الجنة لان نعيم الجنة نصفان نصف روحانى ونصف جسمانى فيتنعمون أولا بالروحانى فاذا ردت الارواح الى الاجسام أضيف لهم النعيم الجسمانى الى الروحانى والله سبحانه أعلم بما أراد (قلت) وهذا تأويل حسن ويؤيده ماذكره صاحب عنوان الدراية قال أخبرنى بعض الاصحاب ان بعض الطلبة وقع بينهم نزاع فى فهم بعض الاحاديث المروية عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا مات المؤمن أعطى نصف الجنة فتردد الكلام بينهم فى ان مؤمنين اذا ماتا استحقا الجنة وبقى الناس أجمع دون شئ فساروا الى مجلس الشيخ أبى مدين رضى الله عنه ليطلعوا على ماعنده فى المسئلة فلما استقربهم الجلوس فى مجلسه وكان حديثه فى ذلك المجلس على رسالة القريشى رحمه الله تعالى فترك كلامه الذى كان يتحدث فيه وقال نزيل الاشكال عن أصحابنا ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات المؤمن أعطى نصف الجنة أراد صلى الله عليه وسلم نصف جنته لان كل مؤمن له جنة تخصه ومكان يستحقه واذامات أعطى نصف جنته واذا كان بعد الحشر يعطى النصف الثانى من جنته فبعد البعث تكمل له جنته وفى القبر يعطى نصف جنته وبين انه ينكشف له فى القبر عن مقعده من الجنة وانه يتنعم برؤيته وان أرواح المؤمنين تسرح فى الجنة وفى يوم القيامة تتصل الارواح بالاجساد ويجتمع الجميع فى الجنة قال صاحب عنوان الدراية وفى هذا من العلم مالا ينتهى الى حقيقته الا أهل الصفاء وخاصة الاولياء جعلنا الله سبحانه منهم بمنه وسعة جوده قال وهذه احدى كرامات أبى مدين رضى الله تعالى عنه حيث أخبرهم بما أتوا اليه قبل أن يخبروه قال أبو محمد عبد الحق كان من دعاء بعض الصالحين اللهم ياسيدى حبست من شئت عن خدمتك وأطلقت لها من أحببت من خلقك غير ظالم ولا مسؤل عن فعلك وقد تقدمت لى فيك آمال فلا تجمع على المنع من الطاعة مع خيبة الامل فيك يا كريم وكان هذا خاتمة دعائه فلما مات رئى فى المنام فى الجنة فقيل له بم نلت هذا قال بذلك التضرع والاستكانة بالاسحار قال ورئى عليه حلة قال الرائى مارأيت لها شبيها وعليها مكتوب بالذهب انعم فقد نلت الامل انعم فقد نلت الامل فقلت له ماهذا الكتاب على ثيابك قال هذا خاتمة تضرعى وأملى الذى كنت آمله من سيدى وقال بعض الصالحين رأيت أبا بكر الشبلى واذا به قد أقبل وعليه ثياب حسان فسلمت عليه وقلت ياسيدى من أقرب أصحابك اليك فقال مسرعا الهجهم بذكر الله واقومهم بحق الله وأسرعهم مبادرة الى أمر الله وقال أبو عبد الرحمن الساحلى رأيت ميسرة بن مسلم فى المنام بعد موته فقلت له أصلحك الله طالت غيبتك فقال السفر طويل قلت فما الذى قدمت عليه فقال رخص لنا لانا كنا نفتى بالرخص قلت فما تأمرنى به فقال اتباع الآثار وصحبة الاخيار ينجيان من النار ويقربان من الجبار ويروى عن أبى جعفر الضرير قال رأيت عيسى بن زادان فى النوم بعد موته فقلت مافعل الله بك فانشأ يقول

لو رأيت الحسان فى الخلد حولى * وأكاويب معهم للشراب
يترنمن بالقرآن جميعا * يتمشين مسبلات الثياب

وروى عن عبد الكريم صاحب داود الطائى انه قال لما مات داود الطائى خرجت أهل الناس

فاذا هم يجيئون فقلت أين تريدون قالوا مات داود الطائى سمعنا مناديا ينادى الا ان داود قد مات فمن شهد جنازته وصلى عليه دخل الجنة قال فرأيته فى المنام وكأنى دخلت الجنة فاذا الجوارى على أبواب القصور فقلت ما حالكن فقلن ننتظر عبدا من عبيد الله يركب الى الله يزوره فوقفت فاذا بموكب من الملائكة فقلت أى شئ هؤلاء فقالوا مقدمة ثم أقبل موكب خدم يتدافعون فقالوا هؤلاء مقدمة وهم نحو المائة ألف خادم ثم أقبل غلمان فى أوساطهم مناطق كأنهم الياقوت والمرجان فقلت ماهؤلاء قالوا مقدمة قدر عشرين ألفا ثم أقبل جوار فى أرجلهن نعال الدر وعلى رؤسهن تيجان مرصعة بالدر قلت ماهؤلاء قلن مقدمة وهم نحو ثلاثمائة ألف فقلت ركب صاحبكم قالوا الساعة ركب فاذا هو قد أقبل فى قبة من الدر على نجيب من الكافور وحواليه جوار وغلمان على خيل لايعلم عددها الا الله تعالى فكشفت الريح بعض الستور فاذا داود على كرسى على رأسه أربعون ألف جارية وهو يقول الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين قلت داود قال لبيك قلت ادع الله أن يلحقنى بك قال ماهان لك ولكن احفظ عنى ثلاثا ولا تبالى متى لقيت الله تعالى قلت صف لى قال اقطع مفاوز الدنيا بالاحزان وداو قروح باطنك بمراهم الجوع وآثر حب الله على هواك ولا تبالى متى تلقاه ورئى حماد بن سلمة فى النوم فقيل له مافعل الله بك فقال قال لى طالما كددت نفسك فى الدنيا فاليوم أطيل راحتك وراحة المتعبين وقال أبو محمد بن اللباد الفقيه رحمه الله تعالى رأيت ربيعا القطان فى المنام فقلت مافعل الله بك فقال فى الجنة فقلت وكيف حالكم فيها فقال تارة تتزخرف لنا الجنان وتارة تشرف علينا الحور العين وتارة تصطك لنا الحجب وقال بعض الصالحين كان لى ولد فاستشهد فرأيته فى النوم ليلة مات عمر بن عبد العزيز فقلت له يابنى ألست ميتا قال لا ولكنى حى أرزق فقلت وما جاء بك فقال نودى فى أهل السماء لايبقى نبى ولا صديق ولاشهيد الا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فحضرت ثم جئت لاسلم عليكم وروى أبو نعيم فى الحلية عن ابن وهب قال رأى رجل سهل بن على فى المنام فقال له مافعل بك ربك قال نجوت بكلمة علمنيها ابن المبارك قلت ماتلك الكلمة قال قول الرجل يارب عفوك عفوك وقال نوفل رأيت ابن المبارك فى النوم فقلت مافعل بك ربك قال غفر لى برحلتى فى الحديث عليك بالقرآن قلت فما فعل سفيان الثورى قال ذلك عندهم فى مكان رفيع قلت فأين أنت اليوم قال فى روضة دهماء وقال محمد بن فضيل بن عياض رأيت بن المبارك فى النوم فقلت له ياأبا عبد الرحمن ماصنع بك ربك قال غفر لى مغفرة بعد مغفرة قلت له بأى شئ قال بتلاوة القرآن وأشار بيده نحو الثغور يريد الغزو ومن انشاد ابن المبارك قوله

هلا اقتديتم بسفيان ومسعركم * وبابن مغول اذ يجمعهم الورع
وبالتقى أخى طيىء فرابعهم * زين البلاد جميعا خيرة فرع
مثل القداح تراهم فى تهجدهم * سهر العيون فلا غمض ولاهجع
حلس البيوت جثوما فى منازلهم * الا النوائب تزعجهم أو الجمع
خمص البطون مع الاكباد جائعة * لايطعمون حراما انهم فزعوا
للناس هم وهم القوم أنفسهم * عند الحساب حصاد القوم مازرعوا

﴿فصل﴾ قال التادلى فى كتاب التشوف ومنهم أبو عبد الحليم يعقوب بن هرون الصديني من بلد تادلا كبير الشأن من أهل العلم والعمل له كرامات مات عام تسعة وخمسين وخمسمائة حدثنى موسى بن يوسف تلميذ أبى عبد الحليم قال لما مات أبو عبد الحليم حضر جنازته قوم جاؤا من مواضع

بغتة لا أدرى متى علموا بموته فلما استوت الصفوف للتكبير سمعوا تكبيرا قبالهم وتجاوبت به الاصوات قبل أن يكبر الناس فما شك الحاضرون انه تكبير بعض خلق الله سبحانه من غير الناس الحاضرين بجنازته فيقال انه تكبير الملائكة الذين صلوا عليه قال التادلى كان أبو ابراهيم المراكشى من الافراد أخبر أبو ابراهيم أنه رأى رب العزة سبحانه فى النوم فقال له يا اسحق أنا آخذ بيد السخى كلما عثر يقولها ثلاث مرات فلما أصبح أبو ابراهيم تصدق بجميع ماله وأعتق مماليكه وكان يتفقد الصبيان فى مكاتبهم فيسئل عن الايتام وأولاد الفقراء فيكسوهم ويشترى لهم الطرف فى أول اوانها فيفرقها عليهم وكان يجرد أولاده من اللباس ويكسوها أولاد الفقراء وكان شديد الصفرة من كثرة الصوم والعبادة فكان اذا صلى الصبح خرج الى دكانه يبيع فاذا أخذ مايكفيه ويكفى أصحابه تفرغ باقى يومه للعبادة وكان له اخوان يتفقدهم ويجرى عليهم مايكفيهم حدثنى غير واحد من الثقات قالوا حدثنا أبو عبد الله بن تميم أنه تكلم مع ابراهيم فى شأن القبلة وقد شرق أبو ابراهيم فقال له أبو ابراهيم لى منذ كذا وكذا سنة ما أكبر الا وأنا أعاين الكعبة وسمعت أبا عبد الله بن تميم يقول لما مات أبو ابراهيم حملنا نعشه فى الغلس فخرجنا من باب الدباغين فأبصرت النعش فوق أيدى حامليه وكلهم يظن انه كفاه غيره ورفعه عنه وقال محمد بن تميم لما رفع نعش أبى ابراهيم سمعت هاتفا يقول ارفعوا من رفعه الله وحدث موسى بن عبد الله الخلاص قال رأيت أبا ابراهيم بعد موته فسألت عن حاله فقال أما رأيتم حين كنتم تغسلونى اسرافيل واقفا فى مكان كذا من الدار وقال محمد بن تميم حدثنى موسى بن عبد الله قال رأيت أبا ابراهيم بعد موته فى النوم فقلت له يا أبا ابراهيم لو رأيت احتفال الناس بجنازتك فانها حضرها خلق كثير فقال لى لو رأيت احتفالها فى الآخرة لرأيت أمرا عظيما حضرها جبريل واسرافيل عليهما السلام ومد صوته باسرافيل حتى انتبهت من نومى قال محمد بن تميم وأخبرتنى امرأة حضرت جنازة أبى ابراهيم قالت لما اصطف الناس للصلاة عليه رأيت النخلات التى بحبرة الرقائق تأخرت حتى صارت خلف الجنازة فلما سلم الامام رأيتها قد عادت الى مواضعها (قلت) وكرامات الاولياء وما شوهد لهم من العجائب فكثيرة لايحيط بها ديوان قال الشيخ عبد الحق وقد شوهد من جنائز الصالحين من تشيعها الطير وتسير معها حيث سارت حدث بذلك الثقات ذكر أبو الحسن بن جهضم رحمه الله فى كتابه قال حدثنا محمد بن عبد الله بن جعفر بسنده عن محمد بن زبان المصرى قال لما مات أبو الفيض ذو النون المصرى رضى الله عنه بالجيزة وحمل فى قارب مخافة أن تنقطع الجسور من كثرة من يشيع جنازته من الناس وكنت قائما مع الناس على كوم أنظر فلما أخرج من القارب ووضع على الجنازة يعنى النعش وحمله الرجال على أعناقهم رأيت طيرا خضرا قد اكتنفت الجنازة ترفرف عليها حتى غاب عنى فحدثت بذلك خالى الحسن ابن يحيى فقال قد والله رأيت مثل هذه الطيور على جنازة أبى ابراهيم المزنى صاحب الشافعى وذكر مرثية رثاه بها فقال

ورأيت أعجب مارأيت ولم أكن * من قبل ذاك رأيته لمشيع
طيرا ترفرف نعشه وتحفه * حتى توارى فى حجاب المضجع
ثم احتجبن عن العيون ولم أحط * علما بكنه مصيره فى المرجع
وأظنها رسل الاله تنزلت * والله أعلم بالحقيقة فاسمع

ولما مات سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه انكب الناس على جنازته وحضرها من الخلق مالا يعلمه الا الله عز وجل وكانت فى البلد ضجة فسمع بها يهودى شيخ كبير فخرج فلما رأى الجنازة

صاح قال هل ترون ما أرى قالوا وما ترى قال أرى أقواما ينزلون من السماء يتمسحون بالجنازة ثم
أسلم فحسن اسلامه قال الشيخ عبد الحق وقد شوهد رجال من المسلمين علماء صالحون كثر الثناء
عليهم وصرفت القلوب اليهم فى حياتهم وبعد مماتهم ومنهم من كثر المشيعون لجنازته وكثر الحاملون
لها وربما كثر الله الخلق بما شاء من الملائكة والجن المؤمنين وغيرهم مما شاء فيكونون فى صورة
الناس حدث قاسم بن أصبغ بسنده عن محمد بن يزيد الرفاعى قال مات عمرو بن قيس الملائى
بناحية فارس فاجتمع بجنازته من الخلق مالا يحصى فلما دفن نظروا فلم يروا أحدا قال الرافعى سمعت
هذا ممن لا أحصى كثرة وكان سفيان الثورى يتبرك بالنظر الى عمرو بن قيس هذا

باب ماقيل فى القبور

قال الغزالى فى الاحياء قيل لعلى رضى الله عنه ماشأنك جاورت المقبرة قال انى أجدهم خير جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة وقيل ان عمرو بن العاصى رضى الله عنه نظر الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شئ لم تكن تصنعه قال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه من العمل فأحببت ان أتقرب الى الله بهما وقال أبو زيد بن نعامة هلكت جارية فى الطاعون الجارف فرآها أبوها فى النوم فقال لها يابنية اخبرينى عن الآخرة قالت ياأبت قدمت على أمر عظيم نعلم ولانعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان خير الى من الدنيا وما فيها قال بعض المشايخ رأيت متمما الدورقى فى المنام فقلت ياسيدى مافعل الله عز وجل بك فقال أدخلنى فى الجنان فقال يامتمم هل استحسنت منها شيأ فقلت لا ياسيدى فقال لو استحسنت منها شيأ لو كلتك اليه ولم أوصلك الى (قلت) مقام هذا الرجل مقام عالى مقامه مقام الفناء انما فرحه وسروره شرفه بمولاه وسئل زرارة بن أوفى فى المنام أى الاعمال أفضل عندكم قال الرضا وقصر الامل وقال يزيد بن مذعور رأيت الاوزاعى فى المنام فقلت ياأبا عمرو دلنى على عمل أتقرب به الى الله تعالى قال مارأيت هناك درجة أفضل من درجة العلماء ثم درجة المحزونين قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكى حتى أظلمت عيناه وقال ابن عيينة رأيت أخى فى المنام فقلت ياأخى مافعل الله بك فقال له كل ذنب استغفرت منه غفرلى ومالم أستغفر منه لم يغفرلى وقال على الطلحى رأيت فى المنام امرأة لاتشبه النساء فقلت لها من أنت فقالت حوراء فقلت زوجينى نفسك فقالت اخطبنى الى سيدى وامهرنى قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن آفاتها وروى عن أحمد بن أبى الحوارى انه قال دخلت على أبى سليمان الدارانى وهو يبكى فقلت له مايبكيك فقال ياأحمد بينما أنا نائم البارحة أتانى من أسمع صوته ولم أر شخصه فقال لى ياأبا سليمان القوم فى السير وأنت نائم غدا تدركك حسرة هذه النومة فان لك فى القيامة مكثا طويلا أما علمت ان هذه دار غموم وأحزان كفاك بذكر الله شغلا وسرورا وبذكر الآخرة حزنا وغموما ياأبا سليمان تنام والخدام قد نصبوا بين يدى مليكهم الاقدام وأبكى أعينهم والناس نيام فهم جيرانه فى دار السلام قال فانتبهت فزعا مذعورا وقمت الى الصلاة حتى اذا كان السحر ذهب بى النوم فى سجودى فرأيت جارية وقعت على كأنها القمر المستنير وعليها ثياب كأنها قطعة من نور فبقيت متعجبا من حسنها وحسن ثيابها فقالت لى تنام ياسرور قلبى أما علمت انى زوجتك أتنام غافل عن مثلى قم فان صلاتك نور وربك مشكور ونحن سكان القصور زوجنا ربنا من أقوام كرام الناس نيام وخطابنا قيام والناس يأكلون ويشربون وخطابنا صيام واجتماعنا فى دار السلام ثم صاحت ومرت فى الهواء فقال أبو سليمان

سبحان

سبحان من يعظ عبده فى نومه ويقظته وقال أحمد بن أبى الحوارى رأيت فيما يرى النائم جارية ما رأيت أحسن منها وكان وجهها يتلألأ نورا فقلت مم ذا ضوء وجهك فقالت تذكر تلك الليلة التى بكيت فيها قلت نعم قالت أخذت دمعك فمسحت به وجهى فمن ثم أضاء وجهى كما ترى قال القرطبى فى تذكرته قال مطر القارئ غلبنى النوم ليلة فنمت عن حزبى فرأيت فيما يرى النائم جارية كأن وجهها القمر المستتم ومعها رق فقالت أتقرأ أيها الشيخ قلت نعم قالت اقرأ هذا الكتاب ففتحته فاذا فيه مكتوب فوالله ما ذكرته قط الا وذهب عنى النوم

أألهتك المذائذ والامانى * عن الفردوس والظلل الدوانى
ولذة نومة عن خير عيش * مع الخيرات فى غرف الجنان
تيقظ من منامك ان خيرا * من النوم التهجد بالقرآن

وقال مالك بن دينار كانت لى أجزاء أقرؤها كل ليلة فنمت ذات ليلة فاذا أنا فى المنام بجارية ذات حسن وجمال وبيدها رقعة فقالت أتحسن تقرأ فقلت نعم ودفعت الى الرقعة فاذا فيها مكتوب هذه الابيات

لهاك النوم عن طلب الامانى * وعن تلك الاوانس فى الجنان
تعيش مخلدا لاموت فيها * وتلهو فى الخيام مع الحسان
تنبه من منامك ان خيرا * من النوم التهجد بالقرآن

وروى عن يحيى بن عيسى السعدى وكان قد بكى شوقا الى الله ستين عاما قال رأيت كأن صفة نهر يجرى بالمسك الاذفر حافتاه شجر اللؤلؤ ونبت من قضبان الذهب واذا بجوار من بنات يقلن بصوت واحد سبحان المسبح بكل لسان سبحان الموجود بكل مكان سبحان الدائم فى كل زمان سبحانه سبحانه قال قلت من أنتن قال قلن خلق من خلق الله سبحانه قلت ماتصنعن ههنا فقلن

برانا اله الناس رب محمد * لقوم على الاقدام بالليل قوم
يناجون رب العالمين الههم * وتسرى هموم القوم والناس نوم

فقلت بخ بخ لهؤلاء من هؤلاء لقد أقر الله أعينهم فقلن أما تعرفهم فقلت والله ما أعرفهم قلن هؤلاء المتهجدون بالليل أصحاب أنسهم وذكر القشيرى فى تحبيره عن أبى سليمان الدارانى رحمه الله تعالى أنه قال نمت ليلة فجاءتنى واحدة من الحور العين فركضتنى برجلها وقالت لى أتنام وأنا لك فقلت لانامت عينى بعدها فضحكت فخرج من فيها نور أضاء محرابى ومصلاى من نور وجهها فقلت لها من أين لك هذا الحسن فقالت أتذكر الليلة الفلانية وكانت ليلة باردة وقت وتوضأت وصليت ثم دعوت وبكيت فأخذت من دموعك دمعة وحملت الى ومسحت بها وجهى فضياء وجهى من تلك الدمعة ورأيت فى بعض كتب التذكير مانصه يروى أن رجلا قد نذر أن لايتزوج حتى يستشهد فى سبيل الله فيزوجه الله من الحور العين قال فطال عليه انتظار الشهادة حتى خرج غازيا مرة فحدث نفسه فى خروجه ان هو رجع من غزوته تزوج قال فلما قربوا من العدو أخذته عينه فنام فبينما هو نائم اذ أتاه ملك فقال له أنت القائل ان رجعت من سفرى تزوجت قم قد زوجك الله من العيناء قال فانطلق بى الى روضة خضراء لم ير اراؤن قط مثلها فيها عشر جوار كل واحدة منهن لاتشبه أخرى زينة فقلت لهن أفيكن العيناء قلن لانحن خدمها وهى أمامك قال فانطلقت فاذا أنا بروضة أعظم من الاولى وأحسن منها فيها عشرون جارية بيد كل جارية منهن صنعة تصنعها ليس كالعشرة الاولى فقلت لهن أفيكن العيناء قلن لانحن خدمها

هى أمامك فاذا أنا بروضة أحسن من الاولى والثانية وفيها أربعون جارية بيد كل جارية منهن صنعة تصنعها ليس كالاولى فى الحسن والجمال فقلت أفيكن العيناء قلن لانحن خدمها هى أمامك فانطلقت فاذا أنا بقبة من ياقوتة مجوفة فيها سرير عليه جارية لو أخرجت معصمها لافتتن بها أهل المشرق والمغرب فقلت أنت العيناء قالت نعم مرحبا بك ياولى الله قال فذهبت لاضع يدى عليها لما رأيت من الحسن والجمال فقالت مهلا عليك فان فيك الروح ولكن عندنا تفطر الليلة ان شاء الله ﴿قال الراوى﴾ الحديث فاستيقظ الرجل من نومه فوجد القتال قد اصطف وكانت الشمس دنت للغروب فما نظرت الى الشمس حتى التفت والرجل قد قتل فوصل الى العيناء فى ليلته وقد ذكرنا هذه الحكاية فى غير هذا المحل بسياق قريب من هذا قال الغزالى فى الاحياء قال محمد بن معاذ بن جبل حدثتنى امرأة من المتعبدات قالت رأيت فى منامى كأنى دخلت الجنة فاذا أهل الجنة قيام على أبوابهم فقلت ما شأن أهل الجنة قيام فقيل لى خرجوا ينظرون الى هذه المرأة التى زخرف الجنان لقدومها فقلت ومن هذه المرأة قالوا أمة سوداء من أهل الايلة يقال لها شعوانة قالت فقلت أختى والله قالت فبينما أنا كذلك اذ أقبل بها على نجيب يطير بها فى الهواء فلما رأيتها ناديتها يا أختى أما ترين مكانى من مكانك فلو دعوت لى مولاك فالحقنى بك قالت فنظرت الى وقالت لم يأن لقدومك ولكن احفظى عنى اثنين الزمى الحزن قلبك وقدمى محبة الله تعالى على هواك ولا يضرك متى مت قال أبو قلابة أقبلت من الشام الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بالليل ثم وضعت رأسى على قبر فنمت فاذا صاحب القبر يشتكينى يقول لقد آذيتنى منذ الليلة ثم قال انكم لاتعلمون وتقدرون على العمل ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال الركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزا الله عنا أهل الدنيا خيرا اقرأهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم نورا مثال الجبال قلت وفى ضمن هذا الكلام حض على العمل فاعمل رحمك الله ماوجدت الى العمل سبيلا وأحسن ظنك بمولاك الكريم سبحانه مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقد روى أبو نعيم فى حليته عن أبى كبشة رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقيموا وسددوا فان الله تعالى لايعبأ بعذابكم شيأ وسيأتى قوم لايدفعون عن أنفسهم بشئ قال الغزالى اعلم أن فى النظر الى الجنازة عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير ماعدا أهل الغفلة فانهم لايزيدهم مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون أنهم أبدا الى جنائز غيرهم ينظرون ولايحسبون أنهم لامحالة على النعش يحملون وحق على العبد أن لاينظر الى جنازة الا و يقدر نفسه محمولا عليها لانه محمول عليها على القرب وكأن قد ولعله فى غد أو بعد غد وبالجملة فكل آت قريب قال مالك بن دينار مررت بالقبور فانشأت أقول

أتيت القبور فناديتها * فأين المعظم والمحتقر
وأين المذل بسلطانه * وأين العزيز اذا ماقدر
وأين الملبا اذا ما دعا * وأين المطاع اذا ماأمر

فنوديت من بينها أسمع صوتا ولا أرى شخصا

تفانوا جميعا فلا مخبر * وماتوا جميعا ومات الخبر
فياسائلى عن اناس مضوا * أما لك فيما ترى معتبر
تروح وتغدو بنات الثرى * وتمحى محاسن تلك الصور

قال

قال فرجعت وأنا أبكى وأعلم وأتحقق أنه لو عرض على الموتى يوم واحد من أيام عمرك الذى أنت مضيع له لكان ذلك أحب اليهم من الدنيا بحذافيرها لانهم قد عرفوا قدر الاعمال وانكشفت لهم حقائق الاحوال وانما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر له تقصيره فيتخلص به من العقاب ويستزيد الموفق به رتبة فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة أوعلى أكثر منها ثم أنت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الامر من الاختيار ان لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رأيت أخا لى فى الله فيما يرى النائم فقلت له يافلان عشت الحمد لله رب العالمين فقال لى لان أقدر على أن أقولها أحب الىّ من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنونى فان فلانا قام فصلى ركعتين لان أكون أقدر على أن أصليهما أحب الىّ من الدنيا وما فيها

﴿ باب ماجاء فى النهى عن تجصيص القبور والكتابة عليها ﴾

روى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه وخرجه الترمذى أيضا عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح قال القرطبى قال علماؤنا كره مالك تجصيص القبور لان ذلك من المباهاة وزينة الدنيا وتلك منازل الآخرة وليست بموضع للمباهات وانما يزين الميت فى قبره عمله وأنشدوا

وإذا وليت أمور قوم ليلة * فاعلم بانك بعدها مسؤل

وإذا حملت الى القبور جنازة * فاعلم بانك بعدها محمول

ياصاحب القبر المنقش سطحه * ولعله من تحته مغلول

(قلت) ورأيت مرويا ما معناه ان القبر اذا جصص لاتزوره الملائكة

﴿فصل﴾ قال الغزالى والمستحب فى زيارة القبور أن يقف الزائر مستدبرا القبلة مستقبلا بوجه الميت وأن يسلم عليه ولا يمسح القبر ولا يمسه ولا يقبله فان ذلك من عادة النصارى قلت والواجب على من رأى شيأ من المنكر أن يغيره برفق ولا يسكت خوفا من الخلق فان ذلك من ضعف الايمان وقد روى أبونعيم فى الحلية عن عبد الله بن عبد العزيز العمرى قال من ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من أجل مخافة المخلوقين نزعت منه هيبة الله فلو أمر ولده أو بعض مواليه لاستخف به

﴿ باب ماجاء فى ثواب من قدم ولدا ﴾

روى مسلم عن أبى حسان قال قلت لابى هريرة رضى الله عنه أنه مات لى ابنان فما أنت محدثى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث يطيب أنفسنا عن موتانا قال نعم صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه أوقال أبويه فيأخذ بثوبه أوقال بيده كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا فلا يتناهى أوقال فلا ينتهى حتى يدخله الله وأباه الجنة وروى الترمذى وابن حبان فى صحيحه عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مات ولد العبد قال الله للملائكة قبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدى فيقولون

حمدك واسترجع فيقول ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وخرج أبوداود الطيالسي قال حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختلف اليه رجل من الانصار معه ابن له فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أتحبه يافلان قال نعم أحبك الله كما أحبه ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فسأل عنه فقالوا يارسول الله مات ابنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أولا ترضى أن لاتأتي بابا من أبواب الجنة الاجاء يسعى حتى يفتحه لك فقالوا يارسول الله أله وحده أم لكلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لكلكم ورواه أبو عمر في التمهيد وقال هذا حديث ثابت صحيح وخرج أبو داود الطيالسي أيضا في مسنده قال حدثنا هشام عن قتادة عن راشد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والنفساء يجرها ولدها يوم القيامة بسرره الى الجنة قوله في الحديث المتقدم صغارهم دعاميص أهل الجنة دعاميص جمع دعموص وهو دويبة تغوص في الماء وقد قيل ان الدعموص يراد به الاذن على الملوك المتصرف بين أيديهم قال أمية بن أبي الصلت

دعموص أبواب الملوك * وجانب للخرق فاتح

قال القرطبي وهذا هو المراد بالحديث والله سبحانه أعلم وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حجابا من النار أو قال دخل الجنة ومعنى يبلغوا الحنث أي لم يبلغوا الحلم ولم يبلغوا أن يلزمهم الحنث وقدوري الترمذي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحلم كانوا له حصنا حصينا من النار قال أبو ذر قدمت اثنين قال واثنين فقال أبي ابن كعب قدمت واحدا قال وواحدا ولكن انما ذلك عند الصدمة الاولى قال أبو عيسى هذا حديث غريب وخرجه بن ماجه أيضا وزواه البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن مسلم يتوفى له ثلاثة لم يبلغوا الحنث الا أدخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم وروى البخاري أيضا عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النساء قلن للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما فوعظهن فقال أيما امرأة توفى لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجابا من النار فقالت امرأة واثنان قال واثنان وروى البخاري أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لايموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار الا تحلة القسم قال ابن بطال رحمه الله تعالى قال المهلب هذه الاحاديث تدل على أن أولاد المسلمين في الجنة وهو قول جمهور العلماء وشذت المجبرة فجعلوا الاطفال في المشيئة وهو قول مهجور مردود بالسنة واجماع الحجة الذين لايجوز عليهم الغلط لانه يستحيل أن يكون الله تعالى يغفر للآباء بفضل رحمة الابناء ولايوجب الرحمة للابناء قال وهذا بين لااشكال فيه وقد جاء أن من مات له ولد واحد دخل الجنة قلت وهكذا قال القرطبي في تذكرته ولفظه وفي هذا كله دليل على أن أطفال المسلمين في الجنة لان الرحمة اذا نزلت بآبائهم استحال أن يرحموا من أجل من ليس بمرحوم قال أبو عمر بن عبد البر وهذا اجماع من العلماء في أن أطفال المسلمين في الجنة ولم يخالف في ذلك الا فرقة شذت من المجبرة فجعلتهم في المشيئة وهو قول مهجور باجماع الحجة الذين لايجوز مخالفتهم ولا يجوز على مثلهم الغلط ثم أخذ أبو عمر في تضعيف الاحاديث التي تمسكت بها الفرقة الشاذة قال الغزالي في الاحياء وحق على من مات له ولد أو قريب من أقاربه أن ينزله في تقدمه في الموت منزلة مالو كان في سفر فسبقه ولده الى البلد الذي هو مستقره ووطنه فانه لايعظم

عليه تأسفه لعلمه بأنه لاحق به على القرب وليس بينهما الا تقدم أو تأخر وهكذا الموت فان معناه السبق الى الوطن الى أن يلحق المتأخر المتقدم واذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لاسيما وقد ورد فى موت الولد من الثواب مايتعزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان أقدم سقطا أحب الى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل فى سبيل الله وانما ذكر السقط ليستدل بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب قال زيد بن أسلم توفى ابن لداود عليه السلام لحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الارض ذهبا قيل له فان لك من الاجر مثل ذلك وليخلص الاب الدعاء لولده عند الموت فانه أرجى دعاء وأقربه الى الاستجابة

﴿فصـــل﴾ وأما أولاد المشركين فالصحيح أنهم فى الجنة ففى صحيح البخارى فى حديث الرؤيا وأما الرجل الطويل فى الروضة فابراهيم عليه السلام وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة قال فقيل يارسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاد المشركين وخرج البخارى أيضا فى رواية أخرى والشيخ فى أصل الشجرة ابراهيم والصبيان حوله أولاد الناس قال القرطبى وأبو عمر بن عبد البر وهذا يقتضى بعمومه جميع الناس قال القرطبى والى هذا ذهب جماعة من العلماء وهو أصح شئ فى الباب قالوا أولاد المشركين اذا ماتوا صغارا فى الجنة برحمة الله وفضله وقد روى أبو عمر فى التمهيد أن خديجة رضى الله عنها سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال هم مع آبائهم ثم سألته بعد ذلك فقال الله أعلم بما كانوا عاملين ثم سألته بعد مااستحكم الاسلام فنزلت ولا تزر وازرة وزر أخرى قال هم على الفطرة أوقال هم فى الجنة قال القرطبى هذا حديث مرتب وهو يقضى على ماروى عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله الله أعلم بما كانوا عاملين اذكان ذلك منه قبل أن يعلم ان أولاد المشركين فى الجنة وقبل أن ينزل عليه ولا تزر وازرة وزر أخرى وروى أبو داود الطيالسى فى مسنده وأبو نعيم الحافظ ويحيى بن سلام فى تفسيره عن أنس رضى الله عنه قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن ذرارى المشركين فقال هم من خدم أهل الجنة وفى رواية هم خدم لاهل الجنة

﴿باب ذكر كلمات حكمية﴾

روى أبو نعيم فى الحلية عن ابراهيم بن أدهم أنه قال مررت ببعض بلاد الشام فاذا حجر عظيم مكتوب عليه نقش بين بالعربية

كل حي وان بقى * فمن الموت يستقى
فاعمل اليوم واجتهد * واحذر الموت ياشقى

قال فبينما أنا واقف أقرؤه وأبكى فاذا أنا برجل أشعث أغبر عليه مدرعة من شعر فسلم على فرددت عليه السلام فرأى بكائى فقال مايبكيك قلت قرأت هذا النقش فأبكانى فقال وأنت لا تتعظ وتبكى حتى توعظ ثم قال سر معى حتى أريك عبرة فضيت معه غير بعيد فاذا بصخرة عظيمة شبيهة بالمحراب فقال اقرأ وابك ولا تعص ثم قام يصلى وتركنى واذا فى أعلاه نقش بين عربى

لاتبتغ جاها وجاهك ساقط * عند الاله وكن لجاهك مصلحا

وفى الجانب الآخر

من لم يثق بالقضا والقدر * لاقى أمورا كثيرة الضرر

وفى الجانب الآخر ما أزين التقى وما أقبح الخنا وكل مأخوذ بما جنى وعند الله الجزا

وفى أسفل المحراب

اغا العز والغنى * فى تقى الله والعمل

فلما تدبرته وفهمته التفت الى صاحبى فلم أره فلا أدرى أمضى أم حجب عنى وكان ابراهيم ابن أدهم كثيرا ماينشد

لماتعد الدنيا به من شرورها * يكون بكاء الطفل ساعة يوضع
والا فما تبكيه منها وانها * لاروح مما كان فيه وأوسع
اذا أبصر الدنيا استهل كأنما * يرى ماسيلقى من أذاها ويسمع

تأمل رحمك الله ما تقدم وما سيأتى من ذكر هذه الاحوال وما يشاهد الانسان المسكين من عظيم الاحوال فرحم الله عبدا مراقبا لربه مغتنما لوقته مشتغلا بنفسه مراعيا لخطراته ومستأنسا بخلواته مفكرا فى ذنبه معتكفا على ذكر ربه قد جعل الموت نصب عينيه قال صاحب الكلم الفارقية والحكم الحقيقية بيت بشريتك معاول الفناء تضرب قواعد بنيانه ياميتا نشر من قبر العدم بحكم الجود والكرم لا تنس سوالف العهود والذمم اذكر عهد الايجاد وذمة الاحسان والارفاد وحال الاصدار والايراد وفاتحة المبدأ وخاتمة المعاد اشعر قلبك مهابة ربك فاليه مآلك وتأهب للقدوم عليه فقد آن ارتحالك قروض الارواح تسترجع متفرقة الى ان تستوفى الجملة شعر

أرواحنا عندنا قروض * والموت قد جد فى التقاضى
لابد من رد ما اقترضنا * كل غريم بذاك راضى *

نفوس الاغبياء الجهال غافلة عن العظمة والجلال ولاهية عن أهوال المعاد والمآل مشغولة برذائل الافعال وفضول القيل والقال والاستنباط والاحتيال لازدياد الاموال ولا يعلمون أنها فتنة ووبال وطول حساب وبلاء وبلبال اغتنموا ياذوى البصائر نعمة الامهال واطرحوا خوادع الامانى وكواذب الآمال فكأن قد فجأتكم هواجم الآجال أنت فى سكرة لذاتك وغشية شهواتك واغماء غفلاتك ومقراض الفناء يعمل فى ثوب حياتك ويفصل أجزاء عمرك جزأجزأ فى سائر ساعاتك كل نفس من أنفاسك جزء منفصل من جملة ذاتك وبذهاب الاجزاء تذهب الجمل أنت جملة تؤخذ آحادها وأبعاضها الى أن تستوفى سائرها بضاعة عمرك فى جميع أوقاتك تسرقها سراق الساعات وتختلسها كرور الانفاس واللحظات وتنتهبها أيدى الحوادث والآفات تظنك فى حصن من طوارق القدر وهو يجرى بك فى طريق الحوادث والغير ويلحقك بمن درج ودثر معاول الساعات تعمل فى هدم سور عمرك كل نفس ثلمة وكل خطرة قبحة يدخل منها عدو الردى ولص الفناء على خزانة جوهر حياتك وأنت لاه عن ذهاب ذاتك بلذاتك المثمرة لطول حرقك وحسراتك ياغافل بيدر عمرك يكال بمكيال أنفاسك المتتابعة المتوالية ويرفع الى خزانة الجنة حبوب أعمالك الصالحة الطيبة ويلقى فى أتون الجحيم ادغال أعمالك الخبيثة السيئة حلل بأكف التفكر وأيدى التأمل عقد المألوفات قبل انحلالها بصولة قهر الممات قال أبو نعيم فى الحلية دخل سابق اليزيدى على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر عظنى ياسابق وأوجز قال نعم يا أمير المؤمنين ثم أنشده

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لاتكون شركته * وأرصدت قبل الموت ما كان أرصدا

وقال ميمون بن مهران دخلت على عمر بن عبد العزيز يوما وعنده سابق وهو ينشده

فكم من صحيح بات للموت آمنا * أتته المنايا بغتة بعد ماهجع
فلم يستطع اذجاءه الموت بغتة * فرارا ولا منه بقوته امتنع
فاصبح تبكيه النساء مقنعا * ولا يسمع الداعي اذا صوته رفع
وقرب من لحد فصار مقيله * وفارق ما بالامس من ماله جمع
فلا يترك الموت الغنى لماله * ولا معدما فى المال ذا حاجة يدع

فلم يزل عمر يبكى ويضطرب حتى غشى عليه فقمنا وانصرفنا عنه وكان عمر كثيرا مايتمثل بهذه الابيات

يرى مستكينا وهو للهو ماقت * به عن حديث القوم ماهو شاغله
وأزعجه علم عن الجهل كله * وما عالم شيأ كمن هو جاهله
عبوس عن الجهال حين يراهم * فليس له منهم خدين يهازله
تذكر مايبقى من العيش آجلا * فاشغله عن عاجل العيش آجله

باب ماجاء أن الانسان يبلى الا عجب الذنب وان الارض لاتأكل أجساد الانبياء والشهداء

روى مسلم وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب يقال عجم وعجب بالميم والباء لغتان وهو جزء لطيف فى أصل الصلب وقيل هو رأس العصعص كما رواه ابن أبى داود فى كتاب البعث من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قيل يارسول الله وما هو قال مثل حبة خردل ومنه تنشون (قلت) وذكر الغزالى فى الدرة الفاخرة أن المطر يعلو الارض أربعين ذراعا فاذا الاجسام تنبت من العصعص الذى هو عجب الذنب وهو أول مايخلق من الانسان ومنه يعود قال وفى رواية أخرى يبيد المرء كله الا عجب الذنب منه بدا واليه يعود وهو عظم على قدر الحمصة له مخ وقوله منه خلق وفيه يركب أى أول مايخلق من الانسان هو ثم ان الله سبحانه يبقيه الى أن يركب الخلق منه تارة أخرى

فصل وروى سعيد بن المسيب أن جثث الانبياء لاتبقى فى الارض أكثر من أربعين يوما ثم ترفع وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن المؤذن المحتسب كالمتشحط فى دمه وان مات لم يدد فى قبره وخرج أبو داود وابن ماجه عن أوس بن أوس رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على قالوا يارسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت قال يقولون بليت فقال ان الله عز وجل حرم على الارض أجساد الانبياء هذا لفظ أبى داود وقال ابن العربى فيه حديث حسن وخرجه ابن ماجه أيضا عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا على الصلاة يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وان أحدا لن يصلى على الا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها قال قلت وبعد الموت قال وبعد الموت ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء قال القرطبى فنبى الله صلى الله عليه وسلم حى يرزق ورواه أبو جعفر الطبرى أيضا فى تهذيب الآثار بسنده عن أبى الدرداء

رضي الله عنه قال السهيلي في الروض الانف قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء خرجه سليمان بن الاشعث وذكر أبو جعفر الداودي هذا الحديث في كتاب النامي بزيادة ذكر الشهداء والعلماء والمؤذنين وهي زيادة غريبة لم تقع لنا في مسند غير ان الداودي أبا جعفر من أهل الثقة والعلم رحمه الله تعالى وروى أبو نعيم في حليته عن داود ابن هلال النصيبي قال مكتوب في صحف ابراهيم عليه السلام طوبى للابرار الذين أطاعوني من قلوبهم على الرضا وأطاعوني من ضمائرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم مالهم عندي من الجزاء اذا وفدوا الي من قبورهم النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغ بهم مايرجون من رحمتي

﴿ باب في ذكر خروج الدجال ويأجوج ومأجوج وقيام الساعة ﴾

روى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ماشأنكم قلنا يارسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم أن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وأن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله وما لبثه في الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كايامكم قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينافيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له قال فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شئ من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء بشرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى عليه السلام قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذ أوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اني قد أخرجت عبادا لي لايدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله صلى الله عليه وسلم عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحد ثم يهبط نبي الله وأصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب عيسى

وأصحابه

وأصحابه فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لايكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك الله في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينماهم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة قوله عينه طافية وفي رواية ان الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية قال الامام المازري قال الاخفش طافية بغير همز أي ممتلئة وقد طفئت وبرزت قال عياض وهذا هو الذي صححه أكثرهم وانها ناتئة كنتوء حبة العنب من بين صواحبها وفي رواية بالهمز وهذه صفة حبة العنب اذا طفئت .وسال ماؤها والروايتان صحيحتان وحاصله ان احداهما بارزة وهي التي ككوكب الصبح والاخرى مطموسة جاحظة كأنها نخاعة في حائط مجصص كما جاء في الرواية وبالحقيقة كل واحدة من عينيه عوراء اذ الاعور من كل شئ المعيب لاسيما بما يختص بالعين وبهذا يجمع بين رواية أعور العين اليمنى مع رواية أعور العين اليسرى اذ كانتا عيني الدجال معيبة عوراء وقوله خلة بخاء مهملة قال الزبيدي الخلة بالحاء المهملة موضع حزن وصخور قال القرطبي في التذكرة نروى بالحاء المهملة وبالخاء المعجمة قال الهروي فبالمهملة موضع حزن وصخور وبالخاء المعجمة مابين البلدين قال الحافظ ابن دحية ورواه ابن ماهان وغيره حلة بفتح الحاء وضم اللام وكأنه يريد حاوله وفي مسند أحمد بن حنبل تخرج خيله ولا أعلم روى ذلك غيره وقد سقطت هذه القطعة لاكثر رواة مسلم وبقي الكلام أنه خارج بين الشام والعراق وقوله ياعباد الله فاثبتوا يعني على الاسلام يحذرهم من فتنته وذكر شاكر بن مسلم حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه في وصف الدجال أنه أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية أشبه مارأيت به عبد العزى بن قطن جار لنا كان بمكة كان وجهه وجه حمار قال شاكر بن مسلم ويروى عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما قال اذاسمعتم رجفة فامسكوا عنها وكفوا أنفسكم ولا تلتفتوا اليها فانها ستكون للدجال رجة أوقال رجفة عظيمة عند خروجه فمن التفت اليها افتتن بها وبين عينيه فرجة من نظر اليها افتتن وضل فلم يرجع اليه ايمانه أبدا فلا تنظروا اليها (قلت) ولم أقف على هذا فيما رويناه من كتب الحديث وانما كتبناه احتياطا ولعل الحديث في نفسه صحيح فينبغي للمسلم أن لاينظر الى الدجال ان بلي به عافانا الله من فتنته وفتنة كل ذي فتنة وقد روى أبو نعيم في الحلية عن حميد بن هلال العدوي عن هشام بن عامر رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول مابين خلق آدم عليه السلام الى أن تقوم الساعة فتنة أكبر من الدجال

﴿فصل﴾ قال المحاسبي رحمه الله وتوهم الفناء والبلى اذا انقطعت أوصالك في القبر وفنيت عظامك وبلي بدنك ولم يبل حزن البشرى والفرح من روحك فروحك متطلعة عند القيام والنشور الى رضا الله وثوابه أو الى غضبه وعقابه فياحسرة روحك وغمومه أو ياغبطة روحك وسروره حتى اذا تكاملت عدة الموتى وخلت من ساكنها الارض والسماء فصاروا خامدين بعد حركاتهم فلا حس يسمع ولا شخص يرى وبقي الجبار عز وجل كما لم يزل أزليا واحدا منفردا بعظمته وجلاله ثم يفجأ روحك نداء المنادي بالخلق للعرض على الله عز وجل ﴿تنبيه﴾ روى أبو نعيم في الحلية عن عقبة بن عبد الغافر قال ماطلعت الشمس الا وبجنبتها ملكان يناديان

يسمعهان أهل الارض الا الثقلين اللهم اعقب منفقا خلفا واعقب ممسكا تلفا وروينا في صحيح مسلم
عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتقوم الساعة حتى لايقال في الارض
الله الله وفي رواية على أحد يقول الله الله قال القرطبي قال علماؤنا قد اسم الجلالة برفع الهاء
ونصبها فمن رفعها فمعناه ذهاب التوحيد ومن نصبها فمعناه انقطاع الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر أي لاتقوم الساعة على أحد يقول اتق الله ويدل عليه حديث حذيفة وليس فيهم رجل
يقول مه مه وقد قيل ان هذا الاسم العظيم أجراه الله على ألسنة الامم من ولد آدم عليه السلام
ولم تنكره أمة بل هو دائر على ألسنتهم من عهد أبيهم آدم الى انقضاء الدنيا وقد جاء في القرآن
نطق قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم بهذا الاسم العظيم فاذا أراد الله قيام الساعة قبض أرواح
المؤمنين وانتزع هذا الاسم العظيم من ألسنة الجاحدين وختمهم عند ذلك الحق اليقين

﴿ باب ذكر الدجال وذكر النفخ في الصور وبعث من في القبور ﴾

قال أبو محمد عبد الحق رحمه الله تعالى اعلم ان الانسان كما قدمنا لايخرج من الدنيا حتى يرى مكانه
من احدى الدارين وصحبه من أحد الفريقين وأنه لاتزال نفسه معذبة أومنعمة الى يوم الجزاء
والاجتماع لفصل القضاء وبعد ذلك يتجدد النعيم أوالعذاب الاليم على وجه آخر وصفة أخرى كما
سيأتي ذكره قال واعلم ان كل ميت مات فقد قامت قيامته لكنها قيامة صغرى وأما القيامة الكبرى
فهي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة وروى مسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لاأدري أربعين يوما
أوأربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود
فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل
الشام فلا يبقى على وجه الارض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أوايمان الاقبضته حتى لو أن
أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع
لايعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستحيون فيقولون فما تأمرنا
فيأمرهم بعبادة الاوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد
الا أصغى ليتا ورفع ليتا قال فاول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله قال فيصعق ويصعق الناس ثم
يرسل الله أوقال ينزل الله مطرا كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام
ينظرون ثم يقال ياأيها الناس هلموا الى ربكم وقفوهم انهم مسئولون ثم يقال اخرجوا بعث النار
فيقال من كم فيقال من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك
يوم يكشف عن ساق وأصغى معناه أمال ليتا يعني صفحة العنق ويلوط معناه يطين ويصلح وقوله
لاأدري أربعين يوما الى آخره قد بينه الحديث المتقدم عن النواس انه أربعون يوما وروى مسلم
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين النفختين أربعون قالوا
ياأبا هريرة أربعون يوما قال أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا أربعون عاما قال أبيت ثم
ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال وليس من الانسان شئ الايبلى الاعظما واحدا
وفي رواية لاتأكله الارض أبدا وهو عجب الذنب وقول أبي هريرة أبيت يحتمل أن يريد الامتناع
من تفسيره مع العلم به اذ ليس هو من الامر الضروري ويحتمل أن يريد أبيت ان أسأل النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك والاول أظهر وقد جاء ان بين النفختين أربعين عاما وقوله صعق معناه

مات

مات واختلف فى المستثنى فى قوله سبحانه فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله والذى اختاره الحليمى انهم الشهداء لانهم أحياء عند ربهم يرزقون كما ذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال القرطبي وقد ورد فى حديث أبى هريرة أنهم الشهداء وهو حديث صحيح قال شيخنا أحمد ابن عمر واذا كان هذا الاستثناء فى الشهداء كان الانبياء بذلك أحق وأولى اذ قد صح أن الارض لاتأكل أجساد الانبياء وفى حديث على بن معبد قلت يارسول الله فمن استثنى الله عز وجل حين يقول ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله قال أولئك هم الشهداء عند ربهم يرزقون انما يصل الفزع الى الاحياء وضعف الحليمى قول من قال ان الاستثناء لاجل الولدان والحور العين فى الجنة لان الولدان والحور فى الجنة والجنة فوق السموات ودون العرش وهى بانفرادها عالم مخلوق للبقاء ولم يأت عن أهل الجنة خبر والاظهر انها دار الخلد فالذى يدخلها لايموت فيها أبدا مع كونه قابلا للموت فالذى خلق فيها أولى أن لايموت فيها أبدا وأيضا فان الموت لقهر المكلفين ونقلهم من دار الى دار وأهل الجنة لم يبلغنا ان عليهم تكليفا فان أعفوا من الموت كما أعفوا من التكليف لم يكن بعيدا قال ولم يبلغنا فى خبر صحيح ولا معلول انه يهلك العرش فلتكن الجنة مثله (قلت) وجدت لبعض الفضلاء مكتوبا مانصه قال الشيخ أبو محمد بن بزيزة فى شرح الاحكام الصغرى لعبد الحق الذى تلقيناه عن شيوخنا المحققين ان العوالم التى لاتفنى سبعة العرش والكرسى واللوح والقلم والجنة والنار والارواح قال الشيخ أبو محمد عبد الحق وكما ينبت نبات الارض بالماء كذلك تنبت الاجساد بهذا الماء المذكور فى الحديث فبينما روحك فى البرزخ مع الارواح وكل على عمله من فساد أو صلاح اذ أمر الله عز وجل بها أن تجتمع فتقبل أرواح المؤمنين تتلألأ نورا وأرواح الكافرين تسود ظلمة فيجعل جميعها فى الصور ثم ينفخ فيه اسرافيل فتخرج الارواح كأنها النحل قد ملأت مابين السماء والارض فتدخل الارواح فى الارض الى الاجسام فتدخل من الخياشيم (قلت) وهذا حديث طويل رواه على بن معبد وصححه ابن العربى وعجب الذنب قيل هو آخر فقرات الظهر وقد تقدم وعن ابى نظرة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ينادى مناد بين يدى الساعة أتتكم الساعه أتتكم الساعه أتتكم الساعة حتى يسمعها كل حى وميت قال فينادى المنادى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (قلت) هذا الحديث ذكره أبو نعيم فى حليته هكذا موقوفا وهو ممالا يقال بالرأى وروى أبو نعيم عن وهيب بن الورد أنه قال مكتوب فى الانجيل شوقناكم فلم تشتاقوا ونحنا لكم فلم تبكوا بشر القتالين بان لله سيفا لاينام وان لله ملكا ينادى فى السماء كل يوم وليلة أبناء الخمسين زرع قد دنا حصاده أبناء الستين هلموا الى الحساب ماذا قدمتم وماذا أخرتم أبناء السبعين لاعذر لكم ليت الخلق ماخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وتجالسوا فتذاكروا بينهم ماذا عملوا الا أتتكم الساعه فخذوا حذركم قال القرطبي وغيره الصور قرن من نور وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه والذى نفسى بيده ان عظم دارة فيه كعرض السماء والارض قال العلماء والنفخة الاولى للفناء وهى نفخة الصعق ويكون معها نقر لقوله تعالى فاذا نقر فى الناقور أى فى الصور لتكون الصيحة أعظم والنفخة الثانية للبعث من غير نقر لان المراد ارسال الارواح من ثقب الصور الى أجسادها لا تنفرها من أجسادها وفى حديث على بن معبد الطويل عن أبى هريرة فينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يعنى نفخة البعث قال شاكر بن مسلم وفى القرن ثقب بعدد أرواح الخلائق قال فينفخ اسرافيل نفخة البعث بطولها و بعدها فتخرج الارواح كأمثال النحل والفراش وأرواح المؤمنين بيض تتلألأ نورا وأرواح

الكافرين سود تتوهج دخانا عافانا الله من عذابه بمنه وقال الغزالي في الدرة الفاخرة الصور قرن من نور له أربع عشرة دارة الواحدة كاستدارة السماء والارض فيه يعلى ثقب بعدد أرواح البرية فتخرج الارواح لها دوي كدوي النحل فتملأ الخافقين ثم تذهب كل نسمة الى جثتها فسبحان من أعلمهم اياها حتى الوحش والطير وكل ذي روح

باب يبعث كل عبد على مامات عليه

روى مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يبعث كل عبد على مامات عليه وروى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا أراد الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم ولفظ مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت عبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه فقلنا يارسول الله صنعت شيأ في منامك لم تكن تصنعه فقال العجب ان ناسا من أمتي يؤمون هذا البيت برجل من قريش قد لجأ بالبيت حتى اذا كان بالبيداء خسف بهم فقلنا يارسول الله ان الطريق قد تجمع الناس قال نعم فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم وفي طريق آخر لمسلم عن أم سلمة رضي الله عنها فقلت يارسول الله فكيف بمن كان كارها قال يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته وروى أبو داود عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال يارسول الله اخبرني عن الجهاد والغزو فقال ياعبد الله ان قتلت صابرا محتسبا بعثت صابرا محتسبا وان قتلت مرائيا مكاثرا بعثت مرائيا مكاثرا على أي حال قاتلت أو قتلت بعثك الله بتلك الحال (قلت) هذا الحديث في غاية البيان والاحاديث في هذا الباب كثيرة ولما تكلم الشيخ الولي العارف بالله تعالى أبو محمد عبدالله بن أبي جمرة رضي الله عنه على قوله صلى الله عليه وسلم ان الغادر ينصب له لواء يوم القيامة قال ظاهر هذا الحديث يدل على فضيحة الغادر يوم القيامة ينصب لواء غدرته وشهرته بها على جميع العالم هنالك وانما جعلت له هذه العلامة التي يعرف بها يوم القيامة لان الله سبحانه قد شاء بحكمته الربانية ان جعل لكل صاحب ذنب علامه يعرف بها ذنبه مثل شاهد الزور يبعث مدلعا لسانه بالنار وآكل الربا يتخبط مثل صاحب الجنون في الدنيا والذي يطلب وليس بذي حاجة ليس في وجهه مزعة لحم والنائحة لها سربال من قطران ودرع من جرب والشاني من قطران وحابس الزكاة ان كانت ابلا بطح لها بقاع قرقر تجيء أوفر ما كانت تطأه باخفافها وتعضه بأفواهها الحديث وان كانت غنما مثل ذلك الا أنه قال تنطحه بقرونها وتطاه بأظلافها وان كان ماله ذهبا أوفضة مثل له شجاع أقرع الحديث والمتكبرون يبعثون مثل الذر وآكل اموال اليتامى ألسنة النار تخرج من منافس جسده وشارب الخمر الكوز معلق في عنقه والكذاب يشق شدقه كما تقدم في الحديث والمغتابون تقرض شفاههم بالمقاريض حده كلها علامه على كل ذنب حتى يعرف به صاحبه وهي أشياء عديدة بحسب الجرائم وكفى في ذلك قوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام أعاذنا الله من الذنوب ومن الفضيحة ولولم يكن فيها الا هذا المقدار لكان كافيا في الردع فكيف بالامر الزائد على ذلك الذي لاتحمله الجبال (قلت) ومنه الحديث في الذي قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأبها في بطنه في نار جهنم الحديث والحديث الذي قتل نفسه بالسم فهو يتحساه في نار جهنم الحديث وكالغال يحمل بقرة لها خوار وشاة تيعر وذكر الغزالي في الدرة الفاخرة ان الناس يوم القيامة في الموقف على طبقات مختلفة وأنواع متباينه بحسب جرائمهم كمانع

الزكاة والغال والغادر على ماورد فيهم وآخرون قد عظمت فروجهم وهى تسيل صديدا يتأذى بنتنها جيرانهم وآخرون قد صلبوا على جذوع النيران وآخرون قد خرجت ألسنتهم على صدورهم أقبح مايكون وهؤلاء المذكورون هم الزناة واللوطية والكذابون وآخرون قد عظمت بطونهم كالجبال الرواسى وهم آكلوا الربا وكل ذى ذنب قد بدا سوء ذنبه وروى البخارى ومسلم ومالك عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده لايكلم أحد فى سبيل الله والله أعلم بمن يكلم فى سبيله الا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون دم والعرف عرف مسك وروى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم محرما فوقصته ناقته فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغسلوه بماء وسدر وكفنوه فى ثوبيه ولا تمسوه بطيب ولا تخمروا رأسه فانه يبعث يوم القيامة ملبيا وفى رواية ملبدا وروى الحليمى فى كتاب المنهاج له عن عباد بن كثير عن أبى الزبير عن جابر رضى الله عنه ان المؤذنين والملبين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن ويلبى الملبى ومن هذا المعنى ان هذه الامة المباركة يبعثون غرا محجلين من أثر الوضوء يعرفهم من رآهم انهم من أمة النبى صلى الله عليه وسلم وقد قال الغزالى رحمه الله ان المعانى فى عالم الآخرة تستتبع الصور ولا تتبعها فيتمثل كل شئ بصورة توازى معناه فيحشر المتكبرون فى صور الذر يطأهم من أقبل ومن أدبر والمتواضعون أعزاء وقال الغزالى فى الدرة الفاخرة ومن الناس من يحشر بفتنته الدنياوية فقوم مفتونون بالعود معتكفون عليه دهرهم فعند قيام أحدهم من قبره يأخذ بيمينه فيطرحه من يده ويقول له سحقا لك شغلتنى عن ذكر الله فيعود اليه ويقول أنا صاحبك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين وكذلك يبعث السكران سكرانا والزامر زامرا وكل أحد على الحال التى صدته عن سبيل الله قال ومثله الحديث الذى روى فى الصحيح ان شارب الخمر يحشر والكوز معلق فى عنقه والقدح بيده وهو أنتن من كل جيفة على الارض يلعنه كل من يمر به من الخلق (قلت) روى الترمذى عن رفاعة بن رافع رضى الله عنه أنه خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم الى المصلى فرأى الناس يتبايعون فقال يامعشر التجار فاستجابوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعوا أعناقهم وأبصارهم اليه فقال ان التجار يبعثون يوم القيامة فجارا الامن اتقى الله وبر وصدق قال أبو عيسى هذا الحديث حسن صحيح وروى الدارقطنى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة وروى أبو القاسم اسحاق بن ابراهيم الختلى فى كتاب الديباج له عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أخبرنى جبريل عليه السلام أن لااله الا الله أنس للمسلم عند موته وفى قبره وحين يخرج من قبره يامحمد لوتراهم حين يمرقون من قبورهم ينفضون التراب عن رؤسهم هذا يقول لااله الا الله والحمد لله فيبيض وجهه وهذا ينادى ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله فيسود وجهه ثم أسند عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس على أهل لااله الا الله وحشة عند الموت ولافى قبورهم ولافى منشرهم كأنى بأهل لااله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم وهم يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن قال أبو نعيم فى حليته قال سفيان بن عيينة يقال لااله الا الله فى الآخرة بمنزلة الماء فى الدنيا من لم تكن معه لااله الا الله فهو ميت ومن كانت معه فهو حى وقال سفيان بن عيينة ماأنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم لا اله الا الله فان لااله الا الله لهم فى الآخرة كالماء فى الدنيا ومن لطائف التى لابن عطاء الله قال قال أبو العباس المرسى رحمه الله نحن فى الدنيا بأبداننا مع وجود أرواحنا وسنكون

فى الآخرة بار واحنا مع وجود أبداننا (قلت) وهذا نحو ماقدمناه عن الغزالى الآن من أن المعانى فى عالم الآخرة تستتبع الصور

﴿باب ماجاء ان العبد اذا خرج من قبره يتلقاه ملكاه وعمله﴾

روى أبو نعيم من حديث جابر رضى الله عنه أنه قال اذا قامت الساعة انحط على العبد ملك الحسنات وملك السيآت فانشطا كتابا معقودا فى عنقه ثم حضرا معه واحد سائق والآخر شاهد وروى أبو نعيم عن ثابت البنانى رضى الله عنه أنه قرأ حم السجدة حتى بلغ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة وقف فقال بلغنا ان العبد المؤمن حين يبعث من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه فى الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة التى كنت توعد قال فأمن الله خوفه وأقر عينه قال القرطبى قال عمرو بن قيس الملائى ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله عمله فى أحسن صورة وأطيب ريح فيقول هل تعرفنى فيقول لا الا أن الله قد طيب ريحك وأحسن صورتك فيقول كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك الصالح طال ماركبتك فى الدنيا فاركبنى اليوم وتلا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وان الكافر يستقبله عمله أقبح شئ صورة وأنتنه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا الا أن الله قبح صورتك ونتن ريحك فيقول كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك السيئ طال ماركبتنى فى الدنيا وأنا اليوم أركبك وتلا وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقد قدمنا أكثر هذه المعانى وأعدناها لانه محلها وربما أعدنا المسئلة تونقا وتصحيحا للمعنى المراد منها قال شاكر بن مسلم فمن الناس من يمثل له عمله فى صورة انسان قال السدى وغيره من العلماء منهم عمرو بن قيس الملائى وغير واحد من العلماء ورواه بعضهم عن زيد بن أسلم ونحوه فى رقائق ابن المبارك قالوا اذا نشر الله عبده المؤمن السعيد من قبره يوم القيامة فنودى به الى المحشر قيض الله عمله الصالح فجاءه فى صورة انسان حسن الهيئة والثياب حسن الوجه نقى الجسد طيب الريح حسن المنظر والخبر فيستقبله وهو يسلم عليه ويقول السلام عليكم أيها العبد الصالح ابشر بخير ابشر بأحسن شئ رأيته منذ ولدتك أمك ويجلس الى جنبه فيرد عليه الرجل السلام ويقول له وعليك السلام ياولى الله ومرحبا بك من رجل فما أحسنك وما أجملك وما أطيبك وما أفضلك وما أطيب ريحك وأحسن كلامك فمن أنت فيقول له رحمك الله أيها العبد الصالح أما تعرفنى مع طول ماصحبتك فقد صحبتك فى الدنيا طول عمرك وصحبتك فى قبرك فيقول له لا والله ماأعرفك غير ان الله عز وجل حسن وجهك ومنظرك وطيب كلامك ونحرك فيقول له انى لكذلك وكذلك كنت فى الدنيا أنا عملك الصالح الذى كنت تعمله فى الدنيا وقد صحبتك فى الدنيا على أحسن حال وصحبتك فى قبرك فاريد أن أصحبك الآن أحوج ماأنت الى ثم يطاطئ له رأسه ورقبته فيقول له تعال فاركبنى أيها العبد الصالح فطال ماركبتك فى دار الدنيا فانك اليوم أنت تركبنى انك أحسنتنى فى الدنيا فحسنتك الآن فيركبه المؤمن فيسير به عمله فى زحام الناس حتى يأتى به الموقف فلا يرى المؤمن شيأ يروعه الاأمنه عمله وسكنه وبشره وظلله من حر الشمس ووقاه من وهج الحر ووهج الغبار ولعج النار ويقول له اسكن ولا تجزع وابشر بما يسرك فلست أنت المراد وانما يراد بهذا غيرك وأنت على منجاة ويسير به كذلك يحمله على عاتقه ويحضر به فى المواطن ولا يزال معه كذلك من موقف الى موقف ومن موطن الى موطن حتى يولج فى الجنة وفى حديث السدى أنه يكون معه كذلك فى قبره ويخرج معه كذلك عند حشره ولايفارقه

وهو

وهو معنى قوله عز وجل وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء الآية ونظائرها وفي بعض حديث زيد زيادة فيأتي بالمؤمن السعيد عمله يزف به حتى يقف بين يدي الله سبحانه وفي موقف السؤال والحساب فيقول يارب ان كل صاحب عمل أوتجارة أوصناعة قد أصاب فيما عمل وان صاحبي هذا قد أشغل نفسه بي في الدنيا وما أصاب بي جزاء واليوم يجزى كل عامل بعمله فاتجزيه به اليوم انك أكرم من وفى وأوفى بوعد فيقول الله عز وجل فما تريد له أنت مني الآن فيقول الرحمة والمغفرة فيقول اذهب فقد رحمته وغفرت له فيقول يارب فأين الكرامة فيأمر الله به فيكسى حلة الكرامة ويتوج بتاج الوقار وفيه اللؤلؤ وان اللؤلؤة لتضيء مسيرة يومين فيقول يارب ومايصنع بأبويه وقد شغل عنهما فيأمر رب العزة سبحانه فيعطى لابويه مثل ماأعطى هوان كانا من أهل الحاجة اليه وان كانا ممن استغنى عنه بعملهما جمع بينه وبينهما في موطن الامن والامان وكرامة الرحمن قال واذا حشر الفاسق والشقي جاءه عمله في صورة انسان قبيح الصورة والهيئة والثياب منتن الريح كريه المنظر منكر الخبر فيعرض له ويقول له أيها العبد الشقي لامرحبا بك ولا أهلا قبحك الله من رجل وقبح ماأنت عليه وقبح ما كنت عليه في الدنيا ابشر بما يسوءك وبشر شئ رأيته منذ ولدتك أمك فيقول له فمن أنت فما أقبحك وما أقبح ماجئت به وماأنت عليه وما أنتن ريحك وماأكره منظرك وأسوأ مخبرك فمثلك بشر بالشر فيقول له أما تعرفني فيقول لا والله ما أعرفك غير ان الله قبح خلقك ونتن ريحك وكره منظرك وأساء مخبرك فبئس والله الصاحب وبئس القرين فيقول كذلك كنت في دار الدنيا انك أسأت في فقبحت لك فطأطأ لي رأسك حتى أركبك اليوم فطال ماركبتني في دار الدنيا فيطاطئ له رأسه ويسخره الله له ويذله فاذا استوى قال له أي عدو الله قبحك الله كما قبحتني فيسوقه سوقا عنيفا ويحدوه معه من خلفه حدوا عنيفا يطرده طردا حثيثا حتى يأتي به الموقف فذلك قوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وقوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء مايزرون فلا يزال به كذلك يسوقه الى الموقف وفي المواطن والمشاهد ولا يرى الشقي من شئ يروعه ويخاف منه الا قال له عمله اخزا عدو الله وابشر بما يسوءك فأنت المراد بما ترى وبما تسمع ولا يبرح عنه في مواطن القيامة ويبرز به الى حر الشمس ويستقبل به وهج النار ووهج الغبار ولا يزال به كذلك حتى يورده نار جهنم فبئس القرين فهكذا يجمع الله الخلائق ليبلو الحقائق (قلت) وقد تقدم هذا المعنى أول الكتاب وسيأتي له مزيد بيان ونقل ابن آجروم في شرحه لحرز الاماني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتي القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب المسافر فيقول لصاحبه أتعرفني فيقول لا فمن أنت فيقول أنا الذي أسهرت ليلك وأنصبت نهارك وأظمأت هواجرك وحلت بينك وبين شهواتك وزلت حيث زلت فيقول أنت القرآن فيقول نعم ثم يقول ان لكل تاجر من وراء تجارته فينطلق به حتى يأتي به الجبار سبحانه فيقول أي رب ان كل صانع كان يعود على أهله من صنعته وكل تاجر كان يعود على أهله من تجارته واني كنت شغلت فلانا في الدنيا عن الصنعة والتجارة بي كان يغدو وبي كان يروح فأجزه عني اليوم فيقول له الجبار سبحانه فما تسئل له فيقول الرضوان والمغفرة فيعطى الخلد بيمينه والنعمة بشماله ويلبس تاج الوقار ويكسى حلة الكرامة اذا نشرها كانت سبعين ذراعا واذا طواها كانت بين أصبعيه ويكسى والداه حلتين لاتقوم لهما الدنيا فيقولان ربنا بم كسوتناهما فما بلغت هذا أعمالنا فيقول الجبار تعالى بأخذ ولدكما القرآن ثم يقال اقرأ وارق فان كان بهذه أعطى بقدر هذه

وان كان ترتيله أعلى بقدر ترتيله حتى يتناهى به المنزل حيث يتناهى به القرآن وفى الحديث الصحيح أيضا من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا والى هذا أشار فى حرز الامانى بقوله

هنيئا مريئا والداك عليهما * ملابس أنوار من التاج والحلا

قال وروى عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يجاء بالقرآن يوم القيامة فى صورة رجل شاحب فيترا آه الناس حتى يقف بين يدى الله عز وجل فيقول الله عز وجل كيف وجدت عبادى لك فيقول يارب منهم من كان ينصرف و يتلونى آناء الليل وآناء النهار وكنت أظمأ نهاره وأنصب ليله ومنهم من كان مستخفا بى صادا عنى فيقول سبحانه وعزتى وجلالى لأكرمن اليوم من أكرمك ولأهينن من أهانك قال فيدعى بأهل القرآن فيأتون وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كان يوم القيامة وضعت منابر من نور عند كل منبر ناقة من نوق الجنة ثم ينادى مناد أين حملة كتاب الله تعالى اجلسوا على هذه المنابر فلا روع عليكم فاذا فرغ الله تعالى من حساب الخلق حملوا على تلك النوق فيزفون الى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأها قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من تلا آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة

(باب فى تعارف الموتى وسؤال بعضهم بعضا عند خروجهم من قبورهم و بيان حال وفودهم وأنواع حشرهم)

قال الفقيه شاكر بن مسلم قال الله تعالى ان كانت الا صيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون وقال تعالى ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قال أبو صالح بلغنى ان الناس يبعثون يوم القيامة ثم يتثبتون فى شأنهم وترجع اليهم بعض أذهانهم فيتساءلون بينهم مامقدار لبثهم وما وجه بعثهم تسئل الطائفة منهم من يليها وتستنبئ من يقاربها و يحاذيها فمنهم المكثر رجما بلا تحقيق ومنهم المقل ظنا بلا يقين فذلك قوله تعالى يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما وقوله تعالى و يوم نحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم أى يعرف بعضهم بعضا و يتعارفون أخبار ماهم فيه وماهم صائرون اليه وواردون عليه قال شاكر بن مسلم فبينما الناس كذلك فى حيرة من البعث والنشور و بهتة قيامهم من القبور اذ ناداهم الملك الموكل بمناداتهم للاجتماع وتكفل الله له بالبلاغ اليهم والاسماع فيناديهم من صخرة بيت المقدس (قلت) وهذا مستفاد أيضا من قوله تعالى واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب الآية قال شاكر بن مسلم فيناديهم المنادى فيقول يامعشر العباد هذا يوم المعاد هلموا الى العرض والحساب هلموا الى المجازاة بالعقاب والثواب فيقبلون نحو الداعى و يجاء بهم لفيفا و يسرع بهم اسراعا حثيثا قد صاروا كالجراد المنتشر ولكل من الرفق أو العنف أو الحفز أو اللطف حظه بقدر مكانه من كرامته عند ربه أو هوانه بسبب سوء كسبه ومنهم من يأتى راكبا على النجب أو محمولا على العواتق ولأهل البر هنالك كرامات بقدر أعمالهم الصالحات قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فيأتى أهل الطاعة ركبانا على النجب محفوفين بالنور قد ظهرت عليهم بهجة الفرح والسرور فالناس يومئذ على منازل ودرجات ومقامات ومكانات

بقدر حظوظهم من الاعمال الصالحات فمنهم من يأتى كريما ومبجلا عظيما فارحا مسرورا لا يهينه فزع ولا يخالطه جزع ولا هلع الا مايجده البعض مما يداخل البشر من الاشفاق والحذر مع علمهم بالنجاة من تلك الاهوال فيأتى أهل الطاعة كما تقدم ركبانا محفوفين بالانوار ويساق أهل الشقاوة والاجرام سوق من لايرعى له ذمام ولاحظ فى الاكرام قال تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا أى عطاشا ومنهم من يسحب على وجهه سحبا قال ابن أبى جمرة رضى الله عنه روى ان يوم القيامة يأتى المؤمنون منهم من هو راكب نوق اللحم والدم ومنهم من هو راكب نوق الذهب وأزمتها الزبرجد الى غير ذلك مما جاءت الاخبار به كل انسان بحسب منزلته والملائكة تأتيهم أفواجا بالبشارة وتقول لهم هذا يومكم الذى كنتم توعدون قال الشيخ عبد الحق فى العاقبة فتفكر الآن فى الخلق كيف يساقون وكيف يجمعون وكيف يحشرون من بين محمول قد مدت ظلال الرحمة عليه وجمعت الامانى فى يديه وبين ساع على قدميه وآخر مجرور على خديه ومصروع لهول مالديه ومن كتاب شفاء الصدور تأليف الفقيه المشاور أبى محمد عبد الرحمن بن عتاب رحمه الله تعالى قال قال الفضيل بن عياض يؤتى بالعبد يوم القيامة الى الحساب فيرى أمرا عظيما فيلتفت عن يمينه فيرى قوما فى ظل العرش وقوما على كراسى من نور قد ظلوا بالغمام وقوما فى الجنة ويلتفت عن يساره فيرى قوما يعذبون فى النار فى أعناقهم السلاسل والاغلال وقوما يسحبون فى النار على وجوههم قال القرطبى الحشر معناه الجمع وهو على أوجه حشر فى الدنيا وحشر فى الآخرة أما حشر الدنيا فهو مارواه مسلم والبخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين وثلاثة على بعير وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا قال عياض هذا الحشر فى الدنيا قبل قيام الساعة وهو آخر أشراطها كما رواه مسلم قال فى الحديث وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس وفى رواية تطرد الناس وفى حديث آخر لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز والحشر الثانى حشرهم الى الموقف كما قال تعالى وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا والحشر الثالث حشرهم الى الجنة والنار قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا معناه ركبانا على النجب وقيل على الاعمال كما تقدم وردت بذلك أخبار منها مارواه النعمان بن سعد عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال أما انهم مايحشرون على أقدامهم ولا يساقون سوقا ولكنهم يؤتون بنوق من نوق الجنة لم ينظر الخلائق الى مثلها رحالها الذهب وأزمتها الزبرجد فيقعدون عليها حتى يقرعوا باب الجنة ونسوق المجرمين الى جهنم وردا أى عطاشا قال الشيخ عبد الحق تسوقهم الملائكة بسياط النار الى النار اجارنا الله من عذابه قال ابن عطية قال المفسرون قوله تعالى وفدا معناه ركبانا وهى عادة الوفود لانهم سراة الناس وأحسنهم شكلا وانما شبههم بالوفد هيئة وكرامة وروى عن عمرو بن قيس الملائى أنهم يركبون على تماثيل من أعمالهم الصالحة هى فى غاية الحسن وروى انه يركب كل واحد منهم ماأحب فمنهم من يركب الابل ومنهم من يركب الخيل ومنهم من يركب السفن فتجىء عائمة بهم وقد ورد فى الضحايا انها مطاياكم الى الجنة (قلت) وقد تقدم عن عمرو بن قيس ان هذا الركوب عند الخروج من القبر فيكون كذلك فى كل موطن يكونون ركبانا من حين خروجهم من قبورهم فضلا من الله سبحانه ورحمة بأوليائه ولا يختص الركوب بموطن دون موطن لان كرامته سبحانه قد عمتهم فى حياتهم وفى مماتهم وفى برزخهم وفى بعثهم وفى حشرهم وفى جميع أمورهم فلا وجه لتخصيص شئ من ذلك بل الاخبار وظواهر

الآيات باقية على عمومها فلا تحجير فى رحمة أرحم الراحمين جعلنا الله عن شملته رحمته فى الدارين

﴿فصل﴾ ومما يبين ماذكرناه ماذكره القرطبي قال وروى القتبى فى عيون الاخبار مرفوعا عن على رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ماهؤلاء الوفد قال يحشرون ركبانا ثم قال والذى نفسى بيده انهم اذا خرجوا من قبورهم ركبوا نوقا عليها رحائل الذهب مرصعة بأنواع الجواهر فتسير بهم الى باب الجنة الحديث (قلت) وهذا حديث فى غاية البيان أسأل الله أن يعاملنا واياكم برحمته فى الدنيا والآخرة وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف مشاة وصنف ركبانا وصنف على وجوههم فقيل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم فى الدنيا على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك وروى مسلم والبخارى عن قتادة عن أنس رضى الله عنه أن رجلا قال يارسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال أليس الذى أمشاه على رجليه فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة بلى وعزة ربنا وخرج أبو بكر أحمد بن على الخطيب عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعرى ما كانوا قط وأنصب ما كانوا فمن أطعم لله أطعمه ومن سقى لله سقاه ومن كسا لله كساه ومن عمل لله كفاه وروى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ياأيها الناس انكم محشورون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ألا وان أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام ألا وانه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يارب أصحابى فيقال انك لاتدرى ماأحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فيقال انهم لم يزالوا مدبرين منذ فارقتهم

﴿فصل﴾ ذكر القرطبي حديثا عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال معاذ قلت يارسول الله أرأيت قول الله عز وجل يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يامعاذ بن جبل لقد سألت عن أمر عظيم ثم أرسل عينيه بالبكاء ثم قال تحشر عشرة أصناف من أمتى أشتاتا قد ميزهم الله من جماعات المسلمين وبدل صورهم فمنهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسين أرجلهم فوق رؤسهم يسحبون على وجوههم وبعضهم عمى يترددون وبعضهم صم بكم لايعقلون وبعضهم يمضغون ألسنتهم مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبين على جذوع من النار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جلابيب سابغة من القطران فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعنى النمام وأما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت والحرام والمكس وأما المنكسون رؤسهم ووجوههم فأكلة الربا وأما العمى فمن يجور فى الحكم والصم البكم الذين يعجبون باعمالهم والذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم والمقطعة أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران والمصلوبون على جذوع من النار فالسعاة بالناس الى السلطان والذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله من أموالهم والذين يلبسون الجلابيب فاهل الكبر والفخر والخيلاء (قلت) ذكر

القرطبي

القرطبي هذا الحديث ولم يعزه الى مؤلف معين فالله أعلم بصحته وقد ذكره صاحب كتاب الفردوس هكذا ويجب على العاقل أن يحتاط لنفسه و يجتنب كل مانهى الله و رسوله عنه قال القرطبي اعلم أن الناس اذا أحيوا و بعثوا من قبورهم فليست حالهم ولا مقامهم ولا موقفهم واحدا ولكن لهم مواقف وأحوال واختلفت الاخبار عنهم لاختلاف مواقفهم وأحوالهم وجملة ذلك خمسة أحوال أولها حال البعث من القبور والثانية حال السوق الى موضع الحساب والثالثة حال المحاسبة والرابعة حال السوق الى دار الجزاء والخامسة حال مقامهم فى الدار التى يستقرون فيها

﴿باب منه فى الحشر وأول من يكسى﴾

قال شاكر بن مسلم واذا نودوا جميعا من مكان قريب وصاروا جميعا فى صعيد وقام النبي صلى الله عليه وسلم من قبره قام معه سبعون ألف ملك يحفونه من بين يديه ومن خلفه و جوانبه يجلونه و يعظمونه و يسيرون معه الى محله فيحلونه بمحله عن يمين العرش على سرير العز والكرامة فكلما قرب منه فوج من أمته فرأى مايسره حمد الله سبحانه وأثنى عليه ودعا بخير وان رأى مايهمه من سوء حال من يساق من أمته استغفر لهم ودعا الله وسأله فلا يزال مابين حط الاوزار وتخفيف الاوقار والدعاء والاستغفار والناس يساقون حيارى كالاسارى مابين مركوب ومسحوب ومغموم ومكروب وناج مسرور ومكرم ذنبه مغفور ومتوج مكسو محبور قال شاكر بن مسلم بقدر الذنوب تكون الكروب و بقدر الاعمال تخف الاهوال قال علي رضى الله عنه أول من يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه الصلاة والسلام قبطيتين ثم يكسى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حبرة و يجاء بهما عن يمين العرش قال القرطبي وروى الحليمي فى كتاب منهاج الدين له بسنده عن أبى الزبير عن جابر رضى الله عنه قال ان المؤذنين والملبين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن و يلبي الملبي وأول من يكسى من حلل الجنة ابراهيم خليل الله ثم محمد صلى الله عليه وسلم ثم النبيون والرسل عليهم الصلاة والسلام ثم يكسى المؤذنون وتتلقاهم الملائكة على نجائب من نور أحمر أزمتها من زمرد أخضر رحالها من الذهب ويشيعهم من قبورهم سبعون ألف ملك الى المحشر (قلت) فتأمل هذا الحديث مع ماقدمناه الآن يتضح لك انهم يكرمون بالركوب من وقت خروجهم من قبورهم وروى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحشرون حفاة عراة غرلا قالت عائشة رضى الله عنها قلت يارسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم الى بعض قال الامر أشد من أن يهمهم ذلك قوله غرلا أى غير مختونين وقال الغزالى فى الدرة الفاخرة اذا استوى كل أحد قاعدا على قبره فمنهم العريان ومنهم المكسو والاسود والابيض ومنهم من يكون له نور كالمصباح الضعيف ومنهم من يكون له كالشمس لايزال كل واحد منهم مطرقا برأسه ألف عام حتى تقوم نار من المحشر وفى نسخة من المغرب لهادوي الكلام الى آخره منعنى من اتمامه عدم وقوفى عليه فى الاحاديث وقد ذكرته فى رياض الصالحين مكملا فانظره ان شئت وسأذكر منه ماتيسر بعد هذا ثم قال بعد كلام وانما نورهم عند البعث على قدر ايمانهم وسرعة وصولهم على قدر أعمالهم فالمتقون وافدون كما قال الجليل جل جلاله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وروى أبو نعيم بسنده من حديث ابن مسعود رضى الله عنه يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم قال أول من يكسى ابراهيم عليه السلام يقول سبحانه اكسوا خليلى فيؤتى بريطتين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعد مستقبل العرش ثم أوتى بكسوتى فألبسها فأقوم عن يمينه مقاما لايقومه أحد غيرى يغبطني فيه الاولون

والآخرون وروى البيهقي باسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول من يكسى من الجنة ابراهيم عليه السلام يكسى حلة من الجنة ويؤتى بكرسى فيطرح عن يمين العرش ويؤتى بى فاكسى حلة من الجنة لايقوم لها البشر ثم أوتى بكرسى فيطرح على ساق العرش قال القرطبي رحمه الله فطوبى ثم طوبى لمن كسى فى ذلك الوقت من ثياب الجنة فانه من لبسها فقد لبس جنة تقيه مكاره الحشر وأهواله (قلت) وأولى مايقال فى حكمة تقديم ابراهيم عليه السلام فى اللباس انه أب والعادة جرت بحسن أدب الابن مع الاب فى التقديم فى مثل هذا والله سبحانه أعلم وذكر القرطبي أنه يحشر الناس عراة غرلا أعطش ما كانوا وأجوع ما كانوا قط فلا يسقى ذلك اليوم الامن سقى لله ولا يطعم الا من أطعم لله ولا يكسى الامن كسى لله ولا يكفى الا من اتكل على الله ومصداق هذا من كتاب الله تعالى قوله سبحانه يوفون بالنذر الى قوله فوقاهم الله شر ذلك اليوم أى من ازالة الجوع والعطش والعرى الى غير ذلك من أهوال القيامة وافزاعها

﴿باب فى صفة حشر الناس وفى قوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم و بايمانهم﴾

قد تقدم ان الارواح فى الصور فاذا نفخ فيه النفخة الثانية وهى نفخة البعث ذهب كل روح الى جسده فاذاهم من الاجداث أى القبور الى ربهم ينسلون ومعنى ينسلون أى يمشون مسرعين قال القرطبي قال محمد بن كعب القرظى يحشر الناس يوم القيامة فى ظلمة وتطوى السماء وتتناثر النجوم وتذهب الشمس والقمر وينادى مناد فيتبع الناس الصوت قال تعالى يومئذ يتبعون الداعى لاعوج له قال المحاسبى رحمه الله تعالى فتوهم وقوع صوت المنادى فى مسامعك ينادى بالخلق للعرض على الله سبحانه وتوهم نفسك وذلك وأنت فى زحمة الخلائق أذلاء مصمونون بالذلة والمسكنة فلا تسمع الاهمس أقدامهم وهم مقبلون نحو المنادى ساعين اليه بالذلة والخشوع وقد اجتمعت الامم من الانس والجن حفاة عراة أذلاء قد نزع الملك من ملوك الارض ولزمهم الصغار بعد تجبرهم ثم أقبلت الوحوش منكسة رؤسها بعد توحشها من الخليقة ذليلة من هول يوم النشور من غير ريبة أتتها ولا خطيئة أصابتها حتى اذا تكاملت عدة أهل الارض من انسها وجنها ووحوشها وهوامها تناثرت نجوم السماء من فوقهم وطمست الشمس والقمر فأظلما عليهم ومارت السماء ثم انشقت قال القرطبي ويقال ان انشقاقها لما يخلص اليها من حرجهنم قال أبو حامد فى الاحياء فياهول انشقاق السماء فى سمعك مع شدتها وغلظها خمسمائة عام ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت كالمهل والجبال كالعهن (قلت) روى الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى يوم القيامة فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت قال هذا حديث حسن

﴿فصل﴾ قوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم الآية قال ابن عطية الجمهور أن النور هنا هو نور حقيقة وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره آثار مضمنها ان كل مؤمن مظهر للايمان يعطى يوم القيامة نورا فيطفى نور كل منافق ويبقى نور المؤمنين حتى ان منهم من نوره يضىء كما بين مكة وصنعاء رفعه قتادة الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من نوره كالنخلة السحوق ومنهم من نوره يضىء ماقرب من قدميه قاله ابن مسعود ومنهم من يهم بالانطفاء مرة ويبين مرة على قدر المنازل فى الطاعة والمعصية قال الامام الفخر قل قتادة

مامن عبد الا و ينادى يوم القيامة يافلان هـذا نورك يافلان لا نورلك نعوذبالله من ذلك فمقادير الانوار يوم القيامة على حسب مقادير المعارف فى الدنيا فمعرفة الله تعالى اليوم هى النور فى القيامة وقول المنافقين انظرونا أى أخروا مشيكم لنا حتى نلتحق فنقتبس من نوركم واقتبس الرجل أى أخذ من نور غيره قبسا والقبس الشعلة من النار والسراج والمنافقون طمعوا فى شئ من أنوار المؤمنين وهذا منهم جهل لان تلك الانوار نتائج الاعمال الصالحة فى الدنيا وهم لم يقدموها قال الحسن يعطى يوم القيامة كل أحد نورا على قدر عمله ثم يؤخذ من حجرجهنم ومما فيه من الكلاليب والحسك ويلقى على الطريق ثم تمضى زمرة من المؤمنين وجوههم كالقمر ليلة البدر ثم تمضى زمرة أخرى كأضوأ كوكب فى السماء ثم على ذلك ثم تغشاهم ظلمة تطفئ نور المنافقين فهنالك يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم وذكر الغزالى فى الدرة الفاخرة انهم اذا خرجوا من قبورهم وان منهم العريان والمكسو والاسود والابيض ومنهم من يكون له نور كالمصباح الضعيف ومنهم من يكون له كالشمس لايزال كل واحد مطرقا برأسه ألف عام حتى تقوم من المغرب نار وفى نسخة من الحشر لهادوى فيدهش منها الخليقة ثم يأتى كل واحد من الخاطبين عمله و يقول له قم فانهض الى المحشرفمن كان له حينئذ عمل جيد شخص له عمله فحمله و يجعل لكل منهم نور شعاعى بين يديه وعن يمينه مثله تسرى بين يديه فى الظلمات وهو قوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم و بايمانهم وليس عن شمائلهم نور بل ظلمة حالكة لا يستطيع البصر نفاذها يحار فيها الكفار و يتردد فيها المرتابون والمؤمن ينظر الى قوة حلكتها وشدة حندسها و يحمد الله سبحانه على ما أعطاه من النور المهتدى به فى تلك الشدة يسعى بين أيديهم و بايمانهم لان الله تعالى يكشف للعبد المؤمن المنعم عن أحوال المعذب الشقى ليتبين له قدر نعمة الله تعالى عليه ومن الناس من يبقى على قدميه وعلى طرف بنانه نوره يطفأ مرة و يشعل أخرى وانما نورهم عند البعث على قدر ايمانهم وسرعة وصولهم على قدر أعمالهم وقد تقدم بعض هذا الكلام قبل هذا وروى أبو نعيم فى الحلية عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى فى ظلمة الليل الى المسجد آتاه الله نورا يوم القيامة (قلت) وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال بشروا المشائين فى الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة رواه أبو داود فى سننه

﴿باب ماجاء فى قوله سبحانه يوم تبدل الارض غير الارض والسموات و برزوا لله الواحد القهار﴾

روى مسلم وابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فأين يكون الناس يومئذ قال على الصراط ورواه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح وفى رواية لمسلم هم فى الظلمة دون الجسر قال القرطبى وروى عن ابن مسعود تبدل الارض نارا والجنة من ورائها ترى أكوابها وكواعبها وعن بعضهم أنه قال انى وجدت فيما قرأته من كتب الله ان الارض تشتعل نارا يوم القيامة وعن على تبدل الارض فضة والسماء ذهبا وعن جعفر بن محمد فى قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض قال تبدل خبزة يأكل منها الخلق يوم القيامة ثم قرأ وماجعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وقال سعيد ابن جبير ومحمد بن كعب تبدل الارض خبزة بيضاء فيأكل المؤمن من تحت قدميه وهذا المعنى الذى ذكره ابن جبير ومحمد بن كعب مروى فى الصحيح قال ابن عطية وروى فى تبديل الارض أخبار

منها في الصحيح يبدل الله هذه الارض بارض عفراء بيضاء كأنها قرصة نقي وفي الصحيح ان الله يبدلها خبزة يأكل المؤمن منها من تحت قدميه وروى انها تبدل أرضا من فضة وروي انها أرض كالفضة من بياضها وروى انها تبدل من نار قال ابن عطية وسمعت من أبي رحمه الله تعالى يقول انه روى ان التبديل يقع في الارض ولكن يبدل لكل فريق بما يقتضيه حاله فالمؤمن من يكون على خبز يأكل منه بحسب حاجته اليه وفريق يكون على فضة ان صح السند بها وفريق الكفرة يكونون على نار ونحو هذا مما كله واقع تحت قدرة الله عز وجل وأكثر المفسرين على أن التبديل يكون بارض بيضاء عفراء لم يعص الله فيها ولا سفك فيها دم وليس فيها معلم لاحد وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال المؤمنون وقت التبديل في ظل العرش وروى عنه أنه قال الناس وقت التبديل على الصراط وروى عنه أنه قال الناس حينئذ أضياف الله فلا يعجزهم مالديه (قلت) قال شاكر بن مسلم وقيل ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأصحاب الكرامة من المؤمنين الاولياء يلجؤن وقت التبديل الى العرش فيكونون حوله مابين متعلق به معتصم بجلال ربه في كرامة عرشه ومستظل بظله مستنشق ابرد نسيمه قاعد على كرامة أعدت له وكل على قدر منزلته من كرامة ربه سبحانه (قلت) قال شبيب بن ابراهيم في كتاب الافصاح ولا تعارض بين هذه الآثار ثم ذكر في كلام طويل أن التبديل بحسب مواطن الآخرة (قلت) ولا شك ان الآخرة مواطن وللناس أحوال مختلفة في الآخرة كما ان أحوالهم في الدنيا مختلفة وبهذا ونحوه يقع الجمع بين الآثار والقاعدة والعقيدة ان كل ماأخبر الله سبحانه وأخبر به نبيه صلى الله عليه وسلم حق لاتعارض ولاتناقض فيه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وروى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي قال سهل وغيره ليس فيها معلم لاحد قال الشيخ الولي العارف بالله سبحانه أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة رضي الله عنه ظاهر الحديث يدل على ان الارض التي يحشر الناس عليها يوم القيامة غير هذه الارض وانها بيضاء مستوية ممدودة لم يتقدم لاحد فيها ملك ولا تصرف والاخبار تقتضي انها أكبر من هذه بدليل انه قد جاء ان كل مافي هذه الارض وما عليها يحشر يوم القيامة وكل من في الارضين السبع وكل من في السموات من الملائكة وغيرهم وان هذه بنفسها تحشر أيضا بدليل ان بقاعها تشهد بما فعل عليها من خير وغيره ولا تشهد الا وهي حاضرة يشهد لذلك قوله عز وجل يومئذ تحدث أخبارها (قلت) وخرج الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ماأخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أوأمة بما عمل على ظهرها تقول عمل على يوم كذا كذا وكذا فهذه أخبارها قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وكذا رواه أبو بكر بن الخطيب وفيه عمل على في يوم كذا وكذا وفي يوم كذا وكذا قال القرطبي هذا الاحاديث المتقدمة نص في الارض والسموات تبدل وتزال ويخلق الله أرضا أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو الصراط لا كما قال بعض الناس ان تبديل الارض عبارة عن تغيير صفاتها وتسوية آكامها ومد أرضها (قلت) وماورد مما ظاهره ان التبديل عبارة عن تغير صفاتها فيؤول على معنى ماتقدم

﴿باب ماجاء في بعث الايام والليالي وشهادة البقع وغيرها﴾

روى أبو نعيم في الحلية عن الاوزاعي أنه قال ليس ساعة من ساعات الدنيا الا وهي معروضة على

العبد يوم القيامة يوما فيوما وساعة فساعة ولا تمر به ساعة لم يذكر الله فيها الا تقطعت نفسه عليها حسرات وقال الاوزاعي بلغني ان في السماء ملك ينادي كل يوم ألا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويا ليتهم اذ خلقوا عرفوا لماذا خلقوا له وجلسوا مجلسا فذكروا ما عملوا قال القرطبي في تذكرته روى القاضي الشريف أبو الحسن علي بن عبد الله بن ابراهيم الهاشمي العيسوي من ولد عيسى ابن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم باسناد صحيح عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل تبعث الايام يوم القيامة على هيئتها و يبعث الجمعة زهراء منيرة أهلها محفون بها كالعروس تهدى الى كريمها تضيء لهم يمشون في ضوئها ألوانهم كالثلج بياضا وريحهم يسطع كالمسك يخوضون في جبال الكافور ينظر اليهم الثقلان مايطرفون تعجبا يدخلون الجنة لايخالطهم الا المؤذنون المحتسبون و روى أبو نعيم عن أبي عمران الجوني أنه قال مامن ليلة تأتي الا تنادي اعملوا في ما استطعتم من خير فلن أرجع اليكم الى يوم القيامة (قلت) وذكر الثعلبي في تفسير قوله تعالى وشاهد ومشهود أقوالا للعلماء أحدها ان الشاهد الايام والليالي والمشهود بنوا آدم دليله الخبر مامن يوم الا و ينادي اني يوم جديد واني على مايفعل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيامة وقال مالك بن أنس أخبرت عن الحسن بن علي أنه قال

مضى أمسك الماضي شهيدا معدلا * وخلفت في يوم عليك شهيد

فان كنت بالامس اقترفت اساءة * فثن باحسان وأنت حميد

ولا ترج فعل الخير يوما الى غد * لعل غدا ياتي وأنت فقيد

فيومك ان أعتبته عاد نفعه * عليك وماضي العيش ليس يعود

وقال عياض في المدارك روى عن الغازي بن قيس أنه كان يقول مامن يوم يأتي الا ويقول أنا يوم جديد وعلى مايفعل في شهيد خذوا مني قبل أن أبيد فاذا أمسى ذلك اليوم خر لله ساجدا وقال الحمد لله الذي لم يجعلني اليوم العقيم وخرج أبو نعيم عن معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم يأتي على ابن آدم الا ينادي فيه ياابن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل عليك غدا شهيد فاعمل في خيرا أشهد لك به غدا فاني لو قد مضيت لم ترني أبدا و يقول الليل مثل ذلك

﴿فصل﴾ وروى ابن المبارك عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال من سجد في موضع عند حجر أو شجر شهد له يوم القيامة عند الله وروى ابن المبارك عن عثمان بن عفان رضي الله عنه في قوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قال سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها قال ابن عطية كل نفس يعم الصالحين وغيرهم ومعنى الآية شهيد بخيره وشره ويقوى في شهيد انه اسم جنس فتشهد الملائكة والبقاع والجوارح وفي الصحيح لايسمع مدى صوت المؤذن انس ولا جن ولا شئ الا شهد له يوم القيامة وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وان هذا المال خضر حلو ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيدا يوم القيامة وروى الائمة مالك وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لايسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شئ الا شهد له يوم القيامة قال القرطبي قال العلماء وتكون المحاسبة بشهد من النبيين وغيرهم قال الله تعالى وجيء

بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقال تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال وشهيد كل أمة نبيها وقيل انهم كتبة الاعمال وروى ابن المبارك عن سعيد ابن المسيب أنه قال ليس يوم الا تعرض على النبى صلى الله عليه وسلم أمته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم قال القرطبى وقد جاء أن الاعمال تعرض على الله تعالى يوم الاثنين ويوم الخميس وعلى الانبياء والآباء والامهات يوم الجمعة ولا تعارض فانه يحتمل أن يخص نبينا صلى الله عليه وسلم بالعرض كل يوم ويوم الجمعة مع الانبياء والله سبحانه أعلم وروى ابن المبارك عن سلمان بن راشد أنه بلغه أن امرأ لا يشهد على شهادة فى الدنيا الا شهد بها يوم القيامة على رؤس الاشهاد ولا عتدح عبدا فى الدنيا الا امتدحه يوم القيامة على رؤس الاشهاد *(تنبيه)* روى أبو نعيم فى حليته عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله عز وجل ملائكة فى السماء أبصر بعمل ابن آدم من بنى آدم بنجوم السماء فاذا نظروا الى عبد يعمل بطاعة الله عز وجل ذكروه بينهم فسموه وقالوا أفلح الليلة فلان فاز الليلة فلان واذا رأوا رجلا يعمل بمعصية الله تعالى قالوا خسر الليلة فلان هلك الليلة فلان ونقل أبو نعيم عن ابن المبارك عن مجاهد ان مع الانسان ملكين أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره فالذى عن يمينه يكتب له الحسنات والذى عن شماله يكتب السيئات فالذى عن يمينه يكتب بغير شهادة من صاحبه والذى عن يساره لا يكتب الا عن شهادة من صاحبه ان قعد فأحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وان مشى فأحدهما أمامه والآخر خلفه وان رقد فأحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه قال ابن المبارك قد وكل به خمسة أملاك ملكان بالليل وملكان بالنهار يجيئان ويذهبان والخامس لا يفارقه ليلا ولا نهارا

(باب ماجاء فى انشقاق السماء ونزول الملائكة ودنو الشمس من الخلق وتفاوتهم فى العرق)

قال مولانا سبحانه ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا قال عبد الحق وغيره روى شهر بن حوشب وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم ثم ينقاض أهل سماء الدنيا على الارض فاهل السماء الدنيا وحدهم أكثر من جميع أهل الارض جنهم وانسهم بالضعف ثم ينقاض أهل السماء الثانية فينتشرون على وجه الارض فاهل السماء الثانية وحدهم أكثر من أهل السماء الدنيا وأهل الارض جنهم وانسهم بالضعف ثم ينقاض أهل السموات سماء سماء كلما انقاضت سماء انتشر أهلها على وجه الارض فيكون أكثر من أهل السموات الذين تحتهم وأهل الارض جنهم وانسهم بالضعف ثم ينقاض أهل السماء السابعة فينتشر أهلها على وجه الارض فلهم وحدهم أكثر من أهل السموات وأهل الارض جنهم وانسهم بالضعف وتكون الجن والانس والبهائم فى الوسط قد أحدقت بهم صفوف الملائكة وفى حديث ابن المبارك نحو هذا وان الانس والجن لا يأتون قطرا من أقطار الارض الا وجدوا صفوفا قياما من الملائكة فذلك قوله تعالى يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا ألا وذلك قوله سبحانه وجاء ربك والملك صفا صفا وجىء يومئذ بجهنم الحديث انتهى مختصرا (قلت) وهذان الحديثان وان كان فى سنديهما من ذكر بضعف فقد أجاز العلماء ذكر ذلك فى باب الترغيب والترهيب لا فى الاحكام وبيان الحلال والحرام قال شاكر بن مسلم وقال النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة

على

على أرض بيضاء كقرصة النقي ليس فيها معلم لاحد فبينما الناس كذلك اذ أمر الله سبحانه بالسماء فتنشق كما ينشق الثوب الجديد وتنفطر كما ينفطر الزجاج البارد من حر النار ثم يؤمر بها فتتقطع تقطع السحاب وتستحيل فتكون كالمهل وتتميع وتسيل قال منذر بن سعيد وغيره بينما الناس في موطن القيامة وقوف صموت عكوف والارض قد بدلت وجموع الخليقة محضرة قد أكملت وهم شاخصون في حيرة من الامر ساكتون اذ أمر الله عز وجل السماء الدنيا ان تستحيل وينزوى بعضها الى بعض وتنقبض وتشقق فتبقى واهية وتصير ملائكتها في أرجائها وهي حافاتها وجوانبها ثم انها تتقطع تقطع السحاب وتستحيل استحالة السراب وتنزل ملائكته الى الارض أفواجا صفوفا وأعدادا ألوفا لهم زجل بالذكر والتسبيح والتقديس والتحميد والتكبير والتهليل باصوات تلين الفؤاد وتطرب الاكباد حتى يأخذ كل واحد منهم من الارض موضع قدميه قائما على الموضع الذى نزل عليه فيقيمون كذلك عكوفا ذاكرين الله رافعين أصواتهم بالذكر والثناء والابتهال لله رب العالمين ثم يأمر الله سبحانه بالسماء الثانية أن تستحيل أيضا كذلك وتنزل ملائكتها أيضا الى الارض ثم السماء الثالثة كذلك ثم الرابعة كذلك ثم الخامسة كذلك ثم السادسة كذلك ثم السابعة كذلك والناس قيام ينظرون في غمرة يتحيرون وما من سماء الا وهي أعظم من التى دونها الى الارض وأوسع وأهلها أكثر عددا وأعظم

﴿فصل﴾ وخرج مسلم من حديث المقداد بن الاسود رضى الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل قال سليمان بن عامر فوالله ماأدرى مايعنى بالميل أمسافة الارض أوالميل الذى تكحل به العين قال فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه وعن أبى أمامة رضى الله عنه في هذا الحديث قال تدنى الشمس يوم القيامة على قدر ميل و يزاد في حرها كذا كذا تغلى منها الهوام كما تغلى القدور على الاثافى ذكره قاسم ابن أصبغ وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم أحدهم في رشحه الى انصاف أذنيه وأشار ابن أبى جمرة رضى الله عنه الى ان هذه الاحاديث مخصصة قال وقد جاء ان هنالك من لايحضر تلك المواطن مثل الشهداء لانه قد جاء انهم يقومون من قبورهم الى قصورهم ومنهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما جاء في حقهم انهم على كراسى في ظل عرش الرحمن وان العلماء هنالك دون الانبياء بدرجة والصديقين دونهم (قلت) وهذا بين من الآيات والاحاديث كقوله تعالى لايحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون الآية وكقوله تعالى ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون قال ابن عطية لايخافون في الآخرة جملة ولا في الدنيا الخوف الدنياوى وأولياء الله هم المؤمنون الذين والوه بالطاعة والعبادة وهذه الآية يعطى ظاهرها ان من آمن واتقى الله فهو داخل في أولياء الله وهذا هو الذى تقتضيه الشريعة في الولى وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل من أولياء الله قال الذين اذا رأيتهم ذكرت الله قال ابن عطية وهذا وصف لازم للمتقين لانهم يخشعون ويخشعون وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أولياء الله قوم تحابوا في الله واجتمعوا في ذاته لم يجمعهم قرابة ولا مال يتعاطونه وروى الدارقطنى في سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خيار عباد الله الذين اذا رأوا ذكر الله وشر عباد الله المشاؤن بالنميمة

المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وذكر الطبرى عن جماعة من العلماء مثل ما فى الحديث فى الاولياء أنهم هم الذين اذا رآهم أحد ذكر الله وروى فيهم حديث ان أولياء الله هم قوم يتحابون فى الله ويجعل لهم يوم القيامة منابر من نور وتنير وجوههم فهم فى عرصة القيامة لايخافون ولا يحزنون وروى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من عباد الله عبادا ماهم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء لمكانهم من الله قالوا ومن هم يارسول الله قال قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام ولا أموال الحديث ثم قرأ ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون (قلت) وقد خرج هذا الحديث أبو داود والنسائى قال أبو داود فى هذا الحديث فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور ذكره باسناد آخر ورواه أيضا ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن أبى مالك الاشعرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس فقال يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله عز وجل فقال اعرابى انعتهم لنا يانبى الله قال هم ناس من أبناء الناس لم تصبهم أرحام متقاربة تحابوا فى الله وتصافوا يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسون عليها فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيامة وهم لا يفزعون وهم أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون (قلت) وهذه كانت صفة الصحابة رضى الله عنهم فقد قال سبحانه فيهم وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافى الارض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم وقال فيهم محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة وروى مالك فى الموطأ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون لجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لاظل الا ظلى قال أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد وعن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى لو أنفقت مافى الارض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم قال نزلت فى المتحابين فى الله سبحانه قال أبو عمر وأما قوله فاليوم أظلهم فى ظلى فانه أراد والله أعلم فى ظل عرشه وقد يكون الظل كناية عن الرحمة كما قال ان المتقين فى ظلال وعيون يعنى بذلك ماهم فيه من الرحمة والنعيم اللهم اجعلنا من أوليائك الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون وبالجملة فهذه الاهوال انما هى فى حق الكافرين والمذنبين المخلطين من المؤمنين ولكن يخاف كل عبد على نفسه أن يكون منهم فيجب عليه أن يسعى فى خلاص نفسه ويلازم الخوف من مقام ربه وروى أبو بكر بن أبى شيبة بسنده عن سلمان رضى الله عنه قال تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنو من جماجم الناس حتى تكون قاب قوس الحديث ورواه ابن المبارك فى رقائقه قال أخبرنا سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن سلمان رضى الله عنه قال تدنى الشمس من الناس يوم القيامة حتى تكون من رؤسهم قاب قوس أوقاب قوسين فتعطى حر عشر سنين وليس على أحد يومئذ طحربة ولا ترى فيه عورة مؤمن ولا مؤمنة ولايضر حرها يومئذ مؤمنا ولا مؤمنة وأما الآخرون أوقال الكفار فتطبخهم طبخا فانما تقول أجوافهم غق غق قال نعيم الطحربة الخرقة (قلت) وهذا أيضا ليس على عمومه لما تقدم من ان الناس عند خروجهم من قبورهم منهم المكسو ومنهم العريان قال شاكر بن مسلم وتقلب الشمس يوم القيامة ويصير وجهها مما يلى الارض ليباشروا حرها لانها فى الدنيا وجهها الى السماء وتدنى الى الناس حتى تغلى منها أدمغتهم من شدة حرها وروى أبو بكر البزار فى مسنده عن جابر

ابن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العرق ليلزم المرء فى الموقف حتى يقول يارب ارسالك بى الى النار أهون على مما أجد وهو يعلم مافيها من شدة العذاب (قلت) وحديث ابن المبارك رواه أيضا هناد بن السرى بسنده عن سفيان عن سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن سلمان رضى الله عنه فذكره سواء الا أنه قال ولايجد حرها بدل ولا يضر وقال وأما الكافرون أو الآخرون فتطبخهم طبخا حتى يسمع لاجوافهم غق غق ورواه أبوبكر بن أبى شيبة وقال حتى تقول أجوافهم غر غر فاذا رأواماهم فيه قال بعضهم لبعض ألا ترون ما أنتم فيه ائتوا أبا كم آدم فيشفع لكم الحديث بطوله وسيأتى مرفوعا ان شاء الله تعالى وقد روى شاكر ابن مسلم هذا الحديث عن سلمان وأبى هريرة رضى الله عنهما فذكره سواء الا أنه قال فتطبخهم طبخا حتى تغلى أجوافهم فيسمع لغليان أجوافهم صوت قال أبوهريرة ويقصر الوقت على المؤمن حتى يكون كوقت صلاة قال شاكر بن مسلم ويبقى الخلق كلهم مختلطين فى صعيد واحد مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم وجنهم وانسهم والوحش والطير وغير ذلك الا الانبياء وأصحاب الكرامات من الاولياء والشهداء فانهم يكونون ممتازين على منازل بقدر مكانتهم من كرامة الله سبحانه تبشرهم الملائكة بالفوز والنجاة وتؤمنهم من الفزع الاكبر وتسكنهم من هول ذلك المطلع وكل قدوكل به ملك يحوطه ويحفظه ويمنعه كما قد وكل بالشقى سائق يسوقه ويدفعه ومع كل بر وفاجر عمله يبشره بما يؤمنه كلما مر بالولى هول قالت له ملائكة الرحمة ابشر ياولى الله لاتخف ولا تحزن فانك ناج معصوم فذلك قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لاتخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلا من غفور رحيم وتتلقاهم الملائكة أفواجا فى تلك المواطن وتسلم عليهم وترحب بهم ويقولون ياأولياء الله لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون هذا يومكم الذى كنتم توعدون (قلت) وقد نصت الآية الكريمة على هذه المعانى الجلية قال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لايسمعون حسيسها وهم فى مااشتهت أنفسهم خالدون لايحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون قال القرطبى قوله لايضر حرها مؤمنا ولامؤمنة ظاهره العموم فى جميع المؤمنين وليس كذلك وانما المراد والله أعلم لايضر مؤمنا كامل الايمان ومن استظل بظل عرش الرحمن كما جاء فى الحديث سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الاظله الامام العادل وشاب نشأ فى عبادة ربه ورجل قلبه معلق بالمسجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه قال القرطبى ومعنى فى ظله أى فى ظل عرشه وقد جاء هكذا مفسرا فى الحديث وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الارض سبعين ذراعا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم قال ابن أبى جمرة رضى الله عنه وهنا اشارة اذا نظرناها يزيد المرء بها تهويلا وتعظيما وهوانه أخبر صلى الله عليه وسلم ان النار تدور بالحشر كالخاتم بالاصبع وان الشمس ينقلب وجهها الى الناس وتدنى من رؤسهم حتى يكون بينها وبينهم قدر الميل وهو المرود الذى تكحل به العين فانظر كيف تكون حرارة تلك الارض التى يكون الناس عليها وماذا عسى أن يرويها من العرق حتى يبلغ منها سبعين ذراعا ثم بعد ذلك يلجمهم وكيف تكون حرارته فسبحان الذى حبس أرواحهم مع هذا البلاء العظيم

أعاذنا الله منه بجاه نبيه محمد الكريم صلى الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم وروى أبونعيم فى الحلية عن الفضيل بن عياض عن منصور عن خيثمة قال قيل لعبد الله بن عمرو ان ابن مسعود يقول ان الرجل يسبح فى عرقه حتى يبلغ أنفه فقال عبد الله بن عمرو ان للمؤمنين كراسى من لؤلؤ يجلسون عليها ويظلل عليهم بالغمام ويكون يوم القيامة عليهم كساعة من نهار أوكأحد طرفيه قال الغزالى فى الدرة الفاخرة وكيف لا يكون العرق والقلق والارق وقد قربت الشمس حتى لومد أحدهم يده لنالها ويضاعف حرها سبعين مرة وقال بعض السلف لو طلعت الشمس على الارض على هيئتها يوم القيامة لاحرقت الارض وأذابت الصخور ونشفت الانهار (قلت) فتأمل ياأخى هذه الاهوال وقدم لنفسك صالح الاعمال مادام رمق الحياة قبل انتقالك لمحلة الاموات قال عبد الحق رحمه الله فتفكر فى هذا المجتمع وهذا الهول الاشنع وكيف يقوم الناس على أقدامهم وأنت معهم فى ضيق مقام وطول قيام وقد انشقت السماء فوقهم وذابت عليهم وسالت على رؤسهم فيالك من هول تهد منه الجبال فكيف بالرجال فتفكر فى ذلك الازدحام وقد قربت الشمس منهم قبل تكويرها وكانت كمقدار ميل وقد زيد فى حرها وضوعف فى وجهها ولا ظل الا ظل عرش ربك بما قدمته من كسبك قال ابن أبى جمرة رضى الله عنه وظلال الآخرة ما فيها مباح بل كلها قد تملكت بالاعمال التى عملها العاملون الذين هداهم الله تعالى لتلك الاعمال التى ثوابها بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن فى ظل صدقته يوم القيامة فليس هناك لصعلوك الاعمال ظل قال ابن العربى فى العارضة وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال سبعة يظلهم الله فى ظله الحديث وصح فى مسلم ان البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة تظللان صاحبها قال وقد استفاض ان كل واحد يظله عمله وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله فى ظله الحديث قال ابن أبى جمرة رحمه الله تعالى وقد جاء ان ثم من لا يحضر تلك المواطن مثل الشهداء لانه قد جاء انهم يقومون من قبورهم الى قصورهم ومنهم الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وما جاء فى حقهم انهم على كراسى وان العلماء هناك دون الانبياء بدرجة والصديقين دونهم وهذه كلها أخبار والخبر لا يدخله فسخ ويسوغ الجمع بينها بان تقول قوله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس هو حال الاغلب فى الناس وان غيرهم ممن ذكرنا مستثنون ممن ذكروهم قلائل ويبقى قوله يعرق الناس على عمومه فيمن بقى لان الاكثر من الناس يوم القيامة هم الكفار كما جاء فى حديث بعث النار (قلت) وهذا كلام عليه نور وبه تنشرح الصدور ومقام ابن أبى جمرة فى العلمين عظيم أعنى علم الظاهر والباطن فليس بعد كلامه مرمى لغيره فانه ممن قد من عليه بالمواهب الربانية والمعارف النورانية أعاد الله علينا من بركاته وبركة أمثاله فى الدنيا والآخرة قال القرطبى ذكر المحاسبى وغيره ان انفطار السماء وانشقاقها بعد جموع الناس فى الموقف وهو المروى عن ابن عباس رضى الله عنهما الا أن فى سندهما ضعفا ومقتضى حديث أبى هريرة ان ذلك يكون قبل جمع الناس (قلت) ماذكره المحاسبى هو الظاهر وهو الذى عول عليه الناس فى المصنفات وعليه يدل ظواهر الآيات كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام الى قوله وكان يوما على الكافرين عسيرا وغيره من الآيات وحديث أبى هريرة المشار اليه هو مارواه على بن معبد عن أبى هريرة رضى الله عنه ان نفخة الفزع تمتد وان ذلك يوم الجمعة فى النصف من شهر رمضان فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب ثم تكون سرابا ثم ترتج الارض باهلها رجا وتضع الحوامل مافى بطونها ويشيب الولدان ويولى الناس مدبرين ثم ينظرون الى السماء فاذا هى كالمهل ثم انشقت ثم قال النبى صلى الله عليه

وسلم والموتى لايعلمون شيأ من ذلك قلت يارسول الله فمن استثنى الله عز وجل حين يقول ففزع من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله قال أولئك هم الشهداء انتهى مختصرا قال صاحب التذكرة وهذا الحديث ذكره الطبرى والثعلبى وصححه ابن العربى فى سراج المريدين وقال عبد الحق هو حديث منقطع لايصح والذى عليه المحققون ان هذه الاهوال هى بعد البعث قاله صاحب التذكرة وغيره

﴿فصل﴾ قال الغزالى فى الدرة الفاخرة والناس على أنواع فى الحشر فالملوك كالذر كما قدجاء عن المتكبرين وليس هم كهيئة الذر فى الخلقة وانما المعنى انهم تحت الاقدام حتى صاروا كالذر فى مذلتهم وانحطاطهم وقوم يشربون ماء باردا عذبا زلالا لان الصبيان يطوفون على آبائهم بكؤس من أنهار الجنة وقوم قدمد على رؤسهم ظل يمنعهم من الحر وهى الصدقة الطيبة قال الغزالى فى الاحياء تأمل يامسكين فى عرق أهل المحشر وشدة كربهم فان منهم من ينادى و يقول يارب أرحنى من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وانك واحد منهم ولا تدرى الى أين يبلغ منك العرق واعلم ان كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله تعالى من حج و جهاد وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة فى أمر بمعروف أونهى عن منكر فانه يستخرجه الحياء والخوف من الله تعالى فى صعيد القيامة و يطول فيه الكرب ولوسلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم ان تعب العرق فى تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والافتضاح فى القيامة فانه يوم عظيم شديد طويل ثم قال فى موضع آخر فى أهوال الموقف واذا أدنيت الشمس من رؤس العالمين قاب قوسين وقد ضوعف حرها لم يبق على الارض ظل الاظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون فكم بين مستظل بظل العرش و بين مضح لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها اللهم عاملنا فى الدارين برحمتك معاملة أوليائك روى أبونعيم فى الحلية عن صفوان بن سليم عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل عين باكية يوم القيامة الاعين غضت عن محارم الله عز وجل وعين سهرت فى سبيل الله وعين خرج منها مثل رأس الذبابة من خشية الله عز وجل و روى أبونعيم عن أبى موسى رضى الله عنه قال ان الشمس فوق الناس يوم القيامة وأعمالهم تظلهم وتضحيهم و روى أبونعيم عن سعيد الجريرى عن رجل قال رأيت ابن عباس أخذ بثمرة لسانه وهو يقول ويحك قل خيرا تغنم وأسكت عن شر تسلم ثم قال بلغنى ان العبد يوم القيامة ليس هو على شئ أحنق منه على لسانه (قلت) ومن أجل هذا يجب على العبد ان يحفظ لسانه ويحاسب نفسه و روى أبو نعيم عن أيوب السختيانى عن طاوس أنه كان يقول مارأيت أحدا كان أشد تعظيما لحرمات الله من ابن عباس والله لو أشاء اذا ذكرته ان أبكى لبكيت وعن أبى رجاء قال كان هذا الموضع من ابن عباس مجرى الدموع كأنه الشراك البالى

﴿فصل﴾ قال القرطبى قال الفقيه أبو بكر بن برجان فى كتاب الارشاد له ولا يبعدن عندك رحمك الله أن يكون الناس كلهم فى صعيد واحد وموقف سواء وأحدهم يشرب والآخر لايشرب وأحدهم يسعى نوره بين يديه والآخر فى الظلمات وأحدهم فى حر الشمس والآخر مستظل بظل العرش مع قرب المكان والمجاورة فانهم كذلك كانوا فى الدنيا يمشى المؤمن بنور ايمانه بين الناس والكافر فى ظلام كفره والمؤمن فى وقاية الله وكفايته والكافر والعاصى فى خذلانه وغوايته والمؤمن السنى يكرع فى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم و يروى ببرد اليقين ويمشى فى سبل

الهداية بحسن الاقتداء والمبتدع عطشان سالك في مسالك الضلالات والبدع وهو لايدري كذلك في الوجود الاعمى لايهتدو ر بصر البصير ولاينفعه

باب ماجاء في طول يوم القيامة وذكر الشفاعة العامة

قال الله سبحانه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن صاحب ذهب وفضة لايؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نارفاحمى عليها في نارجهنم فيكوى بها جنبه و جبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار الحديث قال عبد الحق رحمه الله تعالى اعلم رحمك الله ان يوم القيامة ليس طوله كما عهدت من طول الايام بل هو آلاف من الاعوام يتصرف فيه هذا الانام على الوجوه والاقدام حتى ينفذ فيهم ما كتب لهم وعليهم من الاحكام وليس يكون خلاصهم في دفعة واحدة ولافراغهم في مرة واحدة بل يتخلصون و يفرغون شيأ بعد شيء لكن طول ذلك اليوم خمسين ألف سنة فيفرغون بفراغ اليوم و يفرغ اليوم بفراغهم ثم قال عبد الحق فمن الناس من يطول مقامه وحبسه الى آخر اليوم ومنهم من يكون انفصاله في ذلك اليوم في مقدار يوم من أيام الدنيا أوفي ساعة من ساعته أوفي أقل من ذلك و يكون رائحا في ظل كسبه وعرش ربه ومنهم من يؤمر به الى الجنة بغير حساب ولاعذاب كما انمنهم من يؤمر به الى النار في أول الامر من غير وقوف ولا انتظار أو بعد يسير من ذلك اليوم وبالجملة فليس يتم ذلك اليوم الا وقدنزل كل انسان بداره واستقر بقراره من جنته أوناره (قلت) الا انه قدجاء الاثر انه لايدخل أحد الجنة أوالنار الا وليس عليه طلبة لاحد بل لايدخل مستقره حتى يتخلص من غرمائه ثم قال فتفكر أيها الانسان في طول ذلك اليوم وفي طول ذلك القيام مع ذلك الحال الاخطر والهول الذي لايكيف ولايقدر واختر لنفسك كم تريد ان تقف فيه وكيف تريد أن تكون فيه مادام النظر اليك والاختيار بيدك مع توفيق ربك عز وجل لك ومعونته اياك قال الغزالي في الاحياء اعلم ان من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته الصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم والذي نفسي بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين فما دام بقي لك نفس من عمرك فالامر اليك والاستعداد بيدك فاعمل في أيام قصارلايام طوال تربح ربحا لامنتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف مثلا لتتخلص من يوم مقداره خمسون ألف سنة فلولم تعمل الاخلاص من ذلك اليوم دون رجاء الجنة وخوف النار لكان ربحك كثيرا أو نعيمك كبيرا وتعبك يسيرا قال الغزالي رحمه الله تعالى قال النبي صلى الله عليه وسلم ان أكثر الناس أمانا يوم القيامة أكثرهم فكرا في الدنيا وأكثر الناس ضحكا في الآخرة أطولهم حزنا في الدنيا قال رحمه الله فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته وقادته الى الخزي والمقت سيآته ولما علم أرباب البصائر من جملة العباد ان الله لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب شمروا عن ساق الجد فربحوا يوم المآب قال عبد الحق واعلم أنه كلما طال قيامك في طاعة الله عز وجل وتعبك له قصر قيامك في ذلك اليوم وقل تعبك وكلما كثر تصرفك في طاعة الله عز وجل

واقبالك

واقبالك وادبارك في قضاء حاجة مسلم يقل مشيك في ذلك اليوم ويقل نصبك وبقدر ماتبدل تعطى وكما تدين تدان

(فصل) وذكر الغزالي في الدرة الفاخرة أن الرسل يوم القيامة على المنابر والانبياء على منابر صغار دونهم ومنبر كل رسول على قدره والعلماء العاملون على كراسى من نور والشهداء والصالحون كقراء القرآن والمؤذنون على كثبان من مسك وهذه الطائفة العاملة أصحاب الكراسى هم الذين يطلبون الشفاعة من آدم ونوح حتى ينتهوا الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن كتاب الاحياء قال الغزالي قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك لايهمهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأم الناس وهم به راضون ورجل أذن في مسجد ودعا الى الله عز وجل ابتغاء وجهه ورجل ابتلي بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة وذكر الفقيه أبو بكر بن برجان في كتاب الارشاد انه يلهم رؤس الحشر الطلب ممن يشفع لهم ويريحهم مما هم فيه وهم رؤساء اتباع الرسل على ماسيأتى ان شاء الله تعالى

(فصل) في الشفاعة العامة روينا في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ لمسلم قال أوتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك يجمع الله يوم القيامة الاولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ومالا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ماأنتم فيه ألا ترون ماقد بلغكم ألا تنظرون الى من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم فيأتون آدم فيقولون ياآدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى الى ماقد بلغنا فيقول آدم ان ربي عز وجل غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون يانوح أنت أول الرسل الى الارض وسماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك ألاترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول لهم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فيأتون ابراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الارض اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول لهم ابراهيم ان ربي قد غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وذكر كذباته نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فيأتون موسى فيقولون ياموسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول لهم موسى ان ربي قد غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى عيسى فيأتون عيسى فيقولون ياعيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد وكلمة منه ألقاها الى مريم وروح منه فاشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول لهم عيسى ان ربي قد غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر له ذنبا نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتوني فيقولون يامحمد أنت رسول الله وخاتم الانبياء وغفر الله لك ماتقدم من ذنبك

وما تأخر اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فانطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيأ لم يفتحه لاحد قبلي ثم قال يامحمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يارب أمتي أمتي فيقال يامحمد أدخل الجنة من أمتك من لاحساب عليه من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب والذى نفس محمد بيده ان مابين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أوكما بين مكة و بصرى وفى رواية فنهس نهسة فقال أنا سيد الناس يوم القيامة ثم نهس أخرى فقال أنا سيد الناس يوم القيامة فلما رأى أصحابه لايسئلونه قال ألا تقولون كيفه قالوا كيفه يارسول الله قال يقوم الناس لرب العالمين وساق الحديث وزاد فى قصة ابراهيم قال وذكر قوله فى الكوكب هذا ربى وقوله لآلهتهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله انى سقيم قال والذى نفس محمد بيده ان مابين المصراعين من مصاريع الجنة الى عضادتى الباب لكما بين مكة وهجر أوهجر ومكة قال لاأدرى أى ذلك قال وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا أول الناس يشفع فى الجنة وأنا أكثر الانبياء تبعا وأنا أول من يقرع باب الجنة وفى رواية أنا أول شفيع فى الجنة لم يصدق نبي من الانبياء ماصدقت وان من الانبياء مايصدقه من أمته الا رجل واحد وفى رواية آتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت لا أفتح لاحد قبلك وروى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة يدعو بها فأريد أختبئ دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وفى رواية لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وانى اختبأت دعوتي شفاعة لامتي فهي نائلة ان شاء الله من مات لايشرك بالله شيأ وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة دعاها لامته وانى اختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل فى ابراهيم رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني الآية وقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفرلهم فانك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم أمتي اللهم أمتي وبكى فقال الله عز وجل ياجبريل اذهب الى محمد وربك أعلم فسله مايبكيك فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله ياجبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك

(باب جامع فى تفسير آيات فى أحوال يوم القيامة وذكر شئ من أحاديث الشفاعة والمقام المحمود)

قوله تعالى فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة الى قوله لاتخفى منكم خافية قال ابن عطية روى أبو هريرة رضى الله عنه انها ثلاث نفخات نفخة الفزع وهو فزع حياة الدنيا وليس بالفزع الاكبر ونفخة الصعق ونفخة البعث وقالت فرقة انما هما نفختان كأنهم جعلوا الفزع والصعق فى نفخة واحدة مستدلين بقوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون قالوا وأخرى لايقال الا فى الثانية قال ابن عطية والاول أصح وأخرى يقال فى الثالثه ومنه قوله تعالى ومناة الثالثة الاخرى ولنرجع الى الكلام على الآية المتقدمة قال ابن عطية وقرأ الجمهور وحملت الارض بتخفيف الميم بمعنى حملتها الرياح والقدرة ودكتا معناه سوى جميعها وانشقاق السماء هو تفطرها وتميز بعضها

من بعض وذلك هو الوهى الذى ينالها كما يقال فى الجدران البالية المتشققة واهية والملك اسم جنس يريد به الملائكة وقال جمهور من المفسرين الضمير فى أرجائها عائد على السماء أى الملائكة على نواحيها وقال الضحاك وابن جبير وغيرهما الضمير فى أرجائها عائد على الارض وان لم يتقدم لها ذكر قريب لان القصة واللفظ يقتضى افهام ذلك وفسروا هذه الآية بما روى من ان الله تعالى يأمر ملائكة سماء الدنيا فيقفون صفا على حافات الارض ثم يأمر ملائكة السماء الثانية فيصفون خلفهم ثم كذلك ملائكة كل سماء فكلما ند أحد من الجن والانس وجدوا الارض قد أحيط بها قالوا وهذا تفسير هذه الآية وهو أيضا معنى قوله وجاء ربك والملك صفا صفا وهو تفسير يوم التنادى يوم تولون مدبرين على قراءة من شد الدال وهو تفسير قوله تعالى يامعشر الجن والانس الآية واختلف الناس فى الثمانية الحاملين العرش فقال ابن عباس هى ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم أحد عدتهم وقال ابن زيد هم ثمانية أملاك على هيئة الوعول وقال جماعة من المفسرين هم على هيئة الناس أرجلهم تحت الارض السابعة ورؤسهم وكواهلهم فوق السماء السابعة وقال الغزالى فى الدرة الفاخرة هم ثمانية أملاك قدم الملك منهم مسيرة عشرين ألف سنة والضمير فى قوله فوقهم قيل هو للملائكة الحملة وقيل للعالم كله وقوله تعالى يومئذ تعرضون خطاب لجميع العالم وفى الحديث الصحيح يعرض الناس ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال وخصال ومعاذير وأما الثالثة فعندها تتطاير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله تعالى قوله عز وجل يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان قال الطبرى قال قوم المعنى يقال لهم يوم القيامة يامعشر الجن والانس ان استطعتم الآية قال الضحاك وذلك انه يفر الناس من أقطار الارض والجن كذلك لما يرون من هول يوم القيامة فيجدون سبعة صفوف من الملائكة قد أحاطت بالارض فيرجعون من حيث جاؤا فحينئذ يقال لهم يامعشر الجن والانس وقوله فانفذوا صيغة أمر ومعناه التعجيز والشواظ لهب النار قاله ابن عباس وغيره قال أبو حيان الشواظ هو اللهب الخالص بغير دخان والنحاس هو المعروف قاله ابن عباس وغيره أى يذاب و يرسل عليهما ونحوه فى البخارى وقال الخليل النحاس هو الدخان الذى لا لهب له وقوله سبحانه فاذا انشقت السماء جواب اذا محذوف مقصود به الابهام كأنه يقول فاذا انشقت فما أعظم الهول قال قتادة السماء اليوم خضراء وهى يوم القيامة حمراء ومعنى قوله وردة أى محمرة كالوردة وهى النوار المعروف وهذا قول الزجاج وغيره وقوله كالدهان قال مجاهد وغيره هو جمع دهن وذلك ان السماء يعتريها يوم القيامة ذوب وتميع من شدة الهول وقال ابن جريج من حر جهنم نقله الثعلبى

﴿فصل﴾ قال شاكر بن مسلم يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الانبياء على منابر من ذهب يوم القيامة يجلسون عليها و يبقى منبرى لا اجلس عليه قائما بين يدى ربى منتصبا لامتى مخافة أن يبعث بى الى الجنة دونهم فيبقون بعدى فأقول يارب أمتى أمتى فيقول وما تريد أن أصنعه بامتك فأقول يارب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون رجلا رجلا فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله ومنهم من يدخلها بشفاعتى فلا أزال أشفع حتى أعطى لهم صكا كا برجال قد سير بهم الى النار فيخرجون منها الى الجنة فيقول مالك خازن النار يامحمد ماتركت النار تأخذ لغضب ربك فى أمتك وماتركت ربك ينتقم من عصاة أمتك حق الانتقام وروى البخارى من حديث آدم بن على قال سمعت ابن عمر رضى الله عنهما يقول ان الناس يصيرون يوم القيامة جثاء كل أمة تتبع نبيها

يقولون يافلان اشفع يافلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وقد رواه حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى الترمذي حديث الشفاعة مطولا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا فاشفع لنا الى ربنا فيقول انى أذنبت ذنبا فاهبطت به الى الارض ولكن ائتوا نوحا فيقول انى دعوت على أهل الارض دعوة فاهلكوا ولكن اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقول انى كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنها كذبة الا ماحل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى فيقول قد قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول انى عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيأتوني فأنطلق معهم قال ابن جدعان قال أنس فكأني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فأقول أنا محمد فيفتحون لى ويرحبون فيقولون مرحبا فأخر ساجدا لله فيلهمني من الثناء والحمد فيقال لى ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله فيه عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال سفيان ليس عن أنس الا هذه الكلمة فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها قال الترمذي حديث حسن وخرجه أبو داود الطيالسي عن ابن عباس رضي الله عنهما بمعناه وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتيني الناس فيقولون اشفع لنا الى ربنا حتى يقضي بيننا فأقول أنا لها حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى فاذا أراد الله أن يقضي بين خلقه نادى مناد أين محمد وأمته فأقوم وتتبعني أمتي غرا محجلين من أثر الطهور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن الآخرون الاولون وأول من يحاسب وتفرج لنا الامم عن طريقنا وتقول الامم كادت هذه الامة أن تكون أنبياء كلها وذكر الحديث قال القرطبي قوله فيفزع الناس ثلاث فزعات انما ذلك والله أعلم حين يؤتى بالنار تجر بأزمتها وذلك قبل العرض والحساب على الملك الديان فاذا نظرت الى الخلائق فارت وثارت وشهقت الى الخلائق وزفرت نحوهم ووثبت عليهم غضبا لغضب ربهم على ما يأتي بيانه فيتساقط الخلائق على ركبهم جثاة قد أسبلوا مدامعهم ونادى الظالمون بالويل والثبور ثم تزفر الثانية فازداد الرعب والخوف في القلوب ثم تزفر الثالثة فيتساقط الخلائق على وجوههم ويشخصون بابصارهم ينظرون من طرف خفي خوفا أن تبلغهم أو يأخذهم حريقها نجانا الله منها ومن كل هول في الدنيا والآخرة وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذ وفدوا وأنا مبشرهم اذا يئسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي وفي رواية وأنا شفيعهم اذا أيسوا وأنا مبشرهم اذا أبلسوا لواء الكرم بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي فيطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون قال عياض في الاكمال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم خمس شفاعات الاولى العامة الثانية ادخال قوم الجنة بغير حساب وقد ذكرها مسلم الثالثة في قوم من أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله أن يشفع الرابعة فيمن دخل النار من المذنبين الشفاعة الخامسة هي في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها قال عياض وعلى هذا فلا يلتفت لقول من قال انه يكره أن تسئل الله أن يرزقك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لانها في زعمه لا تكون الا للمذنبين فانها قد تكون لتخفيف الحساب وزيادة الدرجات ثم كل

عاقل معترف بالتقصير محتاج الى العفو غير معتمد بعمله مشفق أن يكون من الهالكين ويلزم هذا القائل أن لايدعو بالمغفرة والرحمة لانها لاصحاب الذنوب أيضا وهذا كله خلاف ماعرف من دعاء السلف الصالح والخلف انتهى كلام عياض (قلت) وروى أبونعيم فى الحلية عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا شفيع لكل رجلين اتحيا فى الله من مبعثى الى يوم القيامة

(باب ماجاء ان الجنة تساق الى المحشر والنار كذلك)

قال الله سبحانه وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين الآية قال ابن عطية أزلفت معناه قربت وقال تعالى يوم يقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قال ابن عطية وأزلفت معناه قربت ولما احتمل معناه أن يكون معناه بالوعد والاخبار رفع الاحتمال بقوله غير بعيد قال أبوحيان غير بعيد أى مكانا غير بعيد وقال تعالى اذا الشمس كورت الى قوله واذا الجنة أزلفت قال ابن عطية معناه قربت ليدخلها المؤمنون وقال الثعلبى قربت لاهلها حتى يرونها نظيره وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد علمت نفس عند ذلك ماأحضرت من خير أوشر وهو جواب لقوله اذا الشمس ولفظ القرطبى واذا الجنة أزلفت أى قربت لاهلها وأدنيت علمت نفس ماأحضرت أى من عملها وهو مثل قوله ينبؤ الانسان يومئذ بماقدم وأخر قال شا كربن مسلم ثم يأمر الله عز وجل بالجنة فتساق الى الموقف تزف كما تزف العروس وتزلف فيراها اليائس والحريص يبعث الله سبحانه اليها ملائكة الرحمة فيأتون بها كيف شاء الله سبحانه من حيث شاء لانها فى سعة ملكه وتحت قدرته وسلطانه وفى علمه المحيط بكل شئ تزفها الملائكة كماتزف العروس فى بهجتها وبهائها فتأتى والملائكة حولها يحفون بها ويحيطون بها بالتحميد والتقديس وقد فتحت أبوابها وزينت أسبابها وزخرفت قصورها ووسعت أزقتها وكفت بالجمال والحسن سورها وأينعت بساتينها ورياضها وفاضت بالمياه حياضها ودرت أنهارها وطابت ثمارها وتدلت قطوفها وغردت أطيارها وانتشر طيبها وفاح ريحها وانبعث نسيمها واستبان للابصار نعيمها تلوح فيها قصور الياقوت والدر ويفوح منها ريح المسك الاذفر والكافور والعنبر يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام فلا يفقده الا من فرط فى شروط الاسلام يراها كل بر وفاجر وكل مؤمن وكافر لتكون فرحة لكل مؤمن تقى وحسرة على كل فاجر شقى فاذا جئ بها الى الموقف وضعت عن يمين العرش فذلك قوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقوله وأزلفت الجنة غير بعيد ثم ينطقها الذى خلقها ويلقى كلامها فى مسامع خلقه كماأنطقها فتقول قد أفلح المؤمنون وربح العاملون وأنجح الباذلون لمثل هذا فليعمل العاملون ثم يأمر الله عز وجل النار كماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره فتساق الى الموقف كما يساق البعير الشارد الصعب المرام المعاند فينظر اليها ويراها كل من أمنها أو يصلاها ليشقى بالخوف منها من يصلاها ويعرف قدر النعمة من ينجو من لظاها يبعث اليها ملائكة الغضب والعذاب فيأتون بها كيف شاء الله لانها فى علمه المحيط بمخلوقاته فترى وتسمع وتكلم الناس وتفهم يسوقها ملائكة العذاب الى الموقف سوقا عنيفا مزمومة بسبعين ألف زمام من حديد تتوقد نارا على كل زمام سبعون ألف ملك قال بعضهم عظم أحدهم فى خلقته كما بين السماء والارض أوما بين المشرق والمغرب فذلك قوله تعالى وجئ يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى وقوله يوم يتذكر الانسان ماسعى

وبرزت الجحيم لمن يرى وقوله وبرزت الجحيم للغاوين (قلت) وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وقد قدمنا قبل ما ذكره ابن عتاب عن الفضيل بن عياض انه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة الى الحساب فيرى أمرا عظيما فيلتفت عن يمينه فيرى قوما في ظل العرش وقوما على كراسي من نور قد ظللوا بالغمام وقوما في الجنة ويلتفت عن يساره فيرى قوما يعذبون في النار في أعناقهم السلاسل والاغلال وقوما يسحبون في النار على وجوههم قال شاكر بن مسلم وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرج يوم القيامة عنق من النار له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول انى وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من ادعى مع الله الها آخر وبأهل التصاوير وقال ابن عباس فاذا خرج ذلك العنق من النار وتكلم فسمعه الناس وزأره فروا جميعا في أقطار الارض مخافة أن ينالهم من حره وأن يهلكوا من سفعه فندوا كما يند البعير الشارد فتكفهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم يردونهم الى الموقف فالنار أعرف بأهلها منهم وأحرص عليهم من الوالدة بولدها قال بعض العلماء توقف جهنم في الموقف فيراها أهلها الذين قدر لهم أن يدخلوها فيقع ببالهم ويغلب على ظنهم ويثبت في أنفسهم انهم صائرون اليها فيتوكفون دخولها وانهم لتعرفهم بسيماهم حتى انها لاعرف بهم من الوالدة بولدها فاذا تطايرت الصحف ونشرت الدواوين وثبت الامر اليقين ونودى الناس للحساب عند رب العالمين خرج عنق من النار فغشى أهل الموقف الامن عصم من أولياء الله المؤمنين وعباده الصالحين (قلت) الحديث الذى ذكره خرجه الترمذى وروى أبو داود والترمذى وابن ماجه عن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أى الحور شاء قال أبو عيسى هذا حديث حسن وفي رواية أخرى لابي داود ملأه الله أمنا وايمانا ومن ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه قال بشرا حسبه قال تواضعا كساه الله حلة الكرامة قال القرطبي روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدى الله عز وجل هل فيه ماء قال والذى نفسي بيده ان فيه لماء وان أولياء الله ليردون حياض الانبياء الحديث وسيأتى ان شاء الله تعالى وان حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يعب فيه ميزابان من الجنة كما سيأتى ان شاء الله تعالى وذكر الغزالى في الدرة الفاخرة ان الله تعالى يأمر يوم القيامة بالجنة أن تزخرف وتزلف أى تقرب ولها نسيم طيب أعبق مايكون وأذكى فيوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام فتنتعش النفوس وتحيي القلوب الا قوم كانت أعمالهم في الدنيا خبيثة فانهم منعوا من ريحها فتوضع عن يمين العرش ثم يأمر الله جل جلاله وتقدست أسماؤه أن يؤتى بالنار تقاد بسبعين ألف زمام في كل زمام سبعون ألف حلقة لو جمع حديد أهل الارض كله ماعدل منها حلقة واحدة على كل حلقة سبعون ألف ملك من الزبانية لو أمر زبانى أن يدك الجبال لدكها والارض لهدها واذا لها شهيق ودوى وشرر ودخان يسد الافق ظلمته فاذا كان بينها وبين الخلائق ألف عام تفلتت من أيدى سائقيها ولم يقدروا على امساكها لعظم شأنها حتى تأتى على أهل الموقف فيجثون كلهم على الركب وهو قوله تعالى وترى كل أمة جاثية وعن تفلتها قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقال سبحانه تكاد تميز من الغيظ أى تكاد تنشق من شدة الغيظ فيبرز لها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأمر الله سبحانه فيأخذ بخطامها ويقول لها ارجعي مدحورة الى خلفك حتى يأتيك أفواجك فتنادى من سرادقات

الجلال اسمى منه وأطيعى ثم تجذب وتجعل عن شمال العرش ويتحدث أهل الموقف بزجرتها فخف وجلهم وهو قوله سبحانه وما أرسلناك الا رحمة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقد ذكر القرطبي نحو ماتقدم ولفظه وجاء في الخبر أن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش و يؤتى بالميزان فينصب بين يدى الله عزو جل كفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة وكفة السيآت عن يسار العرش مقابل النار ذكره الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول قال القرطبي روى أبو هدبة قال حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المستهزئين بعباد الله فى الدنيا تفتح لهم أبواب الجنة يوم القيامة فيقال لهم ادخلوا الجنة فاذا جاؤا أغلق الباب وتفتح لهم الثانية فيقال لهم ادخلوا الجنة فاذا جاؤا أغلق الباب وتفتح لهم الثالثة فيدعون فلا يجيبون قال فيقول لهم الرب سبحانه أنتم المستهزؤن بعبادى أنتم آخر الناس حسابا فيقومون فى عرقهم فينادون يار بنا اما صرفتنا الى جهنم واما الى رضوانك وقد ذكرنا عن أبى حامد فى موضع آخر من هذا الكتاب ماهو فى معنى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤمر يوم القيامة بأناس الى الجنة حتى اذ دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا الى قصورها والى ماأعد الله لاهلها نودوا أن اصرفوهم لانصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة مارجع الاولون والآخرون بمثلها فيقولون يار بنا لو أدخلتنا النار قبل أن تو ر يناماأر يتنا من ثوابك وماأعددت فيها لاوليائك كان أهون علينافيقول سبحانه ذلك أردت بكم كنتم اذا خلوتم بى بار زتمونى بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين الحديث وفى مختصر الطبرى عن عبدالله بن عمر وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ثلة تدخل الجنة الفقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره اذا أمروا سمعوا وأطاعوا وان كانت لاحد منهم حاجة الى السلطان لم تقض لهم حتى يموت وهى فى صدره وان الله تعالى يدعو يوم القيامة الجنة فتأتى بزخرفها و زينتها فيقول أين عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وقتلوا وأوذوا فى سبيلى و جاهدوا ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتأتى الملائكة فيسجدون فيقولون ر بنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب جل ثناؤه هؤلاء عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وأوذوا فتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار

﴿باب أسماء يوم القيامة﴾

قد تعرض لذكر أسماء يوم القيامة الغزالى فى الاحياء وعبد الحق فى العاقبة والقرطبي فى التذكرة وأنا أذكرها ان شاء الله على نسق الغزالى و ربما زدت من غيره قال رحمه الله فاستعد يامسكين لهذا اليوم العظيم شأنه المديد زمانه القريب أوانه يوم ترى السماء فيه قد انفطرت والكواكب من هوله قد انتثرت والنجوم الزواهر قد انكدرت والشمس فيه قد كورت والجبال سيرت والعشار عطلت والوحوش حشرت والبحار سجرت والنفوس زوجت والجنة أزلفت والجحيم سعرت والارض مدت وألقت مافيها وتخلت يوم زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وقال الانسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره يوم حملت فيه الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية يوم تسير الجبال وترى الارض بارزة يوم رجت

فيه الارض رجا و بست الجبال بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الارض غير الارض والسموات و برزوا لله الواحد القهار يوم تنسف فيه الجبال نسفا قال تعالى و يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي لاعوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الاهمسا يومئذ لاتنفع الشفاعة الامن أذن له الرحمن ورضى له قولا يوم تنشق فيه السماء وتكون وردة كالدهان فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولا جان يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا و يوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد اذجاءني يوم يمنع فيه العاصي من الكلام و يؤخذ بالنواصي والاقدام يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لوأن بينها وبينه أمدا بعيدا يوم تعلم فيه كل نفس ماأحضرت وتعلم ماقدمت وأخرت يوما يجعل الولدان شيبا فيا أيها القارئ حظك من قراءتك أن تختم القرآن وتحرك به الشفة واللسان ولو كنت متفكرا فيما تقراه لكنت جديرا بأن تنشق مرارتك واذا قنعت بحركة اللسان فقد منعت ثمرة القرآن وأسماء يوم القيامة أحد ماذكر فيه وأ كثر سبحانه من أساميها لتقف بكثرة أسمائها على كثرة معانيها وليس المقصود تكرير الاسامي والالقاب بل المقصود تنبيه ذوى الالباب فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر وفي كل نعت من نعوته معنى فاحرص هداك الله على فهم معانيها ونحن نجمع لك ان شاء الله تعالى أساميها فهي يوم القيامة و يوم الحسرة و يوم الندامة و يوم المحاسبة و يوم المسائلة و يوم المسابقة و يوم المنافسة و يوم المناقشة و يوم الزلزلة و يوم الدمدمة و يوم الصاعقة و يوم الواقعة و يوم النازعة و يوم القارعة و يوم الراجفة و يوم الرادفة و يوم الغاشية و يوم الداهية و يوم الآزفة و يوم الحاقة و يوم الطامة و يوم الصاخة و يوم التلاق و يوم الفراق و يوم المساق و يوم يكشف عن ساق و يوم القصاص و يوم ولات حين مناص و يوم التنادى و يوم الاشهاد و يوم الميعاد و يوم المرصاد و يوم الحساب و يوم المآب و يوم العذاب و يوم الفرار و يوم القرار امافي الجنة أوالنار و يوم اللقا و يوم القضا و يوم الجزا و يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا و يوم البلا و يوم البكا و يوم الحشر و يوم النشر و يوم الوعيد و يوم العذاب الشديد و يوم العرض و يوم الوزن و يوم الحق و يوم الحكم و يوم البعث و يوم الجمع و يوم الفصل و يوم الخزى و يوم عقيم و يوم عظيم و يوم عسير و يوم قمطرير و يوم المصير و يوم الدين و يوم النفخة و يوم الصيحة و يوم الرجفة و يوم الرجة و يوم الزجرة و يوم السكرة و يوم الفزع و يوم الخروج و يوم الوقوف و يوم الخلود و يوم التغابن و يوم عبوس و يوم معلوم و يوم موعود و يوم مشهود و يوم يصدعون و يوم هم على النار يفتنون و يوم لاريب فيه و يوم تبلى السرائر و يوم لاتجزى نفس عن نفس شيأ و يوم لاتملك نفس لنفس شيأ و يوم لايغنى عنهم كيدهم شيأ ولاهم ينصرون و يوم تقلب وجوههم في النار و يوم تشخص فيه الابصار و يوم لايغنى مولى عن مولى شيأ و يوم يدعون الى نار جهنم دعا و يوم يسحبون في النار على وجوههم و يوم يدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون و يوم لايجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ و يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته و بنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ويوم لاينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون و يوم لامرد له من

الله يومئذ يصدعون ويوم لاينفع مال ولا بنون الامن أتى الله بقلب سليم ويوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ويوم العرض يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية ويوم الجدال يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها ويوم التبديل يوم تبدل الارض غير الارض ويوم التقلب قال تعالى يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ويوم الشخوص قال سبحانه انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ويوم لابيع فيه ولاخلة ولا شفاعة والخلة والخلال الصداقة والمودة ويوم لاريب فيه ويوم تبيض وجوه وتسود وجوه بيض الله وجوهنا بانواره وجعلنا من خاصة أوليائه الذين من عليهم بالنجاة من هذه الاهوال وأسبغ عليهم سوابغ النعم وجميل الافضال

(باب فى ذكر الحساب وتطاير الصحف وأخذ الكتب)

روى مسلم عن أبى برزة الاسلمى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه فيما عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وخرجه أيضا الترمذى وقال فيه حديث حسن صحيح قال القرطبى هذا الحديث مخصص بقوله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب ونحوه من الاحاديث وروى أبو نعيم فى الحلية عن وكيع بن الجراح أنه قال الحلال المحض لانعرفه اليوم ولكن لانجد الاالسعة فالدنيا عندنا حلال وحرام وشبهات فالحلال حساب والحرام عقاب والشبهات عتاب فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة وخذ منها مايقيمك فان كانت حلالا كنت قد زهدت فيها وان كانت حرا ما كنت قد أخذت منها مايقيمك وان كانت شبهات كان فيها عتاب يسير وقال أحمد بن أبى الحوارى سمعت وكيعا يقول انما العاقل من عقل عن الله أمره ليس من عقل أمر دنياه وخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده مظلمة لاخيه من عرضه أوشئ فليتحلل منه اليوم قبل أن لايكون دينار ولا درهم وان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم تكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحمل عليه وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤدون الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرنا وذكر أبو بكر الشافعى من حديث أبى ذر رضى الله عنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين تنتطحان فقال ياأبا ذر هل تدرى فيما تنتطحان قلت لاأدرى قال لكن الله يدرى وسيقضى بينهما وروى أبو عيسى الترمذى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الاكبر وانما يخف الحساب على من حاسب نفسه فى الدنيا وروى أبو داود الطيالسى بسنده عن عائشة رضى الله عنها وذكر عندها القضاة فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب مايتمنى أنه لم يقض بين اثنين فى تمرة قط وروى الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن منده فى كتاب التوحيد له عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تبارك وتعالى ينادى يوم القيامة ياعبادى أنا الله لااله الا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون احضروا حجتكم ويسروا جوابا فانكم مسؤلون محاسبون ياملائكتى أقيموا عبادى صفوفا على أطراف أنامل أقدامهم للحساب وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولامتاع فقال ان

المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار وروى الترمذى عن عبد الله بن الزبير عن أبيه رضى الله عنهما قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يارسول الله أتنكر علينا الخصومة بعد الذى كان بيننا فى الدنيا قال نعم قال ان الامر اذا الشديد وروى أبو بكر البزار عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين ديوان فيه العمل الصالح وديوان فيه ذنوبه وديوان فيه النعم من الله عليه فيقول الله تعالى لاصغر نعمة أحسبة قال فى ديوان النعم خذى ثمنك من عمله الصالح فيستوعب عمله الصالح ثم تنحى فتقول وعزتك مااستوفيت وتبقى الذنوب والنعم وقد ذهب العمل فاذا أراد الله أن يرحم عبدا قال ياعبدى قد ضاعفت حسناتك وتجاوزت عن سيئاتك وأحسبه قال ووهبتك نعمى وروى الحافظ أبو نعيم فى حليته عن مجاهد فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال عن كل شئ من لذة الدنيا وروى أبو نعيم فى الحلية عن حسان ابن عطية أنه قال ثلاثة ليس عليهم حساب فى مطعمهم الصائم حين يفطر والصائم حين يتسحر وطعام الضيف يعنى والله أعلم ماياً كله من فضلة الضيف وقال ان العبد اذا قال عند طعامه اللهم اجعله لى رزقا طيبا لاتبعة فيه ولاحساب فقد أدى شكره وروى الطبرانى سليمان بن أحمد بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسئله عن جاهه كما يسئله عن عمله وروى أبو بكر البزار عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ثلاثة فظلم لايغفره الله وظلم يغفره وظلم لايتركه فأما الظلم الذى لايغفره الله فالشرك قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وأما الظلم الذى يغفره الله فظلم العباد لانفسهم فيما بينهم وبين ربهم وأما الظلم الذى لايتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدين بعضهم من بعض وروى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حوسب يوم القيامة عذب قالت فقلت يارسول الله أليس قد قال الله تعالى فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال ليس ذلك الحساب انما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب وخرج الحافظ أبو نعيم من حديث الاعمش عن أبى وائل شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن عبد يخطو خطوة الا سئل عنها ماأراد بها وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الناس يارسول الله عن أى النعيم نسئل فانما هما الاسودان والعدو حاضر وسيوفنا على عواتقنا قال ان ذلك سيكون وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول مايسئل عنه يوم القيامة يعنى العبد أن يقال ألم نصح لك جسمك ونرو لك من الماء البارد قال الترمذى حديث غريب وخرج الحارث بن أبى أسامة عن عبد الله ابن أنيس رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد أو قال الناس شك همام وأومأ بيده الى الشام عراة غرلا بهما قال مابهما قال ليس معهم شئ فيناديهم بصوت يسمعه من بعد ومن قرب أنا الملك أنا الديان لاينبغى لاحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وواحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة قال قلنا وكيف وانما نأتى الله حفاة عراة قال بالحسنات والسيئات قال القرطبى هذا الحديث الذى أراد البخارى بقوله ورحل جابر بن عبد الله مسيرة

شهر

شهرالى عبد الله بن أنيس فى حديث واحد وروى أبو نعيم فى حليته عن أبى الشعثاء عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الروح الامين عليه السلام قال يؤتى بحسنات العبد وسيا ٓته فيقص بعضها ببعض فاذا بقيت حسنة وسع الله له فى الجنة وروى سفيان ابن عيينة عن مسعر عن عمرو بن مرة قال سمعت الشعبى يقول حدثنى الربيع بن خيثم وكان من معادن الصدق قال ان أهل الدين فى الا ٓخرة أشد تقاضيا له منكم فى الدنيا يحبس لهم فيأخذونه فيقول يارب ألست تراني حافيا فيقول خذوا من حسناته بقدر الذى لهم فان لم تكن له حسنات يقول زيدوا على سيا ٓته من سيا ٓتهم وذكر أبو عمر بن عبد البر من حديث البراء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال صاحب الدين مأسور يوم القيامة بالدين وروى أبو نعيم الحافظ باسناده عن زادان قال سمعت ابن مسعود يقول يؤخذ بيد العبد أوالامة فينصب على رؤس الاولين والا ٓخرين ثم ينادى مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له حق فليأت الى حقه فتفرح المرأة بان يدورلها الحق على ابنها أوأخيها أوأبيها أوعلى زوجها فيقول الرب تعالى ائت هؤلاء حقوقهم فيقول رب فنيت الدنيا فمن أين آتيهم فيقول للملائكة خذوا من أعماله الصالحة فاعطوا كل انسان بقدر طلبته فان كان وليا لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل فيضاعفها الله سبحانه حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة رب فنيت حسناته وبقى طالبون فيقول للملائكة خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها الى سيا ٓته وصكوا له صكا فى النار وعنه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول انه ليكون للوالدين على ولدهما دين فاذا كان يوم القيامة يتعلقان به فيقول أنا ولدكما فيودان أو يتمنيان انلوكان أكثر من ذلك

﴿فصل﴾ روى عن معروف أنه قال لاصحابه يوقف عبد بين يدى الله تعالى يوم القيامة فيقول عبدى كيف تركت عيالك قال أغنياء قال أما انى قد أفقرتهم بعدك انطلقوا به الى النار ثم قال ويوقف عبد بين يدى الله تعالى فيقول له كيف تركت عيالك قال فقراء قال أما انى قد أغنيتهم بعدك انطلقوابه الى الجنة وروى رزين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنا نسمع ان الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهولايعرفه فيقول مالك الىّ ومابينى وبينك معرفة فيقول كنت ترانى على الخطايا وعلى المنكرولا تهانى وروى ابن ماجه عن جابر رضى الله عنه قال لما رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من هاجر الى الحبشة قال ألا تحدثونى باعاجيب مارأيتم بارض الحبشة فقال فتية منهم بلى يارسول الله بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل احدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها وانكسرت قلتها فلما ارتفعت التفتت اليه فقالت سوف تعلم ياغدار اذا وضع الله الكرسى وجمع الاولين والا ٓخرين وتكلمت الايدى والارجل بما كانوا يكسبون فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غدا قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت صدقت كيف يقدس الله أمة لايؤخذ لضعيفهم من شديدهم (قلت) قال القشيرى فى التحبير قيل لوأن رجلا له ثواب سبعين نبيا وله خصم بنصف دانق لايدخل الجنة حتى يرضى خصمه وقيل يؤخذ بدانق فضة سبعمائة صلاة مقبولة فتعطى للخصم وقيل لايكون شئ أشد على أهل القيامة من أن يرى الانسان من يعرفه مخافة أن يدعى عليه شيأ والدانق سدس درهم ولما تكلم عياض على مناقب أبى الاحوص أحمد بن عبدالله وكان قد صحب سحنون وسمع منه كثيرا وكان متقللا من الدنيا زاهدا فيها قال وذكر

الفقيه ابن اللباد انه لما مات أبو الاحوص رآه بعض أصحابه كأنه واقف على باب الجنة يريد الدخول ورجل زيات من أهل سوسة يمنعه من الدخول و يقول لا أدعك تدخل حتى تعطيني حقي فقال هذا قصر أعطيكه قال لا قال فقصرين قال لا قال فقلت ياهذا تعطيك قصرين في الجنة فتأبى وانما لك عليه درهمان فينقضي نقضه وقال ان الله تبارك اسمه لا يكذب ولا يكذب لابد من القصاص يوم القيامة فانتبهت لنقضه وأنا أعرف الزيات فغدوت الى المسجد الجامع وجلست بين الابواب للصلاة حتى دخل الرجل فاشرت اليه لياتي فلما انقضت الصلاة قلت له ياأبا فلان مالك على أبي الاحوص فقد أوصاني لك بشيء أنسيه فقال درهمان فدفعتهما اليه وأخبرته بالرؤيا وروى أبو نعيم في حليته عن مالك بن دينار عن سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجاء بأقوام يوم القيامة معهم من الحسنات مثل جبال تهامة حتى اذا جيء بهم جعل الله أعمالهم هباء ثم قذفهم في النار فقال سالم يارسول الله بابي أنت وأمي حل لنا هؤلاء القوم حتى نعرفهم فوالذي بعثك بالحق اني أتخوف أن أكون منهم قال ياسالم أما انهم يصومون و يصلون ولكن كانوا اذا عرض لهم شيء من الحرام وثبوا عليه فادحض الله عز وجل أعمالهم

(فصل) روى أبو عيسى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير الحديث وفيه فعند ذلك تطاير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله ورواه ابن ماجه ورواه أبو بكر البزار أيضا عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال وأما الثالثة فتطاير الكتب يمينا وشمالا وروى الترمذي الحكيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الناس يعرضون ثلاث عرضات يوم القيامة فاما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فتطاير الصحف فالجدال لاهل الاهواء لانهم لا يعرفون ربهم فيظنون انهم اذا جادلوه نجوا وقامت حجتهم والمعاذير لله تعالى يعتذر الكريم سبحانه الى آدم والى أنبيائه على جميعهم الصلاة والسلام ويقيم سبحانه حجته عندهم على الاعداء ثم يبعثهم الى النار فانه سبحانه يحب أن يكون عذره عند أنبيائه وأوليائه ظاهرا حتى لا تأخذهم الحيرة وكذلك جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أحد أحب اليه المدح من الله عز وجل ولا أحد أحب اليه العذر من الله سبحانه والعرضة الثالثة للمؤمنين وهو العرض الاكبر يخلو بهم سبحانه فيعاتب في تلك الخلوات من يريد أن يعاتبه حتى يذوق وبال الحياء و يرفض عرقا بين يديه و يفيض العرق منهم على أقدامهم من شدة الحياء ثم يغفر لهم ويرضى عنهم (قلت) أما مجادلة أهل الكفر والزيغ فقد أنبأنا الله سبحانه بها فقال سبحانه يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها الآية وقال سبحانه يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم الآية وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين الى غير ذلك وقال أيضا سبحانه في اعتذارهم يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم الآية وهذا هو ظاهر الاحاديث ان الجدال والاعتذار واقع من الذين عرضوا على الله سبحانه فان ثبت حديث باعتذار الله سبحانه لانبيائه ورسله فلا كلام لاحد معه وان لم يثبت فظاهر الآيات والاحاديث ماذكرنا والله سبحانه أعلم ولفظ شاكر بن مسلم قال يوقف الناس يوم القيامة عند ربهم فيعرضون عليه سبحانه ثلاث مرات فأول عرضة منها يسئل العبد عما عمل وما قال ويوبخ فيجيب ويعتذر ويجادل عن نفسه ثم يرسل فيقف ثم يؤتى كتابه فيعرض ويسئل و يقرر و يلام ويوبخ على ما في كتابه فيجادل عن نفسه و يعتذر ثم يوقف فيعرض الثالثة كذلك و يقرر على ما في كتابه فيجيب بما شاء الله سبحانه فهالك موبق بذنوبه أومغفور له

ومنهم المقر ومنهم من تشهد عليه جوارحه وقال صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة على ربهم ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير فعند ذلك تتطاير الصحف فى الايدى فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله ونحو ذلك فى كتاب الترمذى قال القرطبي ذكر أبو جعفر العقيلي من حديث نعيم بن سالم عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الكتب كلها تحت العرش فاذا كان الموقف بعث الله ريحا فتطيرها بالايمان والشمائل أول خط فيها اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا و روى أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وله شعاع كشعاع الشمس فقيل له فأين أبو بكر يارسول الله قال هيهات زفته الملائكة الى الجنان و روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول الله سبحانه يوم ندعو كل أناس بامامهم قال يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له فى جسمه ستون ذراعا و يبيض وجهه و يجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق الى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم آتنا بهذا وبارك لنا فى هذا حتى يأتيهم ويقول أبشروا لكل واحد منكم مثل هذا قال وأما الكافر فيسود وجهه ويمد فى جسمه ستون ذراعا فيراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من شر هذا اللهم لاتأتنا به قال فيأتيهم فيقولون اللهم أخزه فيقول أبعدكم الله فان لكل واحد منكم مثل هذا قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب (دلت) وفى حديث آخر يعظم للنار وتزرق عيناه ويسود وجهه ويكسى سرابيل القطران ويقال انطلق الى أصحابك فأخبرهم ان لكل انسان منهم مثل هذا وقال ابراهيم بن أدهم كل آدمى فى عنقه قلادة يكتب فيها نسخة عمله فاذا مات طويت واذا بعث نشرت وقيل له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال ابن عباس طائره عمله قال الحسن يقرأ الانسان كتابه أميا كان أوغير أمى وقال أبو السوار العدوى وقرأ هذه الآية وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه قال هما نشرتان وطية أما ماحييت يا ابن آدم فصحيفتك المنشورة فأمل فيها ماشئت فاذا مت طويت حتى اذا بعثت نشرت اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التى يؤتونها بعد البعث حوسبوا بها قال الله تعالى فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال القرطبي فدل على ان المحاسبة تكون عند ابتداء الكتب لان الناس اذا بعثوا لايكونون ذاكرين لاعمالهم قال الله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه وذكر أبو نعيم عن محمد بن عبد الرحمن قال سمعت ابن المبارك يقول

وطارت الصحف فى الايدى منشرة * فيها السرائر والجبار مطلع
فكيف سهوك والانباء واقعة * عما قليل ولاتدرى بما تقع
اما الجنان وعيش لاانقضاء له * أو الجحيم فلا تبقى ولاتدع
تهوى بساكنها طورا وترفعه * اذا رجوا مخرجا من غمها قمعوا
لينفع العلم قبل الموت صاحبه * قد سال قوم بها الرجعى فما رجعوا

و روى أبو القاسم اسحاق بن ابراهيم الختلى فى كتاب الديباج له بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال يدنى الله العبد منه يوم القيامة ويضع عليه كنفه فيستره من الخلائق كلها و يدفع اليه كتابه فى ذلك الستر فيقول له اقرأ يا ابن آدم كتابك قال فيمر بالحسنة فيبيض لها وجهه و يمر بالسيئة فيسود لها وجهه قال فيقول الله تعالى له تعرف ياعبدى فيقول نعم يارب أعرف قال فيقول

سبحانه فانى أعرف بها منك قد غفر تهالك فلا يزال بحسنه تقبل فيسجد وسيئة تغفر فيسجد فلا يرى الخلائق منه الا ذلك حتى ينادى الخلائق بعضهم بعضا طوبى لهذا العبد الذى لم يعص الله قط ولايدرون ماقد لقى فيما بينه وبين الله سبحانه مما قد وقفه عليه وفى الحديث عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال له اعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ كبارها فيقال عملت يوم كذا كذا وكذا ثلاث مرات قال وهو يقر ليس ينكر وهو مشفق من الكبائر ان تجئ قال فاذا أراد الله به خيرا قال أعطوه مكان كل سيئة حسنة فيقول حين طمع يارب ان لى ذنوبا مارأيتها ههنا قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه ثم تلا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات هذا حديث حسن صحيح وخرج مسلم فى صحيحه عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لايستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له فان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يارب قد عملت أشياء لاأراها ههنا فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم لايستر الله على عبد فى الدنيا الاستره يوم القيامة وفى صحيح مسلم أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة وروى من ستر على مسلم عورته ستر الله عورته يوم القيامة قال أبو حامد فى كتاب الاحياء وهذا انما يرجوه عبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل فى حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساويهم ولم يذكرهم فى غيبتهم بما يكرهون لوسمعوه فهذا جدير بأن يجازى بمثله فى القيامة *(تنبيه)* قال القرطبى رحمه الله تعالى فى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتقدم أول الباب وعن علمه ماعمل فيه هذا مقام مخوف لانه لم يقل وعن علمه ماقال فيه وانما قال ماعمل فيه فلينظر العبد ماعمل فيما علمه هل صدق الله فى ذلك والآيات والاخبار بالوعد والوعيد فى هذا كثيرة وروى مسلم عن صفوان بن محرز قال قال رجل لابن عمر رضى الله عنهما كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى قال سمعته يقول يدنى الله سبحانه المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف فيقول رب أعرف قال فيقول سبحانه انى سترتها عليك فى الدنيا وانى أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته وأما الكافر والمنافق فينادى بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين وروى عن على رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة خلا الله عز وجل بعبده المؤمن فيوقفه على ذنوبه ذنبا ذنبا ثم يغفر اليه سبحانه له لايطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبى مرسل وستر من ذنوبه عليه مايكره أن يوقف عليها ثم يقول لسيآته كونى حسنات وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال ماستر الله على عبد فى الدنيا الا ستر الله عليه فى الآخرة قال القرطبى وهذا مأخوذ من حديث النجوى ومن قوله صلى الله عليه وسلم لايستر الله على عبد فى الدنيا الا ستره يوم القيامة خرجه مسلم قال الغزالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة مابين شفرى عينى أحدهم مسيرة خمسمائة عام فما ظنك اذا شاهدت مثل هؤلاء ارسلوا اليك ليأخذوك الى مقام العرض وتراهم على عظم أشخاصهم منكسين لشدة اليوم ثم ذكر شهادة الاعضاء على العبد وقوله

لاعضائه

لاعضائه بعد السكون وحمقا فعذكن كنت أنا فضل فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الاعضاء قال الغزالى الا أن الله تعالى وعد المؤمنين أن يستر عليهم ولا يطلع عليهم غيرهم ثم استدل على ذلك بحديث النجوى المتقدم

﴿ باب فى ماجاء أن أول مايحاسب عليه العبد الصلاة ﴾

روى النسائى عن عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول مايحاسب عليه العبد الصلاة وأول مايقضى بين الناس فى الدماء و روى مالك عن يحيى بن سعيد قال بلغنى ان أول ماينظر فيه من عمل العبد الصلاة فان قبلت نظر فيما بقى من عمله وان لم تقبل منه لم ينظر فى شئ من عمله وقد رواه أبوداود والترمذى والنسائى مرفوعا بهذا المعنى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أول مايحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة قال يقول ربنا عز وجل للملائكة انظروا فى صلاة عبدى أتمها أم نقصها فان كانت تامة كتبت له تامة وان كان انتقص منها شئ قال انظروا هل لعبدى من تطوع فان كان له تطوع قال أتموا لعبدى فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الاعمال على ذلك وهذا لفظ أبى داود وخرجه ابن ماجه أيضا و روى الترمذى عن أبى مسعود الانصارى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتجزء صلاة لايقيم فيها الرجل صلبه فى الركوع والسجود وقال حديث حسن والعمل على هذا عند أهل العلم و روى أبو داود الطيالسى فى مسنده بسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحسن الرجل الصلاة فأتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة حفظك الله كما حفظتنى فترفع واذا أساء الصلاة فلم يتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة ضيعك الله كما ضيعتنى فتلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وروى أبونعيم فى الحلية عن عبدالله يعنى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الا أدلكم على أمر اذا أنتم فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم وان أثقل الصلاة على المنافقين العشاء والفجر ولو يعلمون مافيها لاتوهما ولو حبوا وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول أمك وأباك وأختك وأخاك وأدناك أدناك *(فصل)* قال المحاسبى رحمه الله تعالى فتوهم نفسك وقد نوديت باسمك أين فلان بن فلان هلم الى العرض على الملك الديان وقد وكلت الملائكة بأخذك وقربك الى الله تعالى لم يمنعها اشتباه الاسماء باسمك اذ عرفت انك المراد بالدعاء اذقرع النداء قلبك فعلمت انك المطلوب فارتعدت فرائصك واضطربت جوارحك وتغير لونك وطار قلبك بتخطيك الصفوف الى ربك للعرض عليه والوقوف بين يديه وقد رفع الخلائق اليك أبصارهم وأنت فى أيدى الملائكة وقد طار قلبك واشتد رعبك لعلمك أين يراد بك فتوهم نفسك وأنت بين يدى ربك وفى يدك صحيفتك مخبرة بعملك لاتغادر بلية كتمتها ولا مخبأة أسررتها وأنت تقرأ مافيها بلسان كليل وقلب منكسر ذليل فليت شعرى بأى لسان تجيبه حين يسألك عن قبيح فعلك وعظيم جرمك وأى قلب يحتمل كلام الملك الجبار فى عظمته وقد سمعت كلامه فذكرت دنوبك فتوهم نفسك بهذه الهيبة والاهوال محدقة بك من بين يديك ومن خلفك فكم من بلية قد كنت نسيتها ذكرها وكم من عمل طيب ظننت أنه قد سلم لك وخلص فرده عليك فى ذلك الموقف وكم من سيئة قد كنت أخفيتها أظهرها وأبداها لك بعد ان كان أملك فيه عظيما فيا حسرة قلبك وتأسفك على مافرطت فيه من طاعة ربك حتى اذا كره

السؤال تذكرت كل بلية ونشر كل خفية فاجهدك الكرب و بلغ الحياء منك منتهاه لمخالفتك أمره وقلة حيائك منه وقلة اكترائك باطلاعه عليك وتوهم نفسك بعد المسائلة وقد بدالك منه أحد أمرين اما العفو والرضى أم الغضب فأما أن يقول لك عبدى أنا سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم وقد غفرت لك كبير جرمك و يسفر لذلك و جهك فتوهم نفسك وقد قالها لك فبدا اشراق السرور ونوره فى وجهك فابيض لذلك بعد كآبته وتوهم فرحتك برضائه عنك حين سمعته يقول لك ذلك كدت أن تموت فرحا وسرورا فكيف بك لو قد سمعت من الله الرضى فأمن خوفك وسكن حذرك وحقق أملك وأيقنت بفوزك ونعيمك وتوهم نفسك وقد خرجت على الخلائق بوجه قد حل به الكمال والجمال والحسن كتابك فى يمينك آخذ بضبعيك ملك ينادى على رؤس الخلائق هذا فلان بن فلان سعد سعادة لايشقى بعدها أبدا لقد شهرك الله سبحانه بالرضى عند جميع خلقه وحقق حسن الظانين بك وان فى هذه المنزلة غدا على رؤس الخلائق لعوضا من المنزلة عند العباد بطاعتك والتصنع لهم فى الدنيا فان زهدت فى التصنع وطلب المنزلة عندهم بطاعة ربك وعاملته وحده وعوضك المنزلة الكبرى على رؤس الخلائق فشهرك برضائه عنك و ولايته اياك فتوهم نفسك وأنت تخطى الرقاب كتابك فى يمينك بجمال وجهك ونوره وفرحة قلبك وسروره وقد شخصت الابصار اليك وغبطك أهل ذلك الجمع فليعظم فى ذلك أملك فانه ان تفضل عليك بذلك نلت الدرجة العليا وان كان غير ذلك فانى أخاف أن يقول لك عبدى أنا عليك غضبان فلن أغفر لك عظيم ما أتيت وان أتقبل منك ما عملت وأن يقول لك عند بعض ذنوبك العظيمة وعزتى وجلالى لاتذهب بها منى فتوهم نفسك ان لم يعف عنك وقد قالها لك وأمر الزبانية فابتدرتك بفظاظتها غضبا لغضب الله تعالى متقربون اليه بالعنف وادخال الذل والهوان عليك فتوهم نفسك وأنت فى أيديهم دليلا موقنا بالهلاك وهم ذاهبون بك الى النار وقد اسود وجهك وأنت تنادى بالويل والثبور وقد أفضحك عند خلقه وعند من آثرته عليه بالمعاملة ورضيت بحمده على طاعة ربك عوضا من حمده فتوهم ذلك واذكر هذا الخطر وكن حذرا لاحد الامرين

*(فصل) وخرج أبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت ذكرت النار فبكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مايبكيك فقلت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه فى يمينه أوفى شماله أو من وراء ظهره وعند الصراط اذا وضع بين يدى جهنم حتى يجوز

(فصل) فى بيان قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث النجوى المتقدم فى قول الله سبحانه لعبده انى سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم قال القرطبى هذا نص منه سبحانه على صحة قول أهل السنة فى ترك انفاذ الوعيد على العصاة من المؤمنين والعرب تفتخر بخلف الوعيد حتى قال قائلهم

ولا يرهب ابن العم ماعشت صولتى * ولا يختشى من روعة المتهدد
وانى متى أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

قال ابن العربى انه كذلك عند العرب وأما مالك الملوك سبحانه القدوس الصادق فلا يقع أبدا خبره الاوفق مخبره كان ثوابا أوعقابا والذى قاله المحققون فى ذلك قول بديع وهو ان الآيات وقعت مطلقة فى الوعد والوعيد عامة فخصصتها الشريعة و بينها البارى تعالى فى آيات أخر كقوله تعالى

ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء وكقوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم الآية وكقوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب الآية وبالشفاعة التي أكرم الله سبحانه بها نبيه صلى الله عليه وسلم ومن شاء من الخلق بعده

(باب ما جاء ان الله سبحانه يكلم العبد ليس بينه و بينه ترجمان وذكر ظلم الذمي)

روى مسلم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا سيكلمه الله ليس بينه و بينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم و ينظر أشأم فلا يرى الا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة زاد في رواية ولو بكلمة طيبة ورواه البخاري والترمذي وقال حديث حسن صحيح قال القرطبي قيل ان الله سبحانه يحاسب المكلفين بنفسه ويخاطبهم معا ولا يحاسبهم واحدا واحدا ويروى عن علي رضي الله عنه وقد سئل عن محاسبة الخلق فقال كما يرزقهم في غداة واحدة كذلك يحاسبهم في ساعة واحدة وخرج الترمذي وابن المبارك عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجاء بابن آدم يوم القيامة فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول الله له أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك فماذا صنعت فيقول يارب جمعته وثمرته فتركته أكثر ما كان فارجعني آتيك به فيقول أرني ما قدمت فيقول يارب جمعته وثمرته وتركته أكثر ما كان فارجعني آتك به فاذا عبد لم يقدم خيرا فيمضى به الى النار قال الترمذي حديث صحيح قال القرطبي قوله ما منكم من أحد مخصص بقوله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب ونحوه من الاحاديث و بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن الحديث و بقوله سبحانه يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام

(فصل) روى أبو داود عن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آبائهم دنية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من ظلم معاهدا وانتقصه من حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيأ بغير طيب نفس فانا حجيجه يوم القيامة صححه أبو محمد عبد الحق

(باب في ارضاء الله سبحانه الخصماء في الآخرة)

قال القرطبي روينا في الاربعين وذكره ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالس اذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه فقيل له مم تضحك يارسول الله قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربي عز وجل فقال أحدهما خذلي مظلمتي من أخي فقال الله تعالى اعط أخاك مظلمته فقال يارب ما بقي من حسناتي شيء فقال يارب فليحمل من أوزاري وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان ذلك اليوم ليوم يحتاج الناس فيه أن تحمل عنهم أوزارهم قال الله تعالى لطالب حقه ارفع بصرك فانظر الى الجنان فرفع رأسه فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة فقال لمن هذا يارب فقال لمن أعطاني ثمنه قال ومن يملك ثمن ذلك قال أنت قال بماذا قال بعفوك عن أخيك قال يارب فاني قد عفوت عنه قال خذ بيد أخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة رضي الله عنه قال يجيء المؤمن يوم القيامة

وقد أخذه صاحب الدين فيقول ديني على هذا فيقول الله تعالى أنا أحق من قضى عن عبدي قال فيرضى هذا من دينه ويغفر لهـذا قال ابن أبي الدنيا وحدثني عبد الله بن محمد بن اسماعيل قال بلغني ان الله أوحى الى بعض أنبيائه بعيني ما يتحملون المتحملون من أجلي وما يكابدون في طلب مرضاتي أتراني أنسى لهم عملا كيف وأنا أرحم بخلقي ولو كنت معاجلا بالعقوبة أحدا أو كانت العجلة من شأني لعاجلت بها القانطين من رحمتي ولو ترى عبادي المؤمنون كيف أستوهبهم ممن ظلموه ثم أحكم لمن وهبهم بالخلد المقيم في جواري اذن ما اتهموا فضلي وكرمي قال القرطبي وهـذا لبعض الناس ممن أراد الله به رحمته فيغفر له ويرضي خصمه وقد يكون هذا في الظالمين الاوابين وهو قوله تعالى فانه كان للاوابين غفورا والاواب الذي أقلع عن الذنب فلم يعد اليه كذا تأوله أبو حامد وهو تأويل حسن أو يكون ذلك فيمن له خبيئة حسنة من عمل صالح يغفر الله له به ويرضي خصماءه كما تقدم ولو كان هذا عاما في جميع الناس مادخل أحد النار وكذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ينادي من تحت العرش يوم القيامة يا أمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التباعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي هو من هذا المعنى ولو كان على عمومه مادخل أحد النار

(باب أول ما يقضى فيه بين الناس في الدماء)

روى مسلم والبخاري والترمذي والنسائي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء وروى محمد بن كعب القرظي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول ما يقضى بينهم في الدماء يأتي كل قتيل قتل في سبيل الله فيأمر كل من قتل فيحمل رأسه وتشخب أوداجه فيقول يارب سل هذا فيم قتلني فيقول الله تعالى وهو أعلم فيم قتلته فيقول قتلته لتكون العزة لك فيقول الله تعالى صدقت فيجعل الله تعالى وجهه مثل نور الشمس ثم تشيعه الملائكة الى الجنان ثم يأتي كل من قتل على غير ذلك يأتي كل من قتل يحمل رأسه وتشخب أوداجه دما فيقول يارب سل هذا فيم قتلني فيقول الله تعالى وهو أعلم فيم قتلته فيقول رب قتلته لتكون العزة لي فيقول الله تعالى تعست ثم لا تبقى قتلة الا قتل بها ولا مظلمة ظلمها الا أخذ بها وكان في مشيئة الله ان شاء عذبه وان شاء رحمه وروى الغيلاني أبو طالب محمد ابن محمد بن ابراهيم بن غيلان عن أبي بكر محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله البزار المعروف بالشافعي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يأتي المقتول معلق رأسه باحدى يديه متلببا قاتله بيده الاخرى تشخب أوداجه دما حتى يوقفا فيقول المقتول لله سبحانه هذا قتلني فيقول الله تعالى للقاتل تعست ويذهب به الى النار وخرجه ابن المبارك موقوفا على ابن مسعود وخرجه الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجيء المقتول يوم القيامة ورأسه بيده وأوداجه تشخب دما يقول يارب قتلني هذا حتى يدنيه من العرش قال هذا حديث غريب

(باب ماجاء في اثم من رأى منكرا فلم يغيره وفي ثواب من أمر بمعروف أو نهى عن منكر)

روى أبو نعيم الحافظ بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقفن أحدكم على رجل يضرب ظلما فان اللعنة تنزل من السماء على من حضره ولا يقفن أحدكم على رجل

يقتل